جامعـــــة الجزائـــر (02)

كلية العلوم الإنسانيـة والاجتماعيـة

قسم التاريـــــخ

ابن إياس ومنهجه في كتابة التاريخ

بدائع الزّهور في وقائع الدّهور نموذجـا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

تخصص الدولة العثمانية والمشرق العربي

لجنة المناقشة:

أ. د: بشّـــــار قويـــــدر	.....	رئيسا
أ. د: تلمسانـي بـن يوسـف	.....	مشرفا ومقررا
أ. د: إبراهيـــــم ســـعيود	.....	عضوا مناقشا
د: حمـــــزي كمـــــال	.....	عضوا مناقشا

إعداد الطالب:

محمود بن خليفة

تحت إشراف الدكتور:

أ. د: بن يوسف تلمساني

السنـــة الجامعيـــة

1435هـ - 1436هـ / 2013م- 2014م

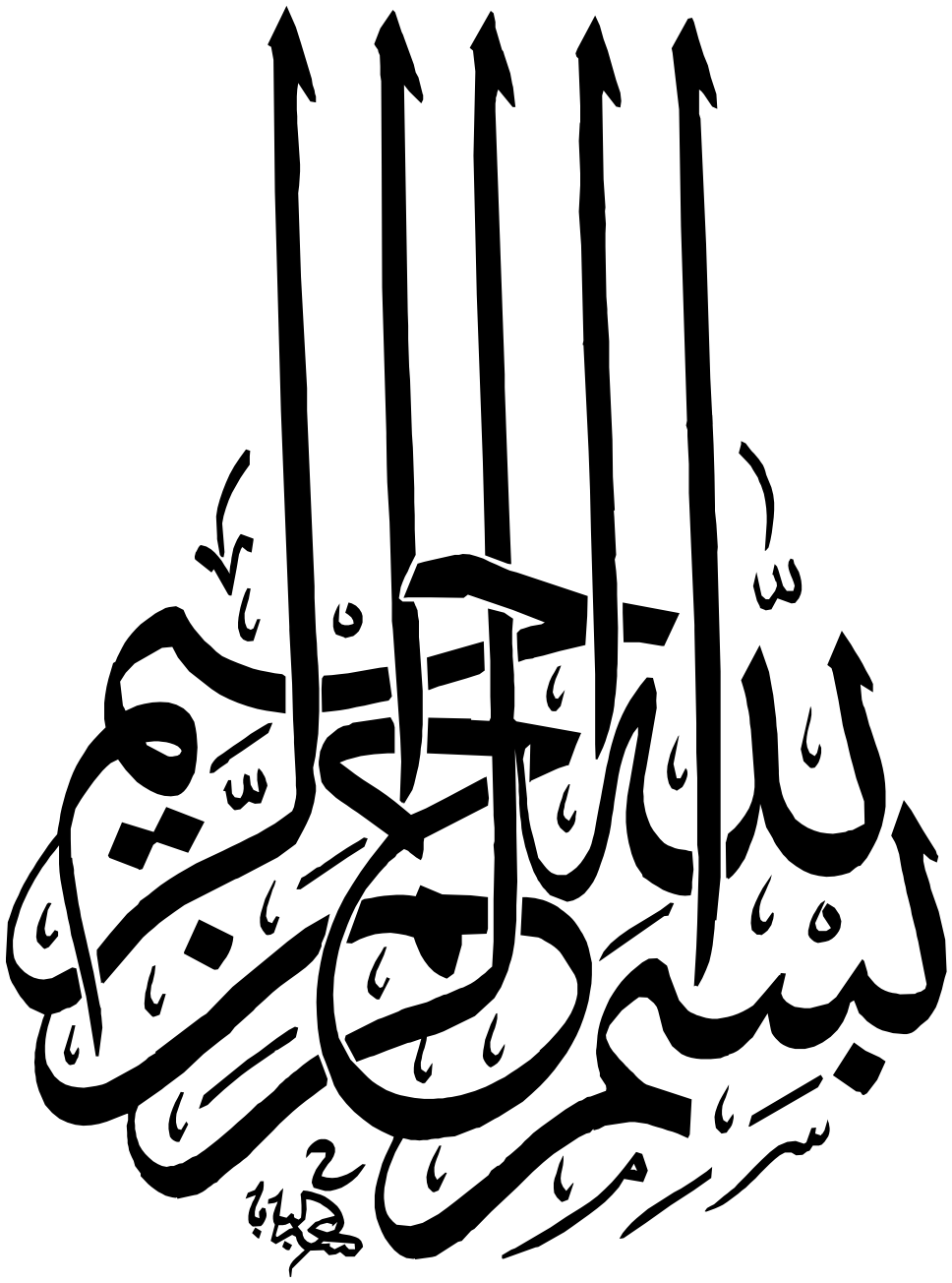
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في هذا المشوار.

كل الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف الدكتور بن يوسف تلمساني على اهتمامه وعلى توجيهاته. الأَساتِذة الكرام الذين لم يدخروا وسعا خلال المشوار الدّراسي.

إهداء

✍ إلى الوالدين الكريمين:

أبي تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته،

أمي أطال الله في عمرها ومتعها بالصحة والعافية.

✍ إلى من شاركتني السراء والضراء، وكان حقّا عليّ الوفاء، زوجتي الغالية.

✍ إلى فلذاتي كبدي وقرة عيني أبناء الأعزاء.

✍ إلى شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد اللّه رحمه الله.

✍ إلى من اغتالتها يد الإجرام الشهيدة الدّكتورة عائشة غطّاس رحمه الله.

✍ إلى الدكتور عدواني الطاهر رحمه الله.

✍ إلى الدكتور مولاي بلحميسي رحمه الله.

✍ إلى الدكتور موسى لقبال رحمه الله.

✍ إلى الدكتور ميّاسي رحمه الله.

✍ إلى الدكتورة صغير مريم رحمها الله.

إليهم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع.

المختصرات

قائمة المختصرات

-1	ما بين علامتي تنصيص(( ))	يدل على فقرة منقولة حرفيا.
-2	ج	جزء.
-3	ص	صفحة.
-4	ص- ص	صفحات.
-5	ب. ت ط	بدون تاريخ طبع.
-6	ت:	ترجمة.
-7	(ب ت)	بدون تاريخ.
-8	(ب ن)	بدون دار نشر.
-9	(د ع)	الدولة العثمانية.
-10	(إ ع)	الإمبراطورية العثمانية.
-11	(s. d. ed)	بدون تاريخ نشر.
-12	...	لتجنب ذكر الجملة أو الفقرة كاملة.

مقدّمة

مقدّمــة

1ـ تقديم الموضوع:

بالرغم من الكتابات الكثيرة حول تاريخ مصر إلاّ أن ابن إياس يعتبر من أشهر المؤرخين المصريين الّذين كتبوا في هذا الميدان في العصور الوسطى، إذ يمثل آخر عمالقة المؤرخين في العصر المملوكي، والمصدر العربي الوحيد عن تاريخ مصر في فترة الدخول العثماني لها، وعن تطور العلاقات بين العرب والأتراك. وتأتي شهرته كونه شاهد عيان انهيار الدولة المملوكية المصرية وتحوّل مصر إلى ولاية عثمانية سنة 922 هجرية–1517 ميلادية.

أرخ لمصر منذ عهودها القديمة حتى سنة 928هـ/ 1522م. وهو المؤرخ المعاصر الوحيد الذي أحاط بأحوالها في منتصف القرن الأخير من حياة الدولة المملوكية ومطلع العهد العثماني في مصر. فهو بذلك يعتبر حلقة الوصل بين تاريخ مصر الوسيط وتاريخ مصر الحديث.

لم يترجمه أحد من المؤرخين المعاصرين له، ومن ثمَّ فإن المعلومات عن سيرته ضئيلة. إلاّ ما ذكرها هو في ثنايا كتابه وما ذكره بعض مؤرخي مصر في القرن الحادي عشر للهجرة، السابع عشر للميلاد. فقد ورد اسمه كمصدر ضمن كتاب «التحفة البهية في تملك آل عثمان الديار المصرية» للمؤرخ المصري محمد بن أبي السُرور البكري الصدِّيقي. [1] كما أن حاجي

1: **البكري:** هو شمس الدين محمد بن محمد بن أبي السرور البكري الصديقي مؤرخ مصري من أعيان القرن الحادي عشر الهجري. ولد في القاهرة سنة 1005هـ، وتوفي بها سنة 1060هـ، =

خليفة[1] أورد في كتابه «كشف الظنون» أسماء ثلاثة من مؤلفاته هي: «بدائع الزهور»، و«نزهة الأمم»، و«نشق الأزهار»، وعَرَّفَ به.

فالرصيد الكبير الذي تركه لنا هذا المؤرّخ الكبير وبشكل خاص بدائع الزهور في وقائع الدّهور جدير بالاهتمام والدراسة، وبالتحديد الجزأين الرابع والخامس منه، إذ يؤرخ فيهما لمرحلةٍ مهمّة من تاريخ مصر في العهد المملوكي، ثم مصر في بداية العهد العثماني (1517 إلى سنة 1522م) ويعتبر مصدرا لا غنى عنه في دراسة تاريخ مصر العثمانية في هذه المرحلة، لارتباط المرحلتين ببعضهما، إذ لا يمكن دراسة تاريخ مصر العثمانية دون الرجوع لتاريخ مصر في العهد المملوكي والإطلاع على ما عاناه الشعب المصري طيلة فترة حكم المماليك وكذا أهالي الشام.

وكتابات ابن إياس في "بدائع الزهور في وقائع الدّهور" تعد إحدى الركائز الأساسية في كتابة تاريخ مصر القديم والحديث، خاصة الجزأين الرابع والخامس كما أسلفنا، لأن صاحبها ذكر الحقائق التاريخية كما شاهدها أو نقلها من مصدر

= وكان عميد الأسرة البكرية في وقته، كما كان وثيق الصلة بالولاة العثمانيين. من مؤلفاته: النزهة الزهية في ولاة مصر والقاهرة المعزية. والروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة.

1: **حاجي خليفة:** هو مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة. ولد عام1017هـ1609م وتوفي عام1067هـ1657 عالم ومصنف جغرافي شهير، ولد بالقسطنطينية، تدرب على الأعمال الكتابية وعمل محاسبًا في الجيش، ثم شغل وظيفة كاتب جلبي (رئيس الكتبة). رئيس كتبة أسرار السلطان مراد الرابع ووزير المالية في أيام سلطنته. وتُنسب إلى حاجي خليفة مصنفات يتراوح عددها بين عشرين وثلاثين مصنفًا، إلا أن شهرته الجغرافية ترتبط بأربعة مؤلفات هي: كشف الظُّنون عن أسامي الكُتُب والفنون، وهو معجم باللغة العربية تضمن جميع فروع العلم والأدب في ذاك الوقت؛ وتحفة الكبار في أسفار البحار؛ وكتاب وصف العالم(جيهان نامة).

موثوق، وعالج مشاكل حياة المجتمع المصري الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وبحث في أسبابها.

لذلك يعدّ تأريخه للقرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر مهم لأنه من أدق المؤلفات التاريخية التي تصف أحداث زمانها بصدق عند سرده للحوادث التي وقعت في مصر والشام خلال هذه الفترة.

كما يعد ما كتبه ابن إيّاس وثيقة تاريخية هامة وفريدة في تاريخ مصر السياسي الاقتصادي والاجتماعي، خاصة وأنه يحمل بين طياته صورة مفصلة عن حياتهم ومعاشهم، همومهم وأفراحهم آمالهم وآلامهم. كما يتضمن أحداث الحملة العثمانية على سوريا ومصر، وفترة هامّة من حكم المماليك تحت المظلّة العثمانية. كما حلل في كتابه أسباب زوال دولة المماليك.

فابن إيّاس مؤرّخا مخضرما، عايش وعايش عصرين مختلفين: عصر حكم المماليك لمصر والشام، وعصر الحكم العثماني لهما. ودوّن لنا ما تحَمّلَه أهلها من مشقات وصوّر لنا ما شهده وما سمعه.

عُرف عنه أيضا نظمه للشعر، فقد صوّر لنا بعض الأحداث عن طريق الشعر مثل وصفه لنهاية دولة المماليك بقوله:

نوحوا على مصر لأمر قد جرى ... من حادث عمّت مصيبته الورى
زالت عساكرها من الأتراك في ... غمض العيون كأنها سنة الكرى
الله أكبر إنها لمصيبة ... وقعت بمصر ما لها مثَلٌ يُرى
لهفي على عيشٍ بمصر قد خلت ... أيّامه كالحلم ولّى مدبرا

كما يرجع الفضل لابن إيّاس في تدوين تاريخ مصر وحوادثها متبعا طريقة الحوليات ومنتهيا باليوميات في منهجه عند وصوله للفترة التي عاصرها. ولولا ما كتبه عن حملة سليم الأوّل على الشام ومصر وحكم الأتراك لهما لافتقد المؤرخون العديد من حوادث تلك الحقبة، لأنه كان المؤرخ الوحيد الذي عاصر الحملة العثمانية على مصر، إذا ما استثنينا ابن زنبل الرّمال. [1]

في تحليلنا لمنهج ابن إياس، تم التركيز على الجزء الخامس من مؤلفه بدائع الزهور في وقائع الدّهور تحقيق محمّد مصطفى. الطبعة الثانية. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. 1961. للأسباب التالية:

- لأنها فترة حرجة في تاريخ مصر تركت خلفيات سياسية في موقف المصريين اتجاه المماليك والعثمانيين حتى الوقت الحاضر.
- لأن الجزء الثالث بدءا من سلطنة قايتباي يوم الاثنين6 رجب 872 هـ 1468م[2] يؤرّخ ابن إياس لعصر قايتباي ومن بعده إلى عام 906 هـ ويشترك معه في التأريخ لهذه الفترة ابن الصيرفي.[3]

1: **ابن زنبل:** هو أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد نور الدين المحلي الشافعي بن زنبل الرمّال. من موظفي ديوان الجيش العثماني حتى سنة 1552. رافق جيش السلطان سليم الأوّل ما بين سنة 1512 و1519م أثناء الحروب التي انتهت بالقضاء على دولة المماليك صاحب كتاب (آخرة المماليك).

2: **قايتباي:** هو السلطان الأشرف أبو النصر بن عبد الله قايتباي الجركسي (1423م–1496م) اشتراه الأشرف برسباي ثم انتقل إلى الظاهر جقمق وأعتقه ثم عينه في عدّة وظائف حتى تمكن من السلطة سنة 1468م بعد خلع السلطان يزبك الذي حكم يوم واحد. حكم مصر 29 عاما.

3: **الصيرفي:** هو علي بن داود بن إبراهيم الخطيب الصيرفي (819هـ–900هـ) اكتسب هذين اللّقبين لعمله مع أبيه في سوق الصيارفة وسوق الجواهر. من مؤلفاته، نزهة النفوس والأبدان=

والسخاوي[1] وأبو المحاسن بن تغري بردي[2]. وبعد وفاتهم يصبح ابن إياس هو العمدة في التأريخ لمصر، حيث ظل يؤرّخ لها منفردا بعد ذلك في الجزء الرابع، من سلطنة قانصوه الغوري الذي تولي يوم الاثنين أول شوال سنة 906 وانتهي في شوال سنة921 (1501-1516م).

- أما الجزء الخامس والأخير فأرّخ فيه لسقوط الدولة المملوكية وتحول مصر إلى ولاية عثمانية، أي انفرد ابن إياس في هذا الجزء بالتأريخ لمصر من واقع المشاهدة والمعاينة في فترة هامة فيما بين 902 و928 هـ أي قبل وفاته بعامين.
- لم نعتمد على طبعة بولاق لنقصٍ فيها، إذ لم ترد فيها الفترة ما بين سنة 1501 إلى 1516 من جهة، ولأن الناشر قد تصرّف في الأسلوب وبعض الأخطاء التي غيرت المعنى.

= في تاريخ الزمان، وأنباء الهصر بأبناء العصر. وهو تقليدا لعنوان كتاب أستاذه ابن حجر "أنباء الغمر بأبناء العمر". والهصر هنا لا معنى لها إلاّ بسبب السجع.

1: **السخاوي:** هو الحافظ شمس الدين أبو الخير بن عبد الرحمان بن محمد ابن أبي بكر بن عثمان محمد السخاوي (831هـ-902 هـ)اشتهر في التاريخ والحديث، كما اشتهر بحدّة نقده خاصّة لأقرانه من المشايخ. من مؤلفاته: "الذيل على رفع الأصر"، وهو تكملة لكتاب ابن حجر العسقلاني. و"رفع الأصر عن قضاة مصر". و"التبر المسبوك في الذيل على السلوك"و"الضوء اللاّمع في أعيان القرن التّاسع" الذي ترجم فيه لنفسه بإسهاب.

2: **بن تغري بردي:** هو جمال الدين أبو المحاسن يوسف (813هـ-874) من أصل مملوكي. كان أبوه قائدا في الجيش المملوكي ثم نائبا على الشام. اشتهر بكتابه "النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة "المكوّن من 16 جزءا، وكتاب "حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور "الذي جعله ذيلا لتاريخ المقريزي في السلوك . وله كتاب "المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي" في05 أجزاء.

- لأن محقق الكتاب ((محمد مصطفى)) حافظ على لغة الكتاب لنكتشف لغة وأسلوب ذلك العصر، ولم يحوّر في الأسلوب أو العبارات، كما سدّ النقائص التي أهملتها الطبعات الأخرى مثل طبعة بولاق.

- لأنه اعتمد –بمساعدة المستشرقين الألمانيين باول كاله وموريتس سوبرنهايم– على المخطوطات الأصلية. [1]

- رغم كوننا أخذنا كمثال الجزء الخامس من مؤلف ابن إياس بدائع الزهور في وقائع الدّهور في دراسة منهجه، إلاّ أننا لم نستطع الاستغناء عن ذكر نماذج من الأجزاء الأخرى لتتبُّع منهجه وأسلوبه ومصادره ونكتشف أسباب انتقاله من الحوليات إلى اليوميات في الجزء الخامس.

- كما تطرّقنا في ثنيات هذه الدراسة، دون تخصيص فصل أو مبحث خاص إلى مقارنة بين ابن إياس والجبرتي[2] لكي لا نخرج عن الإطار الزّماني رغم وحدة المكان، ولأن الجبرتي عاش هو الآخر مرحلتين هامّتين من تاريخ مصر والمتمثّلة في الحكم العثماني لها من جهة، والحملة الفرنسية عليها، ثم حكم محمّد علي وتركنا ذلك لدراسة مستقبلية.

1: **باول كاله:** مستشرق ألماني من أهم المستشرقين في القرن العشرين ولد في بروسيا سنة 1875 وتوفي سنة 1946. درس اللاهوت والدراسات الشرقية. عين مديرا عاما لقسم الدراسات الشرقية بجامعة بون، كما عين أمين الجمعية الشرقية الألمانية. عمل في بريطانيا على فهرس المخطوطات الإسلامية.

2: **الجبرتي:** هو عبد الرحمان بن حسن بن برهان الدين الجبرتي. (1754–1825) مؤرّخ مصري من أسرة ثرية، عاصر الحملة الفرنسية على مصر 1798 ووصفها بالتفصيل في كتابه "عجائب الآثار في التراجم والأخبار"من 04 أجزاء. و"مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس"عيّنه نابليون عضوا في الديوان العام في القاهرة.

2ـ إشكالية الموضوع:

لقد شمل تاريخ مصر والشام في العهد المملوكي والعهد العثماني عدّة دراسات ومؤلّفات. فالكثير من المؤرخين والكتاب تعرّضوا بإسهاب إلى تاريخ الجبرتي أو نيقولا الترك، تركيزا منهم على التاريخ الحديث، إلاّ أن ابن إيّاس لم يلق نصيبه الذي يستحقه في هذه الدراسات، حتى أنه لم يترجمه أحد من المؤرخين المعاصرين له، ماعدا حاجي خليفة ومحمد بن أبي السرور البكري. لذلك فان المعلومات عن سيرته كانت ضئيلة. وهو من أشهر المؤرخين المصريين في العصور الوسطى وآخر عمالقة المؤرخين في العصر المملوكي. وتأتي شهرته كونه شهد انهيار الدولة المملوكية المصرية، وتحوّل مصر إلى ولاية عثمانية.

أرخ لمصر منذ عهودها القديمة حتى سنة 1522م. وهو المؤرخ المعاصر الوحيد الذي أحاط بأحوالها في منتصف القرن الأخير من حياة الدولة المملوكية ومطلع العهد العثماني(1517م).

فكيف صوّر لنا تاريخ مصر، وبالتحديد الفترة المملوكية العثمانية وما مدى موضوعيته؟.

قبل التطرق إلى الإجابة على هذا التساؤل، لا بد لنا من معرفة مكونات شخصية ابن إيّاس وخصائص عصره لنعرف المنهج الذي اتبعه في الكتابة معتمدا في ذلك على كتابه بدائع الزهور في وقائع الدّهور.

فما هو منهج ابن إيّاس في ذلك؟ وما هي مواقفه من حكم المماليك ثم العثمانيين لمصر؟. ما هي مصادره في الكتابة؟وما مدى موضوعيته في الكتابة كونه مملوكي شهد نهاية دولة المماليك على يد العثمانيين؟

ماهي قيمة كتابه بدائع الزهور؟. وكيف تطرّق من جاء بعده لتاريخ مصر؟

3ـ دواعي اختيار الموضوع:

هناك عدّة دوافع تقف وراء اختياري لهذا الموضوع، منها:

أ)- إن ارتباط تاريخ الوطن العربي بالدولة العثمانية المباشر يبدأ من تاريخ حملة سليم الأوّل على سوريا ومصر اثر معركتي مرج دابق والريدانية وبالتالي فان موقع ابن إياس في هذا المجال مميزا، ذلك أنه مخضرم، فقد عايش فترة حكم المماليك ثم حملة سليم الأوّل على الشام ومصر وبداية حكم العثمانيين لها.

ب)- اختيارنا لهذا المؤرّخ كونه لم يحض هذا المؤرّخ بدراسة واسعة.

ج)- البحث في شخصية ابن إياس في حدّ ذاتها.

د)- إن الوثائق المتعلّقة بضم مصر من طرف العثمانيين وتوطيد حكمهم بها قليلة، وكثيرا منها لا يزال مخطوطا. فلا نجدها إلاّ من خلال معاصري هذه الأحداث، وابن إياس كان الوحيد في ذلك.

هـ)- البحث في مدى موضوعية ابن إياس في طرحه عند سرد الأحداث في عصر المماليك، ثم الحملة العثمانية على الشام ومصر كونه مملوكا مصريا.

و)- معرفة موقع ابن إياس بين مؤرخي عصره.

ي)- معرفة منهجه في كتابة التاريخ ودوافعه.

ك)- كيف صوّر لنا تاريخ مصر في هذه الفترة من خلال الجزء الخامس من كتابه "بدائع الزهور".

ن)- إجراء مقارنة بينه وبين من سبقه بقليل واعتمد عليه ومن جاء بعده ورجع إلى ما كتبه ابن إياس.

4 ـ المنهج المتبع في الدراسة:

من خلال موضوع الدراسة، اتبعنا المناهج التالية:

1- المنهج الوصفي وذلك لوصف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع المصري في عهد المماليك وطبيعة العلاقات المملوكية العثمانية قبل وبعد بعد حملة سليم الأوّل.

2- المنهج الاستقرائي (التحليلي): لتحليل الروايات التاريخية الخاصة بموضوع البحث وموقف ابن إياس اتجاها. ومقارنة كتابات غيره في تاريخ مصر المملوكية والعثمانية. (ابن زنبل والجبرتي في الموضوع وابن خلدون في المنهج)

5ـ الدراسات السّابقة:

هي قليلة خاصّة بالنظر إلى من تطرّق لمؤرخين آخرين ممن درسوا أحوال مصر العثمانية كالجبرتي.

6ـ الخطّة المعتمدة في البحث:

أ- مقدمة: تتضمن دوافع اختيار هذا الموضوع، والإشكالية التي يعالجها، وبعض الدراسات السابقة التي تطرقت لبعض حيثياته، فضلا عن المنهج المتبع، وأهم المصادر، والمراجع المعتمدة. دون إغفال الصعوبات التي يمكن أن تواجه أي بحث في موضوع جد متخصص كهذا.

ب- الفصول: وعددها ثلاثة فصول:

أولا- الفصل الأول: الموسوم بمكونات شخصية ابن إياس.

استهليته بمبحث تمهيدي تطرّقت فيه إلى مفهوم التاريخ لغة واصطلاحا وتعريف المنهج، وأهم المؤرخين الذين تطرقوا لهذا الموضوع.

ثم تطرقت إليه من خلال أربعة مباحث، تعرضت في المبحث الأوّل إلى مولده ونسبه وفي المبحث الثاني إلى تعليمه وشيوخه، ثم إلى مؤلّفاته ومصادره في المبحث الثالث. وأخيرا إلى خصائص عصره كمبحث رابع.

ثانيا-الفصل الثاني: تحت عنوان، ابن إياس وكتابه.

تطرّقت فيه من خلال مباحثه الأربعة، إلى تقديم كتاب بدائع الزهور في وقائع الدّهور كمبحث أوّل، ثم تعرّضت في المبحث الثاني إلى الغرض من تأليفه. أمّا المبحث الثالث فخصّصته إلى منهجه وأسلوبه في كتابه بدائع الزّهور في وقائع الدّهور. وفي المبحث الرّابع تطرّقت لدراسة مصادره في الجزء الخامس من كتابه.

ثالثا–الفصل الثالث: موقف ابن إياس من أحداث عصره.

شمل أربع مباحث. أوضحت في المبحث الأوّل الموسوم بـابن إياس وعصر المماليك، طبيعة هذا الحكم وأسباب ضعفه وموقف ابن إياس منه. وفي المبحث الثاني تطرّقت الدّخول العثماني لمصر وموقف ابن إياس منه حيث تعرّضت من خلاله للعلاقات العثمانية المملوكية التي آلت إلى التدهور ثم التدخل العثماني المباشر في الشام ومصر. أما المبحث الثالث فقد خصصته إلى موقف ابن إياس من الحكم العثماني للشام ومصر، وختمت ذلك بمبحث رابع خصصته لقيمة كتاب بدائع الزهور في وقائع الدّهور.

وفي ثنايا هذا البحث تم وضع مقارنة بن كتابات ابن إياس عن حملة سليم الأوّل على الشّام ومصر والحكم المملوكي العثماني لهما، وعن هذا الحكم أيام الجبرتي وحكم محمّد علي، وكيف تطرّق الجبرتي لذلك. وما هي أوجه الشبه والاختلاف بينهما؟.

ج– <u>خاتمة الدراسة</u>: وفي **خاتمة** البحث تم الاستعراض لأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراسة هذا الموضوع.

7 – الصعوبات التي واجهتني في إعداد المذكّرة:

- عدم التمكن من الحصول على صفحات أو صفحة من مخطوط ابن إياس. مع ضرورة التحصّل عليها مستقبلا.
- ندرة الدراسات المتخصصة في هذا الموضوع وبشكل خاص الكتب غير العربية.

– صعوبة الفصل بين دراسة منهج ابن إياس، وبين الدّخول العثماني للشام ومصر.

8 ـ دراسة في مصادر البحث:

اعتمد البحث على مجموعة مختلفة من المصادر يمكن ترتيبها على النحو التالي:

في دراستنا اعتمدنا على كتاب ابن اياس بدائع الزهور في وقائع الدّهور خمسة أجزاء. وركّزنا على الجزء الخامس محل الدّراسة. تحقيق، محمد مصطفى. الطبعة الثانية. القاهرة. 1961. لأنها طبعة كاملة سدّ فيها المحقق النقائص التي وجدت في طبعة بولاق.

كذلك تم الاعتماد على مخطوطة ابن زنبل الرمّال والمتكوّنة من 278 صفحة عن مجلة مركز ودود للمخطوطات. (المصدر: ميونيخ COD. arab. BSB 411) بعنوان ((تاريخ وقعة الغوري هو والسلطان سليم وما جرى له مع الجراكسة والملك طومان باي من الحرب الشديد والطعن المزيد بوجود خاير بك والغزالي على التمام والكمال والحمد لله وحده على كل حال)) والمعروف بآخرة المماليك[1]. كونه من المعاصرين لابن إياس وكَتب مثله ما وقع وما شاهده بعينه ونقله لنا حول موضوع حملة سليم الأوّل على للشام ومصر. واستعنّا به في المقارنة بينه وبين ابن إياس. كما تم الاعتماد على نسخة من مخطوطة أخرى من 30 ورقة بها خمسون صفحة بعنوان تاريخ الدولة العثمانية من مركز

1: أنظر الملحق رقم 03– 04 في قسم الملاحق. ص– ص. 133– 134.

المخطوطات بجامعة الملك سعود يشار فيها أن ناسخها هو أحمد بن زنبل الرمّال وتاريخها يعود إلى القرن 13 الهجري.

كما تم الإعتماد على كتاب جمال الدين ابن تغربردي: حوادث الدّهور في مدى الأيام والشهور. الجزء الثاني. تحقيق. محمد كمال الدين عز الدين. ط1. دار عالم الكتب. 1990. الذي يصف فيه الأوضاع الاجتماعية للمصريين تحت حكم المماليك، للتأكد مما ذكره ابن اياس في وصفه. مما يعطينا صورة واضحة حول الفترة الممتدّة من سنة 855 هجرية إلى سنة 860 هجرية، خلال حكم الملك الظاهر جقمق العلائي الظاهري، والخليفة في تلك الفترة كان المستكفي بالله أبو الربيع سليمان.

من بين المراجع الأخرى التي اعتمدناها في المبحث التمهيدي حول مفهوم التاريخ، كتاب علم التاريخ نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه. للدكتور شوقي الجمل. المكتب المصري لتوزيع المطبوعات. 1997. وكتاب منهج البحث التاريخي، لعادل حسن غنيم وجمال محمود حجر الإسكندرية، 1995. وكتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التأريخ للسخاوي. تحقيق فرانز روزنتال. ترجمة الدكتور أحمد العلى. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1986.

كما تم الاعتماد على كتاب دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر (1952/1517) للدكتور عمر عبد العزيز عمر. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية. 1989. الذي أفادني كثيرا في المقارنة بين منهج ابن إياس والجبرتي ونيقولا الترك.

ومن بين المصادر المعتمدة: أخبار الدول وآثار الأوّل في التاريخ لأحمد بن يوسف القرماني. تحقيق فهمي سعد وأحمد حطيط المجلّد الأوّل. بيروت. عالم الكتب. الطبعة الأولى. 1996. حيث تم الاستعانة به في المبحث التمهيدي وكذا عند التطرق لمصر العثمانية.

من بين المراجع المعتمدة أيضا، كتاب النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، للدكتور قاسم عبده قاسم، حيث يلقي صاحبه الضوء على جوانب في حياة الشعب المصري خلال تلك الفترة. فلفيضان النيل علاقته بالأزمات الاقتصادية والمجاعات والأوبئة. يتطرق الكتاب بالتفصيل إلى فيضان النيل وأهميته للأرض الزراعية ومواعيده ومناسيبه، ووسائل قياس الزيادة وإعلانها، كما يتحدث عن نظام الري والزراعة، ووسائل ضبط النهر من سدود وترع وقناطر، وتلك المهرجانات الضخمة المصاحبة للاحتفال بوفاء النيل. كما يتعرض لأثر الفيضان السنوي للنهر على الحياة السياسية في البلاد.

ويتضح من كل ذلك أن نهر النيل كان محور الحياة المصرية في عصر سلاطين المماليك بشتى نواحيها؛ الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وكان انتظام الفيضان يؤدي إلى انتظام مماثل في حياة المصريين بشتى وجوهها لكن أدنى اضطراب في انتظام النهر، بالزيادة المفرطة أو النقصان، كان يترك أثره السلبي في حياة المجتمع المصري. لذلك يتناول الكتاب علاقة النهر بالمجاعات والأوبئة التي كثيراً ما ألمت بالبلاد في العصر المملوكي وما كانت تبدو عليه من صورة محزنة صوّرها لنا ابن إياس وأوضح الصلة المباشرة بينها وبين موعد فيضان النيل وانعكاساته الإيجابية والسلبية على مختلف مناحي الحياة في المجتمع المصري.

بالنسبة للمراجع الأجنبية فقد تطرقت إلى بعضها. ورغم أن هناك عدّة عناوين، إلاّ أنني لم أتمكن من اقتنائها ذلك لأنها في المكتبات الأوربية. وأهم كتاب أردت البحث فيه هو لـ:

Benjamin lellouch. Nicolas Michel. conquête ottomane de l'Egypte. ed. 2012.

غير أنني لم أتحصّل عليه. أما المراجع الأخرى أذكر من بينها:

Lamartine. Histoire de la turquie. Tome25éme. livre18éme. Paris. 1863.

وقد تطرّق فيه من الصفحة 191 إلى الصفحة 203. إلى تحضيرات حملة سليم الأوّل على سوريا وبداية المواجهة بين الطرفين والدخول العثماني إلى سوريا ونهاية قانصوه الغوري، ثم التحضيرات للدخول إلى مصر ومعركة الريدانية ونهاية طومان باي ودولة المماليك، وضم مصر كولاية إلى ممتلكات الدولة العثمانية.

من بين المراجع الأخرى كان الاعتماد على بعض رسائل الماجستير، مثل رسالة أحمد عبد العزيز علي عيسى بعنوان (الصراع بين البيوتات المملوكية في مصر العثمانية. 1517-1798.) من جامعة الإسكندرية، كلية الآداب. 2001.

ومن بين المجلاّت نذكر، مجلّة العرفان العدد 07. المجلّد 76. مقالة بقلم الدكتور عرب دعكور حول الصراع الاقتصادي بين الشرق والغرب في الربع الأوّل من القرن السادس عشر.

وهنـاك كتـب عديـدة تـم اعتمادهـا لـم نشـر إليهـا فـي هـذه المقدمـة يمكـن الإطلاع عليها في قائمة المصادر.

في الأخير، لا يفوتني إلاّ أن أثني على أستاذي الدكتور بن يوسف تلمساني على ما بذله من مجهودات لتوجيهي وإفادتي بما توفّر لديه من مراجع لتصدر هذه الرسالة في هذا الشكل.

والله ولي التوفيق.

الفصل الأول

مكونات شخصية ابن إياس

- مبحث تمهيدي.
- المبحث الأوّل: مولده ونسبه.
- المبحث الثاني: تعليمه وشيوخه.
- المبحث الثالث: مؤلّفاته ومصادره.
- المبحث الرّابع: خصائص عصره.

❖ **مبحث تمهيـدي**:

1ـ **تعريف التاريـخ**:

ورد فــي لســان العــرب لابــن منظــور، [1] أن التــاريخ كلمــة مشــتقة مــن الفعـل أَرَّخَ يـؤرخ تأريخـاً وتاريخـاً، بمعنــى تعريـف الوقـت والتـوريخ مثلـه، وأرَّخ الكتاب أو ورَّخه بمعنى وقَّته.

– أرَّخ الكتـاب: فصـل تاريخـه وحـدد وقتـه. وهـو جملـة الأحـوال والأحـداث التـي يمـر بهـا كـائن مـا. ويصـدق علـى الفرد والمجتمـع كمـا يصـدق علـى الظـواهر الطبيعيــة والإنســانية. فالتــأريخ هــو تســجيل هــذه الأحــوال، والتــاريخ جملــة الأحوال.

– وفـــي كتـــاب شـــمس الـــدين الســـخاوي: الإعـــلان بـــالتوبيخ لمـــن ذم أهـــل التأريخ.

***التــاريخ لغــةً**: هـو الإعـلام بالوقـت. يقـال أرخـت الكتـاب وورختـه أي بيّنـت وقت كتابته. [2]

التاريخ هو الزمن وبيان الوقت، وورَّخ الكتاب بمعنى وقت كتابته.

1: أبـي الفضـل جمـال الـدين محمـد بـن مكـرم ابـن منظـور: **لســان العـرب**. المجلّد الثالث. ط2. دار صادر. بيروت. ب. ت. ص4.

2: شمس الدين السخاوي: **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التأريخ**. تحقيق فرانز روزنتال. تر. د. أحمد العلى. ط1. مؤسسة الرسالة. بيروت. 1986. ص16.

أنظر أيضا: قاسم عبده قاسم: **تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية**. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ط1 . 2000.

أمــا المقريــزي فيعــرّف التــاريخ بأنــه إخبــار عمّــا حــدث فــي العــالم الماضي.

ويذكر الدكتور عبد العليم عبد الرحمان خضر في كتابه المسلمون وكتابة التاريخ ((تدل كلمة التاريخ على الإعلام بالوقت مضافا إليه ما وقع في ذلك الوقت من حوادث وأخبار)) [1].

كما يقول الكافيجي[2] ((وأما علم التاريخ فهو علم يبحث في الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلّق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته)). [3]

* **التاريخ اصطلاحاً:** هو ماضي الإنسان. ويرى بعض المؤرخين أنه مجموعة أحداث وقعت في الماضي والحاضر وربما ستقع في المستقبل. وهو السِّفر

1: عبد العليم عبد الرحمان خضر: **المسلمون وكتابة التاريخ.** دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ. الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي. 1995. ص22.

2: الكافيجي (1386–1474) هو محمد بن سليمان بن سعد الرومي اشتهر بمصر تولى عدة وظائف منها رياسة الحنفية بمصر. من بين مصنفاته: المختصر في علم التاريخ.

3: نفسه: ص. 24. أنظر أيضا محمد كمال الدين عز الدين علي: أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1992. درج المؤرخون الكبار عن وضع مقدمة لهم في مؤلفاتهم التاريخية بتبيان معنى التاريخ وعلم التاريخ من بينهم أحمد بن يوسف القرماني في كتابه **أخبار الدول وآثار الأوّل في التاريخ** . تحقيق فهمي سعد وأحمد حطيط المجلّد الأوّل. عالم الكتب. الطبعة الأولى. بيروت. 1996، ص– ص6. 5. حيث يقول: ((اعلم أن علم التاريخ هو الإخبار عن الكائنات السّابقة في العالم والحادثات... فهو السبيل إلى معرفة أخبار من مضى من الأمم. ولولا التواريخ لماتت معرفة الدول بموت ملوكها وخفي عن الأواخر عرفان حال الأوّل...)) أنظر الملحق رقم 05، 06 و07. ص– ص. 135–136–137.

الّذي يحمل بين دفتيه التطورات الاقتصادية والاجتماعية... الّتي مرت بها البشرية.

إن لفظة التأريخ تطلق على الماضي البشري تارة، وعلى الجهد المبذول لمعرفة الماضي تارة أخرى، ويرى قسطنطين زريق: أن التأريخ هو دراسة الماضي، والتاريخ هو الماضي ذاته.

يتناول التاريخ كموضوع الإنسان من حيث هو إنسان، وليس مجرد كائن حي ينمو ويتطور ويموت؛ فهو الوحيد الذي يدرك معنى الزمن والوحيد الذي يصنع التاريخ ويصنعه التاريخ.

أما تناول الحوادث الطبيعية، فليس إلا لمعرفة تأثيرها على الإنسان.التاريخ هو" العلم الذي يعنى بالدرجة الأولى بدراسة الحوادث أو الوقائع التي حدثت في الماضي" أو" هو العلم الذي يسعى لإقامة تتابع للأحداث التي وقعت بالفعل".

يقول ابن خلدون[1] في مقدمته حول التاريخ: ((أما بعد، فإن التاريخ فن من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال... إذ هو في ظاهره لا يزيد

1: هو عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي الاشبيلي، ولي الدين أبوزيد صاحب كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"ولد بتونس سنة1332وتوفي بالقاهرة سنة 1406م. ولد في فترة سقطت فيها دولة الموحدين بالمغرب والأندلس، وانقسم المغرب الإسلامي إلى دويلات. كانت له حظوة عند الأمراء والحكام في العديد من الدّول، أين تقلّد عدّة مناصب، وكلّف بعدة مهام سياسية في غرناطة واشبيلية والمغرب والجزائر وتونس ومصر التي مكث بها 25 سنة، حيث أتم كتاب العبر وأصبح مدرّسا بجامع الأزهر=

علــى إخبــار عــن الأيــام والــدول والســوابق مــن القــرون الأُوَّل... وفــي باطنــه نظــر وتحقيــق وتعليــل للكائنــات ومبادئهــا دقيــق، وعلــم بكيفيــات الوقــائع وأسبابها عميـق، فهـو لـذلك أصـيل فـي الحكمـة وعريـق، وجـدير بـأن يُعَدَّ مـن علومها وخليق). [1]

ـ ((اعلـم أن فـن التـاريخ فـن غزيـر المـذهب، جـم الفائـدة، شـريف الغايـة إذ هـو يوقفنـا علـى أحـوال الماضـين مـن الأمـم فـي أخلاقهـم والأنبيـاء فـي سـيرهم، والملـوك فـي دولهـم... حتـى تـتم فائـدة الإقتـداء فـي ذلـك لمـن يروقـه فــي أحــوال الــدين والــدنيا.. .. فهــو محتــاج إلــى مآخــذ متعــددة، ومعــارف متنوعــة، وحســن نظــر وتثبــت...)).[2] ((حقيقــة التــاريخ أنــه خبــر عــن

= كمـا تـولى القضـاء. لـذلك اكتسـب خبـرة فـي ميـدان السياسـة ورجالهـا وأسـباب سـقوط الدول.

1: عبـد الرحمـان ابـن خلـدون: **المقدّمـة**. الجـزء الأوّل. الـدار التونسـية للنشـر – المؤسسـة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1984. ص. 30. أنظر الملحق رقم 39. ص 169.

2: **نفسه**. ص37. أنظر أيضا محمّد بن عبد الرحمان السخاوي: **التبر المسبوك في ذيل السلوك**. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1053 هجرية. الصفحة 02. أنظر أيضا: شهاب الدين بن حجر: **الذيل على الدرر الكامنة في تاريخ المائة الثامنة**. أنظر الملحق رقم 08. ص 138.

التاريخ علماً وفن؛ ذلك لأنه من حيث مجال البحث الذي يشتمل هذه المادة يدخل ضمن نطاق العلوم ومن خلال السرد القصصي والروائي يدخل في مجال الفنون؛ فهو إذن علم وفن.

يعتمد منهج البحث التاريخي عند ابن خلدون على:

- ملاحظة ظواهر الاجتماع لدى الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها.
- تعقب هذه الظواهر في تاريخ الشعوب نفسها في العصور السابقة لعصره.
- تعقب أشباهها في تاريخ شعوب أخرى لم يتح الاحتكاك بها والحياة بين أهلها.
- الموازنة بين هذه الظواهر جميعاً. =

الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنّس والعصبيات وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال)). [1]

= – التأمل في مختلف الظواهر للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتها العرضية واستخلاص قانون تخضع له هذه الظواهر في الفكر السياسي وفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع. (استمرار الحاكم في السلطة يؤدي إلى الاستبداد وتفكيك الدولة وخرابها)

يرى المدافعون عن التاريخ كعلم أن أقرب العلوم الطبيعية شبهاً به هو علم الجيولوجيا؛ إذ يدرس الأول ماضي المجتمعات الإنسانية، بينما يدرس الثاني ماضي الكرة الأرضية. فمادة المؤرخ الوثائق على اختلاف أنواعها ومادة الجيولوجي الصخور والأحجار وطبقات الأرض .

1: كتب ابن خلدون تاريخه بعد أن تنقل في البلاد الإسلامية وعمل في دواوين سلاطينها، كما شهد بنفسه أحوال هذه الدول وعوامل تدهورها ثم قدم إلى مصر سنة 1382 بعد الفراغ من تأليفه حيث أقام بالإسكندرية والقاهرة كما درّس بالأزهر وتولى منصب قاضي القضاة المالكية بمصر. كما رافق الحملة المملوكية التي قادها السلطان فرج إلى الشام سنة 1401 لدفع تيمورلنك عن دمشق، مما يدل على أنه مرّ بعدة تجارب ولاحظ عوامل الفساد في الدول وخرابها والمجتمعات وعلاقة الحاكم بالمحكوم . وفي الأخير نجم عن هذه التجربة كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر.

يتفق كلا من ابن خلدون والجبرتي في النقاط التالية: التاريخ في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والملوك في دولهم... حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك. وأخذ العبرة بتلك الأحوال، والتنصّح بها، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلّبات الزمن ليحترز العاقل عن مثل أحوال الهالكين من الأمم المذكورة السالفين، ويستجلب خيار أفعالهم، ويتجنّب سوء أقوالهم.

يظهر ابن إيّاس وسط هذين المؤرّخين ليؤكّد فكرتيهما حينما كان يعلل في أسباب سقوط دولة المماليك.

ومثله يقول الجبرتي في مقدّمة كتابه ((اعلم أن التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم، ورسومهم وعاداتهم، وصنائعهم وأنسابهم ووفياتهم. وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم. والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية من حيث هي، وكيف كانت وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصّح بها، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلّبات الزمن ليحترز العاقل عن مثل أحوال الهالكين من الأمم المذكورة السالفين، ويستجلب خيار أفعالهم ويتجنّب سوء أقوالهم ويزهد في الفاني، ويجتهد في طلب الباقي..))[1]

فعلم التاريخ من هذا المنطلق علم اجتماعي، باعتباره محاولة منظمة لمعرفة وتحقيق الحوادث الماضية عن طريق ربط كل واحدة منها بالأخرى والكشف عن مختلف تأثيراتها على تشكيل ومسيرة الحضارة الإنسانية. لذلك لا يمكننا فصل علم التاريخ عن المنهج التاريخي. وذلك باعتبار أن البحث أو التقصي العلمي وسيلة موضوعية هدفها الوصول إلى نتيجة أو قانون أو قاعدة عامة فيما يسمى بالحقيقة التاريخية.

نستنتج من ذلك، أن التاريخ دراسة للتطور البشري في جميع جوانبه السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الفكرية والروحية، أياً كانت معالم هذا

1: محمد قنديل البقلي: **المختار من تاريخ الجبرتي**. ط2. مطبعة دار الشعب. الإسكندرية 1993. ص3.

التطور وظواهره واتجاهاته. (1)

2ـ معنى كلمة منهج:

أصل الكلمة يونانيا، استعملها أفلاطون بمعنى البحث أو النظرة أو المعرفة كما استعملها أرسطو بمعنى (بحث). والمراد بها الطريق أو المنهج المؤدّي إلى الغرض المطلوب. وهو طائفة من القواعد العامّة تتبع من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم.

تطوّر هذا العلم عبر مراحل كانت فاتحته عصر النهضة الأوربية، من خلال ما قام به **راموس (1515-1572)** الذي قسّم المنطق إلى أربعة أقسام: التصوّر؛الحكم؛البرهان والمنهج. حيث طالب بدراسة المنهج في آثار أصحاب البلاغة والعلم والرياضيات، لكنه لم يحدد منهج دقيق للعلوم بل اهتم بالمنهج في البلاغة والأدب ولم يهتم كثيرا بالملاحظة والتجربة.

1: رأفت غنيمي الشيخ: **فلسفة التاريخ**. دار الثقافة للنشر والتوزيع. القاهرة. 1987. ص07.

يقول الجبرتي عن مفهوم علم التاريخ ((ان التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم، وعاداتهم، وصنائعهم، وأنسابهم، ووفياتهم، وموضوعه أحوال الأشخاص الماضين من الأنبياء والأولياء والعلماء... وغيرهم. والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية من حيث هي، وكيف كانت. وفائدته العبرة بتلك الأحوال، والتنصّح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن، ليعتبر العاقل عن مثل أحوال الهالكين من الأمم المذكورة السالفين، ويستجلب خيار أفعالهم، ويجتنب سوء أقوالهم...)) فهو بذلك يؤكد على أن فائدة التاريخ هي العبرة من الأحداث السالفة والتنصّح بها. للمزيد ارجع إلى: عمر عبد العزيز عمر. **دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر (1517-1952)**. دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1989. ص75 وما بعدها.

ثم جاء بيكون [1] فصاغ قواعد المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية بكل وضوح وسنه في كتابه (الأورغانون الجديد) (Novum Organum) سنة 1620، كما حاول ديكارت أن يكتشف المنهج المؤدي إلى حسن السير بالعقل والبحث عن الحقيقة في العلوم وله في ذلك كتاب ((مقال في المنهج)) سنة1637، ثم جاء أصحاب منطق بور رويال فعنوا بتحديد المنهج بكل وضوح حيث وضعوا أدوات علمية لبناء منهج من خلال علم المنطق. وظهر ذلك في كتابهم (المنطق. أو فن التفكير الصحيح) وجعلوه القسم الرابع من منطقهم. وعرّفوه كما يلي: المنهج هو ((فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة، حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين)) [2]

3ـ **تعريف المنهج التاريخي**:

يقصد به البحث في أحداث التاريخ الماضية، وتحليل الحقائق المتعلقة بالمشكلات الإنسانية والقوى الاجتماعية التي شكلت الحاضر. للوصول إلى المبادئ والقوانين العامة. ويرجع الباحث إلى التّاريخ عبر محاولة تأكيد الحوادث الفردية (المنفردة) وغيرها، إلى تصوير الأحداث والشخصيات الماضية بصورة تبعث فيها الحياة من جديد، ويحاول تحديد

1: **فرانسيس بيكون:** (1561–1626) فيلسوف ورجل دولة وكاتب انجليزي. مؤسس المنهج الاستقرائي المنادي بوجوب انتهاج الملاحظة العلمية والتجريب. من أهم مؤلّفاته "الأورغانون الجديد" 1620.

2: عبد الرحمان بدوي: **مناهج البحث العلمي**. ط3، وكالة المطبوعات. الكويت. 1977. ص– ص 4.3.

الظّروف التي أحاطت بجماعة من الجماعات أو بظاهرة من الظواهر منذ نشأتها لمعرفة طبيعتها وما تخضع له من قوانين.

4ـ منهج البحث التاريخي:

و يسمى أيضا المنهج الإستردادي وهو الذي نقوم فيه باسترداد الماضي تبعا لما تركه من أثار، أيا كان نوع هذه الآثار. وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية والأخلاقية. ويعتمد في الأساس على استرداد ما كان في الماضي ليتحقق من مجرى الأحداث. ولتحليل القوى والمشكلات التي صاغت الحاضر. (1)

فمنهج البحث التاريخي هو مجموعة الطرق والتقنيات التي يتبعها الباحث والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية. وإعادة بناء الماضي بكل وقائعه وزواياه. وكما كان عليه زمانه مكانه. ويجمع تفاعلات الحياة فيه. وهذه الطرق قابلة دوما للتطور والتكامل مع تطور جموع المعرفة الإنسانية وتكاملها ومنهج اكتسابها.

1: من هذا المنطلق كان عمل ابن إيّاس، ونجد عمله جليا في توضيح الفترة التي عاصرها بحيث أوضح لنا الأسباب البعيدة والقريبة لأفول دولة المماليك في مصر والشام، وأرجع أسباب الدخول العثماني لمصر، إنما كان تحصيل حاصل لما اقترفه المماليك من أخطاء وسوء إدارة في الحكم وإثقال كاهل العامّة بالضرائب والمؤامرات التي كانت قائمة فيما بينهم بسبب التنازع على الحكم. هذه القاعدة العامة صاغها ابن خلدون بقوله: « إن الظلم مؤذن بخراب العمران والعمران يفسد بفساد العوامل التي تصنعه، والفساد يؤدي إلى الخراب وهرم الدولة وشيخوختها»

❖ المبحث الأوّل: مولده ونسبــه.

هو محمد بن أحمد بن إياس الحنفي الناصري الملقب بأبو البركات. جدّه الأمير إياس الفخري الظاهري[1]. مؤرخ مصري المولد والنشأة، ولد في القاهرة في 6 ربيع الثاني سنة 852هـ (8 جوان 1448م)، [2] وتوفي حوالي سنة 930هـ 1524 ميلادي.

1: محمّد بن أحمد ابن إيّاس: **نزهة الأمم في العجائب والحكم**. تقديم وتحقيق محمد زينهم ومحمد عزب. ط1. مكتبة مدبولي. القاهرة. 1995. ص5.

أنظر أيضا، محمّد بن أحمد بن إيّاس: **بدائع الزهور في وقائع الدهور**. تحقيق محمّد مصطفى. ج2. ط1. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. 1972. ص. 263. يقول فيها ((وفي ربيع الآخر من هذه السنة، كان مولد الناصري محمد بن أحمد بن إيّاس، مؤلّف هذا التاريخ، وذلك في يوم السبت سادس الشهر بعد طلوع الشمس، وسمّاه والده محمد أبي البركات)) كما يذكر في الصفحة271–272 ((وفيه، في ثاني عشر، كانت وفاة جدّ الناصري محمّد بن الشهابي أحمد مؤلّف هذا التاريخ، وهو الفخري إيّاس من جنيد، وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق وقرر في الداوادارية في دولة الملك الناصر فرج... وعاش من العمر نحوا من خمس وثمانين سنة)) .

أنظر أيضا: الصفحة الأولى من مقدّمة كتاب:

W. H. Salmon: **An account of the ottoman conquest of Egypt in the year A. H. 922 (A. D. 1516)** . The royal asiatic society. 1921. page01.

2: على عكس مؤرخي عصره – ابن حجر العسقلاني، السخاوي والسيوطي– لم يترجم ابن إيّاس لنفسه ولا لأحد من عائلته ترجمة وافية . فهو يقول عن نفسه في الجزء الثاني من كتابه بدائع الزهور الطبعة الأولى من مطبعة بولاق. 1311هـ/1894م، الصفحة الثلاثون عند ذكر أخبار سنة 852 هجري "وفي هذه السنة كان مولدي وذلك في يوم السبت سادس ربيع الآخر من السنة المذكورة هكذا نقلته من خط والدي رحمه الله". فلماذا لم يهتم ابن إيّاس بوضع ترجمة لنفسه؟ في حين نرى أن السخاوي في مؤلفه (الضوء اللاّمع) الجزء الثامن يعطينا ترجمة عن نفسه، والشيء نفسه فعله السيوطي في كتابه (حسن المحاضرة) الجزء الأوّل الصفحة (335 إلى 344). فالرّاجح أنه كان مهتما أكثر بكتابة التاريخ عن الترجمة لنفسه.

لم تحدد المصادر التاريخ الذي توفي فيه ابن إياس، ولكن الرّاجح أنه توفي بعد سنة 928هـ (1522م)، كونها السنة التي أرّخ بها الانتهاء من كتابة الجزء الحادي عشر - (حسب التجزئة الأصلية للمؤلف)- من بدائع الزّهور بقوله في نهاية الكتاب: " يتلوه الجزء الثاني عشر من بدائع الأمور في وقائع الدّهور، وكان الفراغ من هذا الجزء في يوم الأربعاء سلخ ذي الحجة الحرام سنة ثمان وعشرين وتسعمائة "[1]

ويعتبر ابن إياس أشهر وأهم المؤرخين في مصر في العصور الوسطى اللذين أرخوا للعصر المملوكي، وبالذّات في نهاياته أي فترة الدخول العثماني لمصر سنة 1517، ثم الحكم العثماني لها. وهو آخر رواد مدرسة التاريخ الوطني المصري التي يرأسها المقريزي. [2]

نشأ ابن إياس في وسط مملوكي بحت من أسرة ذات شأن، تولى بعض أفرادها مناصب عالية، وكان من مشاهير أولاد الناس كثير العشرة

1: محمد بن أحمد بن إيّاس: **بدائع الزهور في وقائع الدهور**. تحقيق محمّد مصطفى. ج5. ط2. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. 1961. ص10.

ينوّه المحقق هنا أنه قد اعتمد في نشر هذا الجزء الخامس على المخطوط رقم 4199 المحفوظ في مكتبة جامع الفاتح باسطنبول، وهو بخط المؤلّف ابن إيّاس.

2: **المقريزي**: هو تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي. (1358م-1441). مؤرخ مصري المولد والنشأة. له العديد من المؤلّفات التاريخية من بينها السلوك لمعرفة دول الملوك عقد جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط؛ اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا وإغاثة الأمّة بكشف الغمّة. والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

للأمــراء وأربــاب الدولــة[1]، وجــدّه الأول هــو عــز الــدين أَزْدَمُــر العُمَــري الناصــري، المعــروف بــأبي ذَقْــن والشــهير بالخازنــدار، جــيء بــه مملوكــاً إلــى مصــر، قبـل النصـف الأول مـن القـرن الثـامن الهجـري/ الرابـع عشـر المـيلادي وهـو جـد والـد المـؤرّخ ابـن إيـاس لأمـه. وكـان مـن مماليـك السـلطان الناصـر محمــــد بــــن قـــــلاوون (693- 741هـ/1293- 1340م)، لـــــذلك لقــــب بالناصـري. أمـا لقبـه العُمَري فهـو نسـبة إلـى الخواجـا عمـر تـاجر المماليـك الـذي أحضـره. أمـا جـده الأميـر إيـاس الفخـري، فكـان مـن مماليـك السـلطان الظـاهر برقـوق[2]. وقـد ترقَّـى فـي وظـائف الدولـة حتـى بلـغ «الدواداريـة الثانيـة»[3] أيـام السـلطان الناصـــر فــرج بــن برقــوق (801- 815 هــ/1399- 1412 م). ووالـد المـؤرخ هـو أحمـد شـهاب الـدين. ولا يـذكر ابـن إيـاس شـيئاً كثيـراً عـن والـده

1: عبد العزيز محمود عبد الدايم: **مصر في عصري المماليك والعثمانيين 1250-1517/ 1517-1798**. مكتبة نهضة الشرق، القاهرة. 1996. ص-ص23، 22.

2: **الملك الظاهر:** أبو سعيد سيف الدين برقوق بن آنص العثماني اليلبغاوي الجركسي. السلطان الخامس والعشرون من سلاطين المماليك في مصر والشام، وأول السلاطين الشراكسة (البرجية) تسلم السلطنة سنة 784 هـ/ 1382 للميلاد، إلى غاية سنة801هـ/1399م، وتلقب بالملك الظاهر. كان عهدا السلطان برقوق حافلا بأحداث داخلية وخارجية. محاولات تمرد وانشقاق ومنازعات بين كبار أمراء المماليك الأتراك والشراكسة من أجل السلطة بالداخل. وخطر تيمورلنك بالخارج.

3: **الدوادار:** هو حامل دواة السلطان أو الأمير. مهمته إبلاغ الرسائل وتقديم القصص والشكاوى إليه. أنظر حسين عاصي. **ابن إيّاس مؤرخ الفتح العثماني لمصر**. دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ط1. 1993. ص173.

سوى أنه كان من مشاهير «أولاد الناس». [1] ويضيف ابن إياس إلى أوصاف والده، أنه كان كثير العشرة للأمراء وأرباب الدولة وأنه عاش أربعاً وثمانين سنة وتوفي في 13 شعبان 908 هـ (11 فبراير 1503م) وخلّف ثلاثة أولاد هم: محمد المؤرخ وأخوه الجمالي يوسف[2]، وأخت لهما.

❖ المبحث الثاني: تعليمه وشيوخه.

تعليمه:

لم يذكر ابن إياس في كتابه شيئاً عن طفولته، أو شبابه، أو مسيرة حياته. عدا أنه حج سنة 882هـ/1478م، وعاد إلى القاهرة سنة 883هـ/أفريل 1478م وسجل ما لاقاه الحُجَّاج في ذلك العام من شدائد وما رآه في الديار المقدسة من اضطرابات.

درس الفقه والتاريخ على يد مجموعة من الشيوخ، أبرزهم جلال الدين السيوطي[3]. ولم يبد كأسلافه براعة خاصة في فرع معين من الفنون والآداب. غير أنه كان له ميول خاص إلى التاريخ والجغرافيا. فكان على معرفة بعلم الفلك والجغرافية، بدليل خوضه في طرف يسير

1: **أولاد الناس**: اصطلاح مملوكي يطلق على أبناء الأمراء المتقاعدين (الميسورين بما ورثوا) شبيهون بـ«أجناد الحلقة» (عساكر من الدرجة الثانية) الذين يكوِّنون في النظام المملوكي نوعاً من الرديف العسكري الذي يرتبط مباشرة بالسلطان.

2: وقد عُيِّن «زردكاش» في الدولة أي حافظاً للسلاح.

3: هو جلال الدين أبو الفضل بن أبي بكر بن محمد الخضيري الأسيوطي المصري الشافعي ولد سنة 849هـ/1445 وتوفي سنة 911هـ1505م من مؤلفاته حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة وتاريخ الخلفاء وبغية الوعّاة في طبقات اللغويين والنحاة.

منها في كتابه«نشق الأزهار في عجائب الأقطار»[1]؛ كما كان مطّلعاً على عدد كبير من الكتب التاريخية وعارفاً بمؤلفيها، بدليل ما كان يذكره من أسمائهم ومؤلفاتهم التي كان يرجع إليها في سرد بعض الوقائع مما لم يعاصره. وقد اتّجه إلى التاريخ لأنه كان المركب الأسهل الخالي من ضرورات الإسناد كالحديث وتعقيدات الفقه، وقسوة اللّغة وفهم أسرارها[2].

كان ابن إياس ذا ميول أدبية، وتذوق مرهف للشعر، ويبدو هذا جليّاً في ترجمته لكثير من الشعراء، وفي شرحه لإنتاجهم، وفي حفظه لأشعارهم واستشهاده بها في كثير من المناسبات[3]. وكان هو نفسه ينظم الشعر، وقد تضمن كتابه «بدائع الزهور» الكثير منه. وقد طرق معظم أغراض الشعر كالمديح والرثاء والوصف والحكمة ونظم المواليا. [4]

شيوخه:

لا يُعرف عن شيوخ ابن إياس وثقافته سوى أنه كان من المداومين على حلقات العلم، كما تتلمذ على يد المؤرخ والعالم الكبير عبد الرحمن

1: أنظر الملحق رقم: 10-11-12، ص- ص 140-141- 142.

2: مصطفى شاكر: **التاريخ العربي والمؤرّخون**. ج3. ط1 . دار العلم للملايين. بيروت. 1990. ص. 196.

3: يستشهد بقصيدة من نظم الشيخ بدر الدين الزيتوني، رثى فيها الملك الأشرف قانصوه الغوري مكوّنة من 117 بيت من ص96 إلى ص101. من كتاب بدائع الزهور. ج5.

4: **المواليا**: نوعٌ من الشِّعْرِ العامِّيَّ يتميز باستخدامه للكثير من المحسنات اللفظية والتورية والجناس نَشأَ في العصر العباسي، وهو من بحر البسيط، وأَجزاؤه مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلْ بسكون آخره مرتين كان العبيد يتغنّوْنَ به في أسفارهم أو في أثناء عملهم .

السيوطي[1]، والعالم الأديب زين الدين عبد الباسط بن الغرس خليل بن شاهين[2]. وقد ترجم لهما عند وفاتهما وأشار إليهما في مناسبات عدة في كتابه. ويستخلص من المعلومات التي أوردها في مؤلَّفه «بدائع الزهور» أنه كان على إطلاع واسع على علوم عصره وعلمائه وأدبائه ومتصوفيه. فقد ترجم كثيراً منهم، ومن السابقين لعصره وأوضح مختلف المعارف التي كانوا يجيدونها، والمؤلفات التي صنّفوها.

❖ **المبحث الثالث**: **مؤلّفاتـه ومصادره**.

أوّلا: **مؤلّفاتـه**:

ترك ابن إياس سبعة مؤلَّفات كلها ذات طبيعة تاريخية، وهي:

1. «بدائع الزهور في وقائع الدهور»: وهو أهم مؤلفاته. اعتمد فيه على مجموعة من المصادر ذكرها في مقدّمة كتابه بسبعة وثلاثين كتابا. إضافة إلى مصادر أخرى ذكرها في الجزء الرابع والخامس من كتابه. وجاء هذا العنوان في الواقع مماثلاً لعنوان مؤلَّف تاريخي لأستاذه السيوطي ذكر هو الآخر في مقدمته: «بأنه انتقاه من اثنين وثلاثين تاريخاً، ودوّن فيه نوادر الوقائع من مبدأ الخلق إلى زمانه 1522، إلا أنه لم يكمله». [3]

1: جاء ذكره في كتابه بدائع الزهور، الجزء الثاني. ص289 بقوله: ((وفي صفر توفي كمال الدين الأسيوطي والد شيخنا جلال الدّين الأسيوطي...))

2: (ت 920هـ/1514م).

3: حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. تصحيح محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي. ط4. دار إحياء التراث العربي. بيروت لبنان. 1941. ص229.

يعتبر الجزء الأخير من مؤلف ابن إياس" بدائع الزهور" أهم ما كتب في تاريخ مصر عن موضوع الدخول العثماني.

2. «مرج الزهور في وقائع الدهور»: وهو تاريخ للرسل والأنبياء. وشك بعض الباحثين في نسبته إليه. وهو تاريخ شعبي للأنبياء والرسل.

3. نشق الأزهار في عجايب الأقطار، ويسمى أيضا " خريدة العجائب وبغية الطالب" أتم تأليفه في شهر شعبان عام 922هـ (12 سبتمبر 1516). يتضمن أخبار وفوائد عن بعض البلدان، وفيه ذكر أخبار أموال خراج أراضي مصر ونبذة في أخبار زيادة النيل. (1) طبع قسم من الكتاب مع ترجمة فرنسية في باريس سنة 1807 م بعناية الأستاذ لانكلس. (2)

وقد ذكر حاجي خليفة في كتابه «كشف الظنون»، أن ابن إياس قد أخذه من "تاريخ الأمم". وهو كتاب عن جغرافية مصرو مناطق أخرى، منها الأندلس. وذكر فيه أغرب ما سمعه، وأعجب ما رآه من عجائب مصر وأعمالها وما صنعت الحكماء فيها. وذكر فيه طرفاً يسيراً من أخبار ملوكها القدماء، ومن أخبار زيادة النيل والأهرام وابتدأ فيه بذكر طرف يسير من أخبار علم الفلك أوالهيئة. وقد استخدم كثيرا من علماء أوربا هذا الكتاب في القرن التاسع عشر.(3)

1: أنظر الملحق رقم: 10-11-12. ص- ص 140- 142.

2: أنظر الملحق 10-11. ص- ص. 140- 141.

3: قال في مطلعه: "... لمّا طالعت كتب تواريخ الأمم الخالية ورأيت ما فيها من العجائب المتوالية، فأحببت أن أجمع كتابا أذكر فيه من أعجب ما سمعته وأغرب ما رأيته، قاصدا فيه الاختصار... "*مصطفى شاكر: **المرجع السابق**. ص198. أنظر الملحق رقم 12 ص 142.

4. نزهة الأمم في العجائب والحكم: وهي مخطوطة لا توجد منها سوى نسخة واحدة في اسطنبول، قام بتحقيقها والتقديم لها الدكتور محمد زينهم ومحمّد عزب، وصدرت عن مكتبة مدبولي في كتاب طبعته الأولى سنة 1995 ويتناول تاريخ العالم بشكل مختصر. تتناول هذه المخطوطة حياة مصر منذ بدأ الخلق حتى نهاية القرن العاشر الهجري.

5. «جواهر السلوك في أخبار الخلفاء والملوك»: وهو مختصر لـ «بدائع الزهور».

6. «المُنْتَظم في بِدء الدنيا وتاريخ الأمم»، وهو في ثلاثة أجزاء، ويشك في نسبته إليه، ومنه نسخة واحدة.

7. ـ عقود الجمان في وقائع الأزمان[1]. وهو ملخّص مستقل في تاريخ مصر في المرحلة (654- 904هـ/1256- 1498م). ذكره إسماعيل باشا البغدادي في «إيضاح المكنون»[2].

غير أن أشهر مؤلفاته، موسوعته التاريخية المسماة (بدائع الزهور في وقائع الدّهور) والتي تُعرف أحياناً بتاريخ ابن إياس. وأشهر ما فيها الجزء الخامس الخاص بالدّخول العثماني لمصر والشام ونهاية دولة المماليك. [3]

1: ولبدر الدين العيني كتاب بنفس هذا العنوان.

2: هو إسماعيل باشا بن محمد أمين بن سليم البابانى أصلا، البغدادي مولدا. مؤرّخ وأديب وعالم بالكتب ومؤلّفيها. صاحب كتاب إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون" استغرق في جمعه حوالي 30 عاما. (1878/1912).

3: اعتمادا على طبعة (دار إحياء الكتب العربية) تحقيق محمّد مصطفى، المكونة من خمسة أجزاء في ست مجلّدات والتي سدّ فيها كل النقائص التي ظهرت في طبعات سابقة باعتماده على المخطوطات الأصلية في التحقيق.

ثانيا: مصادره:

كانت مصادر مؤلفاته متنوّعة؛ فقد اعتمد في كتابه (مرج الزهور في وقائع الدّهور) على الطبري وابن كثير في قصص الأنبياء. وتأثر في كتابه (نشق الأزهار في عجائب الأقطار) بالجزء الأول من تاريخ المسعودي الذي تكلم فيه عن جغرافية مصر والعالم وتاريخ مصر الفرعونية. كما اعتمد عليه في كتابه بدائع الزهور[1]. وكتاب (نزهة الأمم في العجائب والحكم) وكتاب (المنتظم في بدء الدنيا وتواريخ الأمم) وتأثر فيهما بتاريخ الإمام ابن الجوزي[2].

كما تأثر بكتاب المقريزي "السلوك" في تأليفه لجواهر السلوك في أخبار الخلفاء والملوك. [3] واعتمد على كتاب العيني"عقد الجمان في تاريخ أهل الزّمان " في كتابه عقد الجمان في وقائع الزّمان. ويذكر بن إياس في القسم الأوّل من الجزء الأوّل من بدائع الزهور كلا من ابن عبد الحكم، وابن لهيعة[4] والليث بن سعد في ذكر ابتداء دولة الإسلام في

1: يذكر ابن إيّاس المسعودي في كتابه بدائع الزهور في الجزء الأوّل من القسم الأوّل عند ذكر ابتداء دولة الأقباط بمصر. حيث يقول في الصفحة 87: (قال المسعودي: لما هلكت دولة بنت ريا، ملكوا القبط بعدها مصر ستمائة وست وعشرين سنة... آخرهم المقوقس...)

2: ابن إياس: **بدائع الزهور في وقائع الدهور**. تحقيق محمد مصطفى. ج1القسم1. ط1. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. 1975. ص236. ((قال ابن الجوزي لما أعيدت الخطبة لبني العبّاس صنّفت في هذه الواقعة كتابا وسميته "النصر على مصر".

3: **نفسه**: ص246. ((ومن الحوادث ما نقله المقريزي في الخطط، أن في سنة خمس وثمانين وخمسمائة، احترق بحر النيل احتراقا عظيما...))

4: **نفسه**: . ص–ص. 101/100. (قال ابن عبد الحكم: لما أبطأ خبر الفتح على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب... قال ابن لهيعة لما توجه عمرو بن العاص إلى فتح الإسكندرية...)

مصـر [1] والواقـدي[2]. رجـع أيضـا إلـى وهـب بـن منبّـه فـي كتابـه بـدائع الزهور[3] واعتمد أيضا على السيوطي[4]وابن عساكر[5].

مـن بـين المصـادر التـي اعتمـد عليهـا بـن إيـاس، شـمس الـدين الـذهبي والكندي وابن خلكان وابن الأثير. [6]

❖ المبحث الرابع: خصائص عصر ابن إياس.

لكـي يتسـنى لنـا دراسـة مـنهج ابـن إيـاس فـي كتابـة التـاريخ، لا بـدّ لنـا مـن إلقـاء نظـرة علـى العصـر الـذي عـاش فيـه وأحوالـه السياسـية والاقتصـادية والاجتماعية والثقافية والظروف التي أحاطت بنشأته.

1: ابن إياس: **مصدر سابق.** تحقيق محمد مصطفى. ج1 القسم1. ص96. (قال الليث بن سعد: أقام عمر بن العاص يحاصر الحصن ستة أشهر...) أنظر أيضا **المصدر نفسه** الصفحة 89.

2: **نفسه.** ص–ص. 91؛ 92 . (قال الواقدي: إن المقوقس بعث رسوله مع الهدية، حتى نظر إلى خاتم النبوّة بين كتفي رسول الله...)

3: **نفسه.** ص 82 (قال وهب بن منبه: كان أصل فرعون من مدينة بلخ وقيل من أرض حوران...)

4: **نفسه.** ص112. يذكره عند ذكر سنة 25 هجرية وولاية عبد الله بن أبي سرح على مصر بقوله: (نقل الشيخ جلال الدين الأسيوطي: أن عبد الله هذا أسلم قديما...)

5: **نفسه.** ص29 (قال ابن عساكر في تاريخه: ويمكن أن أيوب دخل مصر، فان رحمة زوجة أيوب كانت بنت منشأ بن يوسف عليه السلام...)

6: **نفسه.** ص. 180 (قال الشيخ شمس الدين الذهبي: إن كافور كان خصيا حبشيا، اشتراه الإخشيد من بعض أهل مصر بثمانية عشر دينارا). ثم يقول (ص183): (قال الكندي: كان من آثار عجائب مصر حوض من رخام أخضر). ثم يقول (ص242): (قال ابن الأثير: لما دخلت سنة اثنين وسبعين وخمسمائة شرع الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في بناء سور القاهرة بالحجر).

شـــهد مؤرخنـــا ابـــن إيـــاس مـــرحلتين حـــرجتين فـــي تـــاريخ مصـــر. مصـر المملوكيـة ثـم مصـر العثمانيـة. وبمـا أنـه فـي سـرده لأحـداث الـدخول العثمـاني لمصـر يُرجـع أسـبابه إلـى سـوء الحكـم وفسـاد الحكـام، واسـتنكار الشـعب مـن الأوضـاع السياسـية الاقتصـادية والاجتماعيـة التـي كـان يعيشـها الشعب، فإننا نراه وكأنه يؤكد على صحّة نظرية سابقه ابن خلدون. [1]

وتعـد هـذه الفتـرة بالفعـل حرجـة فـي تـاريخ مصـر بشـكل خـاص والمشـرق العربـي بشـكل عـام، نظـرا للعوامـل الداخليـة والخارجيـة التـي أحاطـت بدولـة المماليك.

فكيـف وصـل المماليـك إلـى الحكـم، وكيـف كـان طـابع حكمهـم؟ كيـف تحوّلت دولتهم من القوّة إلى الانهيار؟

1: يوضح ابن خلدون في مقدمته، على أن دراسة التاريخ ضرورية لمعرفة أحوال الأمم وتطور هذه الأحوال بفعل العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية .فهو يركز على موضوع الاستبداد والبطش الذي يقوم به السلطان ضد شعبه وأثر ذلك في الشعب. ويشرح كيف أن بعض السلاطين ينافسون رعيتهم في الكسب والتجارة. ويسَخرون القوانين لخدمة مصالحهم الخاصة وتسلطهم على أموال الناس، وإطلاق يد الجند في الأموال العامة، مما يرسخ الشعور بالظلم والإحساس بالحقد لدى الشعب .فابن خلدون يوضح أن هذه العوامل الداخلية هي التي تؤدي إلى الخلل في أحوال الدولة أكثر من العوامل الخارجية . لأن المجتمع الذي يعاني من خلل داخلي لا يستطيع مجابهة عدوٍ خارجي. كما يرى ابن خلدون أن الظلم مؤذن بخراب العمران والعمران يفسد بفساد العوامل التي تصنعه، والفساد يؤدي إلى الخراب وهرم الدولة وشيخوختها. وبالتالي فقد كان ابن إيّاس موضوعيا في طرحه عند تفسيره لما آل إليه ملك مصر وأسبابه البعيدة، وبشكل خاص ما جناه المماليك على أنفسهم. إلا أن الكثير من المؤرخين يجمعون على أن مصر العثمانية كانت أحلك فترة في تاريخ مصر في كل الميادين. والرأي الراجح هو أن عصر المماليك الشراكسة أو الدولة المملوكية الثانية وصل إلى الحضيض في هذه الفترة وأن العثمانيين أبقوا على المماليك في الإدارة فاستمر الفساد.

*** كيف توصّل المماليك إلى حكم مصر والشام**:

استخدم الخلفاء العباسيون الأوائل المماليك، واعتمدوا عليهم في توطيد دولتهم واستعانوا بهم في الجيش والإدارة، ولعلَّ الخليفة المأمون العباسي (198-218هـ 813-833م) هو أوّل من استعان بهم، ثم استكثر منهم الخليفة المعتصم (218-227هـ= 833-843م) وشكّل بهم فرقا عسكرية من الأتراك. فلمّا ضاقت بهم بغداد، نقلهم المعتصم معه إلى "سامراء". ومن ثم شاع استخدام المماليك في العالم الإسلامي وأصبحوا هم الأداة العسكرية الرئيسية في كثير من البلاد الإسلامية.

وكانت مصر ممن انتهجت هذا النهج، فأكثر "أحمد بن طولون" الذي تولَّى حكم مصر سنة 254هـ/ 868م من شراء المماليك الديالمة[1]، حتى بلغ عددهم أكثر من 24 ألفا، والتزم الإخشيديون سُنة أسلافهم الطولونيين في جلب المماليك الأتراك والاستعانة بهم في الجيش. وعندما تولّى الصالح نجم الدين أيوب[2] حُكم مصر، عُني بالإكثار من شراء المماليك الأتراك بعد أن ساندوه في توطيد سلطانه

1: سكان منطقة بحر قزوين.

2: **الصالح نجم الدين أيوب**: هو السلطان الملك الصالح نجم الدين ابن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب؛ ولد سنة 603هـ بالقاهرة. سابع سلاطين الديار المصرية من الأيوبيين. حَكَمَ مصر ما بين (638-647هـ/1240 – 1249م). استعد لمواجهة لويس التاسع الذي جهز حملة صليبية (السابعة)على مصر والقدس. غير أن المنية قد وافته في رباطه فخلفه ابنه توران شاه الذي قضى على هذه الحملة.

حتى صار معظم جيشه منهم، [1] وبني لهم قلعة خاصة بجزيرة "الروضة" في وسط النيل وأسكنهم بها وجعلها مقرا لحكمه. وعُرف هؤلاء المماليك الجدد باسم "المماليك البحرية الصالحية"[2]. وقد برز هؤلاء المماليك البحرية وتعاظم شأنهم في خضم أحداث الحملة الصليبية السابعة ضد مصر التي مُنيت بهزيمة بالغة سنة 648هـ – 1250م وانتهت بأسر الملك "لويس التاسع" قائد الحملة في المنصورة وتبددت قواته اثر معركة فارسكو قرب المنصورة.

1: كان الملك الصالح نجم الدين أيوب يستعين بالجنود الخوارزمية الذين كانوا قد فرُّوا من قبلُ من منطقة خوارزم بعد الاجتياح التتري لها، وكان هؤلاء الجنود الخوارزمية جنودًا مرتزقة يعرضون خدماتهم العسكرية مقابل المال ويتعاونون مع من يدفع أكثر. فاستعان بهم الملك الصالح أيوب بالأجرة في حربه ضد قوى التحالف الصليبية سنة642هـ ، في موقعة غزّةوانتصر فيها الملك الصالح انتصارًا باهرًا وحرَّر بيت المقدس نهائيًّا ودخل دمشق ووحّد مصر والشام من جديد. وما لبث أن انشقت عن جيشه فرقة الخوارزمية وذلك بعد أن استمالها أحد الأمراء الأيوبيين بالشام مقابل دفع مال أكثر مما يدفعه لهم الصالح أيوب بل حاربت الصالح أيوب نفسه، ولم يثبت معه في هذه الحرب إلا جيشه الأساسي الذي أتى به من مصر وعلى رأسه قائده ركن الدين بيبرس. فأدرك الصالح أيوب أنه لا بد أن يعتمد على الجيش الذي يدين له بالولاء لشخصه لا لماله. فبدأ في الاعتماد على طائفة جديدة من الجنود بدلاً من الخوارزمية، وكانت هذه الطائفة هي: "المماليك. أنظر راغب السرجاني: **قصّة التاتار من البداية إلى عين جالوت.** ط01. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة. 2006. ص–ص. 211، 212.

2: كان المماليك في الاسم ينتسبون عادة إلى السيد الذي اشتراهم؛ فالمماليك الذين اشتراهم الملك الصالح يعرفون بالصالحية، والذين اشتراهم الملك الكامل يعرفون بالكاملية، والذين اشتراهم المعز عز الدّين أيبك يعرفون بالمعزية وهكذا. **المصدر نفسه** ص– ص 216–217.

تُوفي الصالح أيوب أثناء المعركة، فخلفه ابنه توران شاه في الحكم لكنه لم يحسن معاملة المماليك البحرية، وحسدهم على مكانتهم التي بلغوها بفضل شجاعتهم وقوة بأسهم وافتخارهم على أنهم كانوا سببا في النصر. وخشي من نفوذهم فأعرض عنهم. وكان يجاهر بفكرة قتلهم والتخلص منهم. فتخوّف المماليك من نواياه، واستقر رأيهم على قتله قبل أن يتخلص هو منهم. وتآمرت معهم شجرة الدر ونجحوا في قتله[1]. وبمقلته انتهت الدولة الأيوبية في مصر، وبدأ عصر المماليك الذي تخفى أوّلا تحت شجرة الدّر[2]. فبايعوها بالسلطنة **في 2 صفر 648هـ (5 ماي 1250م).**[3] ثم تنازلت شجرة الدّر عن الحكم مرغمة للأمير"عز الدين أيبك" أتابك العسكر الذي تزوجته وتلقب بالملك المعز. [4] لكن لم تهدأ أصوات المعارضين لانفراد المماليك بالحكم، بل زاد حدّة، وخرجت الشّام من حكم مصر مباشرة بعد وفاة توران شاه. فكان على السلطان الجديد للدولة الوليدة أن يواجه بحزم خطر الأيوبيين في الشّام وتهديداتهم، وكانوا

1: محمّد سهيل طقّوش: **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** 1250-1517. ط1. دار النفائس. بيروت. 1997. ص33.

2: **شجرة الدر**: كانت جارية اشتراها السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وحظيت عنده بمكانة عالية حتى أعتقها وتزوجها . تولت عرش مصر بعد وفاة السلطان الصالح أيوب ومقتل توران شاه لمدة ثمانين يوماً بمبايعة من المماليك وأعيان الدولة، ثم تنازلت عن العرش لزوجها المعز أيبك التركماني سنة 648 هـ (1250م).

3: محمّد سهيل طقّوش: **المرجع نفسه**. ص36.

4: لم يستسغ أهل مصر وأمراء الأيوبيين في الشام، وحتى الخليفة العباسي المستعصم ولاية امرأة أصلها جارية فتزوجت من عز الدين أيبك وتنازلت له عن الحكم، وأصبح سلطانًا على مصر. وبذلك وصل المماليك إلى حكم مصر خلفًا للأيوبيين .

قد اجتمعوا تحت زعامة "الناصر يوسف" صاحب حلب ودمشق لاسترداد مصر من المماليك. وزحفوا على مصر، فالتقى معهم عز الدين أيبك بقواته في معركة بالقرب من الصالحية في (10 ذي القعدة سنة 648هـ) (2 فبراير 1251م) انتهت بانتصاره.

دفع هذا النصر الملك المعز إلى الزّحف نحو الشام للقضاء على المعارضة الأيوبية. غير أن تدخّل الخليفة المعتصم العباسي وضع حدًّا للنزاع بين الطرفين، فتم الصلح بينهما سنة 651هـ- 1253م. على أن تكون مصر والجزء الجنوبي من فلسطين بما في ذلك غزة وبيت المقدس وبلاد الساحل للمعز أيبك وتظل البلاد الشامية في أيدي الأيوبيين.

غير أن بعض المشاكل واجهت أيبك في الداخل، منها ازدياد نفوذ المماليك البحرية بزعامة "فارس الدين أقطاي" الذي هدد مكانة السلطان، [1] واشتد خطرهم حتى أصبح يهدد أمن الناس وسلامتهم وعجز السلطان عن مواجهتهم والتصدي لهم. بل شعر بالخطر وأحس بالخوف من ازدياد نفوذ "أقطاي"، مما دفعه إلى التخلص منه بالقتل في (3 شعبان 652هـ) (18 سبتمبر 1254م) فألقى هذا الحادث الرّعب في قلوب كبار المماليك البحرية.

بعد أن تخلص أيبك من القوى المناوئة له، دخل في صراع مع زوجته شجرة الدر، وبدأ يفكر في الخلاص منها، فدبرت مؤامرة لقتله في**(24 ربيع الأوّل**

1: محمّد سهيل طقّوش: **المرجع السابق**. ص47.

655هـ) (11 إبريـل1257م)، ثـم لـم تلبـث هـي الأخـرى أن قُتلـت مـن طـرف المماليك المعزية. [1]

بعد مقتل أيبك وزوجته شجرة الدر، تعصب المماليك المعزية لابن سيدهم المدعو "نور الدين علي" بن أيبك، وأقاموه سلطانا على البلاد. ولمّا تعرض الشرق الإسلامي لخطر المغول الذي اجتاح الشام، وأصبحت مصر على مقربة من هذا الخطر، قام "سيف الدين قطز" نائب السلطنة بعزل السلطان الصغير وتولى الحكم لمواجهة الخطر الدّاهم، وخرج إلى ملاقاة المغول في "عين جالوت" وحقق نصرا تاريخيا في **(26 رمضان658هـ الموافق لـ 3 سبتمبر1260م)**، وطرد المغول من المنطقة، وضمَّ الشام إلى سلطان المماليك الذين أصبحوا سادة الموقف وبيدهم مقاليد الأمور في مصر والشام.[2]

كان هذا هو الجو الذي استلم فيه المماليك الحكم. وقد اتّسم بالصراعات الداخلية والمؤامرات والمكائد والانقسامات بالداخل. في حين كانت الدولة عاجزة أمام الأخطار الخارجية. فكانت معركة عين جالوت منعرجا حاسما في تاريخهم سمحت لهم بالظهور على السّاحة العسكرية والسياسية.

1: محمّد سهيل طقّوش: **المرجع السابق**: ص- ص. 49-52.

2: نستنتج مما سبق أن المنطقة شهدت حالة من الاضطراب الداخلي والضعف، وفي الوقت نفسه شهدت أخطار خارجية انتهت بموقعة عين جالوت 1260 ليتم الإقتناع بوجود المماليك وبحكمهم وقوّتهم، لتبدأ الأوضاع في الاستقرار.

الفصل الثاني

ابن إياس وكتابه

- المبحث الأوّل: تقديم كتاب بدائع الزهور.
- المبحث الثاني: الغرض من تأليفه.
- المبحث الثالث: منهجه وأسلوبه في كتابه.
- المبحث الرابع: مصادره في الجزء الخامس من بدائع الزهور.

❖ المبحث الأوّل: تقديم كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور.

اهتم المؤرخون والمستشرقون والباحثون في العصر الحديث بهذا الكتاب، وكلفت جمعية المستشرقين الألمانية مجموعة من الباحثين التاريخيين في مصر بتحقيقه[1]، وبعد ما تم تحقيقه بطريقة علمية من سنة 1960 لسنة 1975 طبع في ست مجلدات. ولم يتم التحقيق بتسلسل، فمثلاً أوّل جزء تحقق كان الجزء الرابع سنة (1931) وآخر جزء تحقق كان الجزء الأوّل (1975). [2] وأعيد طبع الكتاب عن طريق مركز تحقيق التراث للهيئة المصرية العامة للكتاب.

طبع كتاب «بدائع الزهور» أول مرة في سنة 1301-1306هـ=1884- 1888م. وأعيدت طباعته في بولاق بالقاهرة سنة 1311- 1312هـ/1894وصدر في ثلاثة مجلدات، وطبع له فهرس الأعلام الواردة في الأجزاء الثلاثة. وقد ضم المجلد الأوّل، تاريخ مصر منذ العصور القديمة حتى 815هـ/1412م. والمجلد الثاني تاريخها من 815- 906هـ=1412- 1501م. والمجلد الثالث تضمّن تاريخ مصر في السنوات 922- 928هـ=1516- 1522م، حتى حكم آخر سلطان مملوكي وهو الأشرف طومان باي. كما طبع عدّة مرات أخرى بعدها وكانت ناقصة. ثم طبع عدة طبعات بتحقيق وفهرست محمد مصطفى

1: من بينهم: باول كاله وموريتس سوبرنهايم.

2: ابن إيّاس: **بدائع الزهور... مصدر سابق.** ج1. القسم1. ص. 7. أنظر أيضا: **المصدر نفسه** ج1. القسم الثاني. ص06.

وهي أفضلها، وجعله خمسة أجزاء في ستة مجلدات (الجزء الأوّل في مجلدين) ومنها:

1- طبعة في سنتي 1960-1961م.

2- طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب في سنتي 1983-1984م.

3- طبعة المعهد الألماني ضمن سلسلة "النشرات الإسلامية"التي تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية.

4- طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة ضمن سلسة الذخائر.

وقد تبيّن لناشري هذا الكتاب من خلال المخطوطات، أن ابن إياس حين أراد تدوين كتابه، كان يود إخراجه في اثني عشر جزءاً. ومن خلال قراءة مقدّمة الجزء الرابع نلاحظ أنها أشبه بمقدمة كتاب. [1] وتابع أحداث تاريخه في الأجزاء التالية بتسلسلها الرقمي والزمني. وكان ينهي كل جزء ببيان تاريخ انتهائه من تدوينه. وآخر جزء دوّنه كان هو الحادي عشر، وهو الذي يشمل المرحلة الممتدة بين (922هـ و928هـ) (1516/1522م). وطبقا لما كتبه في آخر هذا الجزء فقد فرغ من كتابته يوم الأربعاء آخر ذي الحجة سنة 928هـ. ويبدو أنه كان يريد أن يتابع التدوين في الجزء الثاني عشر، حيث أشار إلى ذلك. لكن لا وجود لهذا الجزء. [2]

1: أي يبيّن فيها ما سيتضمنه كتابه من فوائد سنية، وغرائب مستعذبة مُرْضية، تصلح لمسامرة الجليس وتكون للمنفرد كالأنيس؛ وأنه طالع نحو سبعة وثلاثين تاريخاً حتى استقام له ما أراد. وأوضح في هذه المقدمة أيضاً مجمل ما حواه مؤلَّفه. وطرح في هذا الجزء الرابع تاريخ مصر منذ العصور القديمة حتى سنة 714هـ.

2: هذا ما ذكره في مخطوطه رقم 4199 المحفوظ في جامع الفاتح باسطنبول بخط يده في ختام الجزء الحادي عشر من بدائع الزهور بقوله: ((يتلوه الجزء الثاني عشر من بدائع الأمور في =

يتكون الكتاب من 3348 صفحة دون احتساب صفحات المقدمة والفهرست الألماني وهو مقسّم بالطريقة التالية:

- المجلد الأوّل: هو الجزء الأوّل- القسم الأوّل، وأحداثه من أول الخليقة لغاية 29 ماي سنة 1363 وفيه 594 صفحة.
- المجلد الثاني: هو الجزء الأوّل – القسم الثاني، ويشمل الأحداث من سنة 1363 إلى 1412 م. ويقع في 828 صفحة.
- المجلد الثّالث: هو الجزء الثاني، ويتعرض فيه إلى الأحداث التي وقعت من 1412 إلى 1468، ويقع في 476 صفحة.
- المجلد الرابع: هو الجزء الثّالث، وأحداثه من سنة 1468 إلى1501 ويحتوي على 468 صفحة.
- المجلد الخامس: هو الجزء الرابع، وأحداثه من 1501 إلى 1515 وفيه 491 صفحة.
- المجلد السادس: هو الجزء الخامس، وأحداثه من سنة 1516 إلى 1522 وفيه 494 صفحة.

مخطوطة الجزء الأوّل الموجودة في مكتبة فاتح تحت رقم 4197. كتب ابن إياس في مقدمتها أنها ((الجزء الرابع من بدائع الزهور في وقائع

= وقائع الدّهور، وكان الفراغ من هذا الجزء في يوم الأربعاء سلخ ذي الحجّة الحرام سنة ثمانٍ وعشرين وتسعمائة، وذلك على يد كاتبه ومؤلّفه، فقير رحمة ربّه تعالى، محمّد بن إيّاس الحنفي عامله الله بلطفه الخفي)). أنظر في ذلك ابن إيّاس: بدائع الزهور في وقائع الدّهور. تحقيق محمد مصطفى. ج5 . الطبعة الثانية. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. 1961. ص. 09 .

الدّهور تأليف كاتبه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد ابن إياس الحنفي)). لكن لم يعثر على الأجزاء الثلاثة الأخرى التي كان من المفروض أن تسبق الجزء الرابع. والراجح انه لم يكتبها. لأن تاريخه من الجزء الأوّل الموجود يبدأ بنشأة الخليقة. فماذا يمكنه أن يكتب ليملأ ثلاث أجزاء [1].

وتناول في الكتاب (ج1) الحديث عن تاريخ مصر من بدء التاريخ إلى نهاية سنة 928هـ1522 م)، وقد أطال في ذكر الحوادث من سنة 669 إلى سنة 928هـ وهي الأحداث القريبة منه لأنه ولد سنة 852هـ. واستكمل عدد من المستشرقين والباحثين العرب بعض نقائص ذلك المؤلف المهم، فأصدروا ثلاثة أجزاء، ترفد الجزأين الأوّل والثاني من مطبعة بولاق وتتضمن السنوات: **(872- 905هـ)** و**(906- 921هـ)** و**(922- 928هـ)**. وكانت المرحلة الأخيرة مهمة جداً، لأنها شملت معاينة المؤرخ بنفسه دخول العثمانيين مصر، وما تبع ذلك من تغيير في الشؤون الإدارية والاقتصادية والاجتماعية. إلا أن محقق الكتاب محمد مصطفى لاحظ أن في الجزأين الأوّل والثاني (طبعة بولاق) نقصاً عن المتن الذي كتبه المؤلف بخط يده فأعاد النظر في الكتاب برمته، في الأعوام الثلاثة 1960- 1963 فصدر الكتاب بخمسة أجزاء وستة مجلدات، وهي الطبعة المعتمدة اليوم. أما الفهارس فهي أربعة أجزاء في ستة مجلدات:

1: ابن إياس: **المصدر السابق**. ج1. القسم الأوّل. ص. 8.

- الجزء 1 الأعلام. القسم الأوّل [1]
- الجزء 1 الأعلام. القسم الثاني. ط1. القاهرة. دار إحياء الكتب العربية. 1986.
- الجزء 2 الموظفون والوظائف والحرفيون والحرف.
- الجزء 3 الأماكن والبلدان وتفاصيل معمارية. ط1. القاهرة. 1984.
- الجزء 4 المصطلحات (القسم الأوّل). ط1. بيروت. 1992.
- الجزء 4 المصطلحات(القسم الثاني) ط1. بيروت. 1992.

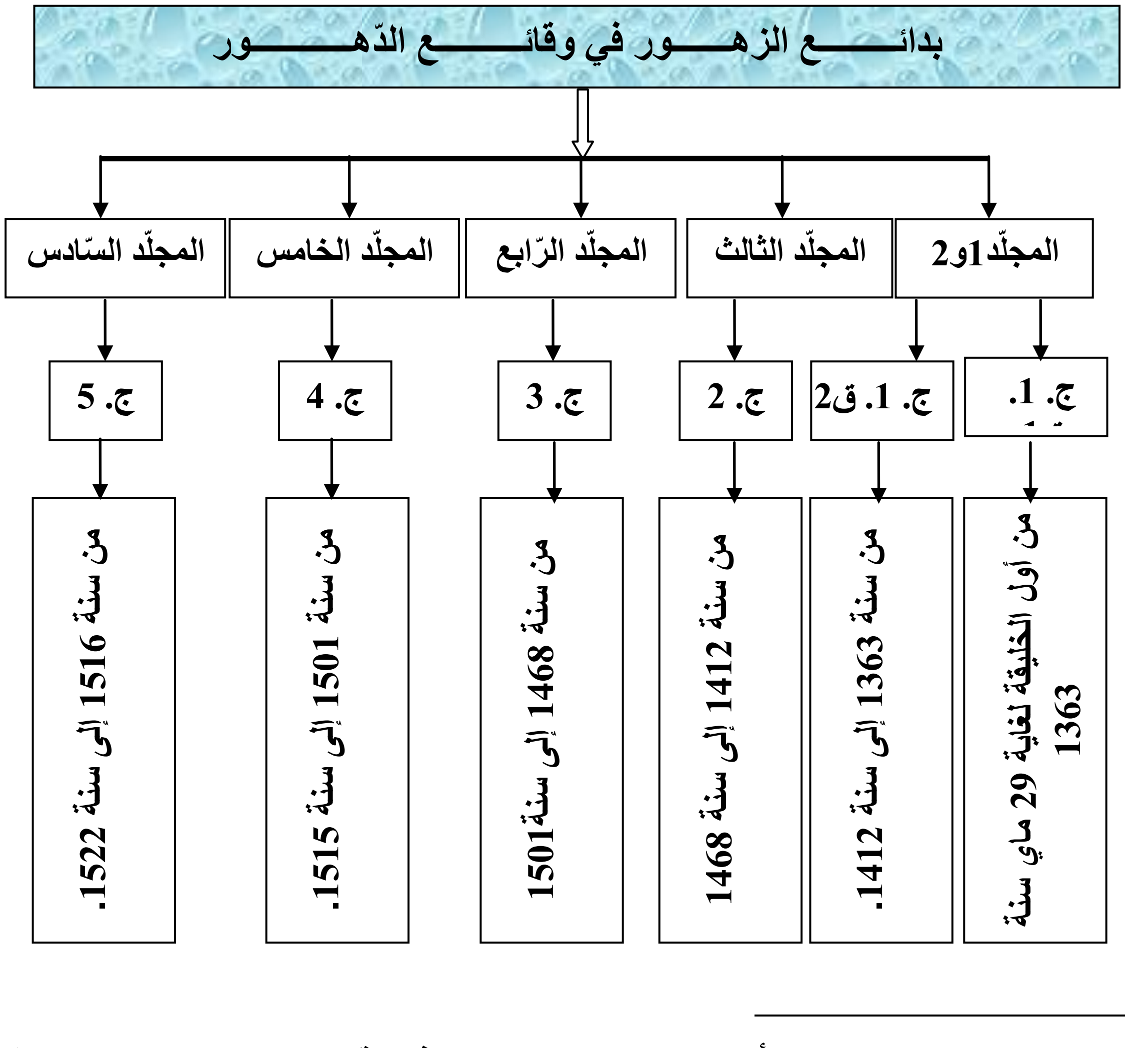

1: يذكر المحقق في الصفحة الأولى من كتابه **بدائع الزهور في وقائع الدهور**: **الفهارس الجزء1 الأعلام. القسم الثاني**. ط1. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. 1986. أن ابن إيّاس ذكر أكثر من عشرة آلاف من أسماء الأعلام في كتابه.

❖ المبحث الثاني: الغرض من تأليفه:

من خلال قراءتنا لمقدّمة الجزء الرابع الصفحة 04. يتّضح لنا أن أوّل ما ابتدأ به ابن إياس كتابته حول تاريخ مصر هو هذا الجزء.

و في تفسيره للغرض من تأليفه، يقول ابن إياس:

((الحمد لله الذي فاوت بين العباد، وفضّل بعض خلقٍ على بعضٍ حتى في الأمكنة والبلاد... وبعد، فهذا جزء من كتابنا المؤلف في التاريخ الموسوم ببدائع الزهور في وقائع الدهور، وقد أوردت فيه فوائد سنية وغرائب مستعذبة مرضية تصلح لمسامرة الجليس وتكون للمنفرد كالأنيس... وقد توخيت فيه أخبار مصر وأوردت ذلك شيئا فشيئا على الترتيب، قاصدا فيه الاختصار... وذكرت فيه ما وقع في القرآن العظيم من الآيات المكرّمة في أخبار مصر كناية أو تصريحا... ومن نزلها من أولاد آدم ونوح عليهما السلام، ومن دخلها من الأنبياء عليهم السلام ومن ملكها من مبتدأ الزمان من الجبابرة والعمالقة واليونان والفراعنة والقبط وغير ذلك، ومن ولِيَها في صدر الإسلام من الصحابة والتابعين... ومن وليها من ملوك الترك والجراكسة إلى وقتنا هذا وهو افتتاح عام إحدى وتسعمائة...)) [1]

1: اعتمادا على القسم الأوّل من الجزء الأوّل الطبعة الثانية تحقيق محمّد مصطفى الصفحة 03 و04. وهذه الطريقة درج عليها أغلب المؤرخين لتوضيح مقاصدهم من الكتابة. أنظر مثالا عن ذلك نسخة من مخطوطة السيوطي ((الشماريخ في علم التاريخ)) في الملحق رقم: 13- 14 ص- ص. 143- 144.

ومما ساعد ابن إياس للانصراف إلى القراءة والإطلاع والتأليف هو حالته المادية والاجتماعية المريحة. فقد كان يعيش من إقطاع ممنوح له يدرّ عليه دخلاً وفيراً يكفي لإعالة أربعة مماليك (وهو ما يشبه التقاعد اليوم) لكونه من أولاد الناس، أي أبناء الأمراء المتقاعدين. وقد وفّر له هذا الدخل الوقت الكافي للتفرغ إلى التأليف دون أن يحمل همّ معاشه. (غرضه جمع تاريخ مصر من بدء الخليقة حتى القرن الذي هو فيه).

❖ **المبحث الثّالث**: **منهجه وأسلوبه في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور**.

إن دراسة منهج ابن إياس من خلال كتابه له صبغة مميزة بحيث يعد مؤرخنا من بين أهم أعلام المدرسة التاريخية المصرية. وما يجعله ينفرد بهذه الميزة أنه الوحيد الذي عاصر الدخول العثماني لمصر وكتب عنه[1].

* **أوّلا**: **منهجه في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور**.

الكتاب بشكل عام وكل أجزائه الخمسة هو كتاب هام جدّا، وهو من أبرز مؤلفات ابن إياس حول تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى سنة 1524 ميلادي.

كتب ابن إياس كتابه «بدائع الزهور» على طريقة الحوليات التي اعتمدها المؤرخون المسلمون، وهو نظام يقوم على التأريخ لكل

1: هذا إذا ما استثنينا ابن زنبل الرمّال ولم نعتبره مؤرّخا لأنه عاصر حملة سليم الأوّل على مصر وشهد نهاية طومان باي وقصّها لنا في كتاب بعنوان (واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني) والمعروف بآخرة المماليك. أنظر الملاحق (03- 04). ص. 133- 134.

سنة وما صاحبها من الأحدث على حده[1]. فهو يدون الحوادث سنة سنة، وشهراً شهراً، في السنين التي لم يعاصرها ويوماً فيوماً في السنوات التي عايشها؛ أي في الأجزاء الأخيرة من الكتاب. [2] وكان يختم كل سنة

1: التاريخ الحولي هو تاريخ للأحداث سنة بعد سنة، بحيث يتم جمع كل أحداث السنة ويستطلعها المؤرّخ بعنوان ((في سنة... وفيها ...)) ويتم ذكر الحوادث، وبتعددها في نفس السنة يتم ربطها بكلمة (وفيها...)

2: ففي الجزء الثالث ص. 277 –278 في تدوينه لأخبار سنة 896 نراه يدوّن الحوادث شهرا بعد شهر فيقول مثلا: ثم دخلت سنة ست وتسعين وثمان مائة، فيها في المحرّم في يوم مستهلّه كان دخول الأتابكي ازبك ومن معه من الأمراء والعسكر فدخلوا إلى القاهرة في موكب حافل... وفي صفر انعم السلطان على جانم الذي كان نائب قلعة حلب بتقدمة ألف... وفي ربيع الأوّل اخلع السلطان على الشيخ عبد الغني بن تقى وقرر في قضاء المالكية ... وفي ربيع الآخر ثارت المماليك الجلبان على السلطان... وفي جمادى الأوّلى أخلع على تاني بك الجمالي وقرر في امرة مجلس... وفي جماد الآخرة وقعت بالقاهرة زلزلة خفيفة... وفي رجب طلع القضاة الأربعة للتهنية بالشهر... وفي شعبان قرر كرتباي من مصطفى المعروف بالأحمر وهو الذي كان كاشف البحيرة في حجوبية الحجاب بطرابلس... وفي رمضان أخلع على يشبك من حيدر الذي كان والي القاهرة وقرر في نيابة حماه عوضا عن اينال... وفي شوال ليلة عيد الفطر كان وفاء النيل... وفي ذي القعدة توفي تقي الدّين بن نصر الله ... وفي ذي الحجة كان ابتداء الفتنة بين قانصوه خمسمائة أمير آخور كبير وبين اقبردي الداوادار... ثم يقول انتهى ذلك. ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثمان مائة... وهكذا يواصل في أحدث السنة الموالية شهرا شهرا. ثم يتحوّل إلى اليوميات. ففي الجزء الخامس من مؤلفه عند ذكر أحداث سنة 922 هـ. ص 15. يقول وفي صفر كان مستهل الشهر يوم الأربعاء، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر... وفي يوم الخميس ثانيه جلس السلطان بالميدان وعرض العسكر... وفي يوم السبت رابعه عرض السلطان مماليك الأمير خاير بك... وفي يوم الاثنين سادس صفر جلس السلطان بالميدان... وفي يوم الثلاثاء سابعه عرض السلطان الأمراء المقدمين... وفي يوم الخميس تاسعه أكمل السلطان عرض العسكر... وفي يوم الجمعة عاشره صلى السلطان صلاة الصبح... وفي يوم الاثنين ثالث عشر خرج عبد الرزاق أخو على دولات... وفي يوم =

بتـراجم المتـوفين فيهـا[1] مـن أعيـان الساسـة والإداريـين، وكبـار العلمـاء والأدبـاء، ومـن اشـتهر مـن النـاس، أو أنـه كـان يـأتي بهـا أحيانـاً فـي سـياق الأحـداث. وقـد تتبـع المـؤرخ فـي تلـك الحوليـات أحـداث مصـر المتنوعـة، مـن مناخيـة وسياسـية، داخليـة وخارجيـة، إداريـة واقتصـادية، اجتماعيـة عمرانيـة وفكريـة، تتبعـاً تفصـيلياً دقيقـاً. وضـم إلـى أخبـار مصـر كثيـراً مـن أخبـار العـالم الإسـلامي المهمّـة، مـن المشـرق إلـى الهنـد ومـن المغـرب إلـى الأنـدلس. وأحـاط بـأحوال الشـام والحجـاز. وكـان فـي المرحلـة التـي عاصـرها دقيـق الملاحظـة، شـديد الاستقصـاء للحقـائق[2] وناقـدا، فلـم يبخـل بأحكامـه حتـى القاسـية منهـا أحيانـاً علـى مـا كـان يجـري، ولـم يحـابي أحـدا. فقـد نقـد سياسة السلطان المملوكي قانصوه الغوري دون خوف.

امتـاز تدوينـه للوقـائع التاريخيـة عـن غيـره مـن المـؤرخين بالنزاهـة والموضـوعية واثبـات الحقيقـة دون محابـاة أو تحيـز لأحـد مستخلصـا العبـر مـن مجريـات التـاريخ، مـع انـه كـان يكتـب تـاريخ عصـرٍ كـان قومـه مـن

= الخميس سادس عشر منه جلس نائب القلعة ومقدّم المماليك عند باب القلعة... وفي يوم الخميس ثالث عشرينه أشيع بين الناس أن النيل قد زاد نصف ذراع... وهكذا يواصل حتى الصفحة 22 أين يذكر آخر يوم من الشهر ويسرد كل أحداث ذلك اليوم ((وفي يوم الخميس سلخ هذا الشهر حضر ساعٍ وقيل اثنان من عند نائب حلب...)) ثم ينتقل إلى الشهر الموالي. وهكذا ...

1: أنظر الجزء الأول القسم الثاني من بدائع الزهور، ص9 والملحق رقم 15. ص. 145.

2: يقول ابن إياس في كتابه **بدائع الزهور** الجزء الخامس الصفحة 77: (وأما من قتل في هذه المعركة من الأمراء وأعيان الناس، فالذي يحضرني من ذلك وتحققته...). ثم يسرد أسماء الأمراء والنواب الذين قتلوا، دون أن يغفل عن ذكر وظائفهم أو مناقبهم.

الشراكسة هم حكامه وسلاطينه، أي تاريخ عصر السلاطين الشراكسة في مصر وبلاد الشام. [1]

*** ثانيا: أسلوبه في الكتابة:**

يشوب أسلوب ابن اياس في الكتابة وترتيب الحوادث نوع من الضعف والتفكك. ونظرا لميوله الأدبية وشاعريته، كانت لغته العربية التي دوّن بها تاريخه بسيطة وواضحة، ممزوجة باللّهجة المصرية، أي أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى، وزخرت بالمصطلحات الفارسية والتركية[2] ولاسيما مصطلحات البلاط والجيش والإدارة. كما لم يلتزم فيها بقواعد الإملاء والنحو والصرف. ولا يعبأ كثيرا بهذه القواعد ويخلط بين المُفرد والجمع والمذكر والمؤنّث والرفع والجّرِ. فيكتب كما ينطق، رغم معرفته للقواعد الصحيحة التي كان يكتب بها في كتابه. [3] لذلك يرى البعض أن

1: مثال ذلك نقده لفترة حكم السلطان الغوري بقوله في الجزء الخامس الصفحة 89 (وأما ما عدّ من مساوئه فإنها كثيرة لا تحصى منها أنه أحدث في أيام دولته من أنواع المظالم ما لا حدثت في سائر الدول من قبله...) ثم يواصل في الصفحة91 (... ومن أفعاله الشنيعة ما فعله مع أولاد الناس من خروج أقاطيعهم ورزقهم من غير سبب وأعطى ذلك إلى مماليكه الجلبان... فكانت هذه الأموال العظيمة التي تدخل إليه يصرفها في عمائر ليس بها نفع للمسلمين ... وهذا عين الإسراف لبيت مال المسلمين). فما نلاحظه عند ابن إيّاس أن دراسته منهجية ذات وظيفة استردا دية فهو لا يحكي ماذا حدث فقط، بل يفسّر لماذا وقع ما حدث، أو ما كان يجب أن يكون، كأن ينقد عدم استعداد الجيش المصري خارج مصر لمواجهة سليم الأوّل وجيشه.

2: مثل كلمة الإستدار والداودار وأتابك وسنجق والجامكية وغيرها من الكلمات الفارسية والتركية.

3: ومثال ذلك ما جاء في الصفحة 299 من الجزء الثالث من بدائع الزهور "فصاروا يجوا"بدل يأتون. "وقصد العود إلى القاهرة"بدل العودة. ، وقوله: "فان لما ورد كتاب الأمير بدلا من فانه لمّا ورد. و(كبس عليهم) بدل قبض عليهم في الصفحة 79 من الجزء الخامس من بدائع =

كتابـات ابـن إيـاس لـم يكـن لهـا أي رونـق أدبـي ذلـك أن الأدب التـاريخي فـي هـذه الفتـرة كـان قـد أدركـه الانحطـاط. (1) كمـا أن اللّغـة العاميـة كانـت لهـا سـيادة واسـعة وسـلطان كبيـر فـي هـذا العصـر، فهـي لغـة الشـعب اليوميـة، وهـي اللغـة التـي لـم يسـتطع العلمـاء والأدبـاء تجنبهـا فـي إنتـاجهم(2). ونجـد المـؤرخ مـدحت

= الزهور. وقوله هذه الكاينة وهذه الوقعة بدلا من هذه الواقعة أو الحادثة. أو قوله في الجزء الثالث باعتناء باول كاله ومحمّد مصطفى. مطبعة الدولة . اسطنبول. 1936. الصفحة 99. "وانفضّ المجلس على غير طايل". بدلا من وانفض المجلس دون الوصول إلى نتيجة.

كذلك قوله في الجزء الأول، القسم الأوّل. من بدائع الزهور تحقيق محمد مصطفى. ط1 . دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. 1975. ص. 99. (فلما تحصّنوا الروم بالإسكندرية) وقوله (فلما سمعوا الصحابة بذلك تقلّقوا وضاق صدرهم) وقوله في ص278 (فلما أصبحوا الفرنج وجدوا أبواب المدينة مفتّحة ولا فيها أحد من الناس، فضنوا الفرنج أن ذلك مكيدة...)"... ثم صار القتال عمّالاً بين المسلمين والفرنج"ويقول في الصفحة الموالية "... والقصّاد رايْحَة جَيًّا"

وقوله (ج5. ص83)"عرض الأمير الداوادار العسكر الذي في القاهرة، وكان ذلك العرض في بيته وكان سبب هذا العرض أن بلغ الأمير الداوادار أن عدّة مراكب وصلت إلى ثغر الإسكندرية. فخشي أنها من عند ابن عثمان، فبادر وعرض العسكر" فتكرار كلمة عرض بدلا من جمع أو استدعى في نفس الجملة أعطى الأسلوب ركاكة.

1: مصطفى شاكر: **مرجع سابق**. ج. 3. ص196. إذا كان عصر الدولة المملوكية الأولى (البحرية) قد اتسم بازدهار أدبي مدهش، فان عصر الدولة المملوكية الثانية (البرجية) أو الجراكسة، قد شهد مرحلة من التدهور الأدبي وفتور في أساليب الكِتابة لدى كُتّاب الدولة بحيث غَلبَت العامية على العربية الفصحى في توقيعات الديوان، وانحسرت معايير الكفاءة الإدارية والأدبية لدى المشتغلين فيه. (والسبب هو أن المناصب كانت تشترى ((الرشوة)) .

2: محمود رزق سليم: **الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث**. دار الكتاب العربي. مصر. 1957. ص22.

لقد كانت لغة التخاطب في عصر ابن إيّاس تركية أو جركسية في الأوساط الحاكمة، كون الحكّام من هذا الجنس. أما في الأوساط الشعبية فكانت اللّغة العامية هي المهيمنة، وبالتالي فان الكتابات التاريخية بالذات كانت ممزوجة بالكثير من الألفاظ والأساليب العامية مثل خطط =

الجيار يقول: ((لا نستطيع أن نحكم على لغة ابن إياس كما نحكم اليوم على لغة المؤرخين العرب المعاصرين، ويجب ألاّ نجد غموضا أو نتّهم ابن إياس بالغموض، لأننا نجد غُربة لغوية أو اجتماعية في الزمان غير الزمان والإنسان تطور ولغته اختلفت.))[1]

ورغم ذلك امتازت كتاباته التاريخية باحتوائها الكثير من التعابير الشعرية الجميلة من نظمه، فقد طرق معظم أغراض الشعر كالمديح والرثاء والوصف، والحكمة؛ ونظم المواليا.

كما كان يستشهد بأشعار غيره[2]، ويكتب شعرا جميلا يصف به الوقائع والأحدث والأشخاص، ثم يستخلص العبر والحكم منها.

وفي كل ذلك، لم يكن يغفل عن توضيح موقفه كمواطن مصري، إذ نراه يسرد أبيات شعرية مؤثّرة تصف حملة سليم الأوّل على مصر، كما يصف نهاية الغوري المحزنة معبرا عن موقفه كمملوك مصري. غير أنه يتراجع فيما بعد عند وفاة سليم الأوّل ويمدحه. [3]

= المقريزي وكتاب ابن إيّاس. فكلما تقدمنا في العصر المملوكي يطفو التعبير بالعامية وينتشر. وعموما فان أهل الاختصاص يجمعون على أن هذه الأساليب ما هي إلاّ بنت بيئتها بحيث تتأثر الكتابات التاريخية بمؤثرات بيئتها طبيعية كانت أم دينية أم سياسية أم اجتماعية .

1: مدحت الجيار: **مختصر كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور**. الهيئة المصرية العامّة للكتاب. القاهرة. طبعة 2007 . الصفحة20.

2: كان للزجل رواجا كبيرا في هذه الفترة بسبب تفشي الأمية ولعجمة السلاطين والأمراء اللذين شجعوا هذا النوع لفهمهم له وصعوبة فهمهم للشعر الفصيح .

3: يقول في مرثية عن الفتح العثماني لمصر:

نوحوا على مصر لأمر قد جرى من حادث عمّت مصيبته الورى

لم تخل الأحداث المختلفة التي عرضها لنا ابن إياس، من التعليل أو التفسير، مما يدل على أنه كان نافذ البصيرة. فقد رأى مثلاً أن سوء الأوضاع الإدارية والمالية والاقتصادية، والفساد المستشري في الدولة والجيش، وإهمال المدفعية، كانت وراء اضمحلال الدّولة المملوكية وتغلب الجيش العثماني عليها.

غير أنه في وصف المشاهد شعرا أو نثرا لا يرقى إلى مصاف كبار المؤرخين أو الشعراء. فلا يستطيع أن يصبغ الواقعة بالقوّة والوضوح كقوله: ((فكانت ساعة يشيب منها الوليد، ويذوب لسطوها الحديد، فصار في مرج دابق جثث مرمية وأبدان بلا رؤوس ووجوه معفرة في التراب قد تغيرت محاسنها، وصار في ذلك المكان خيول مرمية موتى بسروج مغرق وسيوف مسقطة)) [(1)].

زالت عساكرها من الأتراك في ... غمض العيون كأنها سنة الكرى
الله أكبر إنها لمصيبة ... وقعت بمصر ما لها مثَلٌ يُرى
لهفي على عيشٍ بمصر قد خلت ... أيّامه كالحلم ولّى مدبرا
أين الملوك بمصر من طلعاتها ... مثل البدور تضيء وكانت أنوارا
يا لهف قلبي للمواكب كيف لم ... نلقى بقلعتها الحزينة عسكرا
لهفي على ذاك النظام وحسنه ... ما كان في الترتيب منه أفخرا
زالت محاسن مصر من أشياء قد ... كانت بها تزهو على كل القرى

1: ابن إياس: **بدائع الزهور... مصدر سابق.** ج5. ط2. ص72. ويقول في ذلك مصطفى شاكر في كتابه **التاريخ العربي والمؤرخون. ج3.** ط1. دار العلم للملايين. بيروت. 1990. ص. 196: "لم يكن يملك الحس التاريخي المرهف كسابقيه ولا اللغة الصحيحة اللاّزمة للكتابة الحسنة، ولا الثقافة الضرورية للدقّة والمتانة". غير أن الدكتور مدحت الجيار في كتابه **مختصر كتاب بدائع الزهور في وقائع الدّهور.** الهيئة المصرية العامّة للكتاب، طبعة 2007. في مقدّمته الصفحة 20. يقول: "لا نستطيع أن نحكم على لغة ابن إياس كما نحكم اليوم على لغة المؤرّخين العرب المعاصرين... إنها لغة التأليف في زمن ابن إياس، لغة المثقفين من أبناء جيله المصري المتعلّم... إن تسجيل =

يذكر ابن إياس في مجلداته الستّة حوالي عشرة آلاف من أسماء الأعلام وكان يذكر الاسم مختصرا أو يكتفي باسم الشهرة. وفي الوفيات يذكر الاسم كاملا. كما يكتب كل ما يعرفه عن الشخص الذي أورد اسمه من تعيينات أو ترقيات أو تنقلات أو أفراح أو أحزان. أي كل ما يعرفه من أمور تتعلّق بهذا الشخص[1]. كما يذكر ابن إياس أسماء الشهرة التي يُعرف بها بعض المماليك مثل الأعمش والجمل والخفيف... ويذكر مع الألقاب أسماء معيّنة مثل صارم الدّين مع اسم إبراهيم، ولقب غرس الدّين مع اسم خليل. ومثل أبو الصفا محمّد بن أحمد بن محمّد التونسي الشاذلي المعروف بأبي المواهب، وكان أصله مغربيا يعرف بابن رغدان[2]. لذلك كان يتّصف بالدّقة. أي أنه إذا سمع

= بعض الحوادث كان يتم بلغة من يخبره بها، ومن هنا تتفاوت اللّغة داخل أجزاء الكتاب... بينما المواقف الرسمية يستخدم فيها لغة منضبطة". والراجح بينهما أن ابن إياس تعمّد ذلك لأن تكوينه الديني والرصيد الذي كان لديه من خلال شيخه السيوطي ما كان ليمنعه من استعمال لغته.

1: محمّد مصطفى: **فهارس بدائع الزهور في وقائع الدهور**. الجزء الأوّل . الأعلام. القسم الثاني... دار إحياء الكتب العربية . القاهرة. ط1. 1986. ص1. فمثلا يقول في الصفحة 293 من **بدائع الزهور ج2**. ط1: (وفيه كانت وفاة القاضي كمال الدين محمد بن البارزي، كاتب السّر الشريف، صهر السلطان، وهو محمّد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم ابن إبراهيم بن هبة الله بن مسلم بن هبة الله بن عامر بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد ابن علي بن حسان بن عبد الله بن عطية بن عبد الله بن أنيس الجهني الحموي الشافعي. وكان عالما فاضلا بارعا، ريسا حشما، سخيا كريما، ناظما ناثرا...)) . والشيء نفسه يذكره في الجزء الثالث ص293 أيضا ((وفيه توفي القاضي محي الدين بن مظفّر... وكان عالما فاضلا ريّسا حشما...))

2: محمّد مصطفى: **المصدر نفسه. ج1.** . ص3.

بالروايـة يتأكّـد مـن الأسـماء والأوصـاف وغيرهـا قبـل أن يـدوّنها[1]. كمـا يـذكر الآلاف مـن المصـطلحات بلغـة عصـره، وهـي لغـة مـا بـين الدّارجـة والفصـيحة التـي يـتكلم بهـا العامّـة فـي عيشـتهم اليوميـة، مثـل اسـتعماله المضـارع المسـتمر بإضـافة حـرف البـاء علـى الفعـل مثـل بيكتـب عـوض يكتـب أو بيحاصـر عـوض يحاصـر[2]. أو كلمـة "والاضـطراب بينهمـا عمّال"بـدلا مـن قـائم، فـي وصـف النـزاع بـين المماليـك. وهـي اللّغـة التـي كـان يتحـدّث بهـا النـاس فـي مصـر فـي عصـر المماليـك. ومردّهـا انحطـاط الأدب التاريخي في هذه الفترة كما أسلفنا ذكره.

فـي الأجـزاء الأولـى مـن مؤلفـه يعـرض مؤرّخنـا الأحـداث التاريخيـة بشـكل سطحي مقتضب، وكان حريص على توضيح المصادر التي اعتمد عليها. لكنّه يبدأ في التوسّع كلّما اقترب من عصره، حيث يبدأ في التفصيل ثم يتحوّل إلى الإسهاب مع بداية القرن التاسع الهجري. وعند أواخره يتحوّل كتابه إلى شبه سجل يومي أو ما يشبه الصحيفة اليومية. وهذا ما ميّز ابن إياس عن سابقيه.

1: يذكر ابن إياس في كتابه بدائع الزهور الجزء الخامس من الصفحة 229 إلى 232. في ذكر من توجّه في سنة 923 هـ من شهر ذو الحجة المئات من الأعلام بترتيبهم: الأعيان، أولاد الأمراء الأمراء، أولاد الناس، نواب السادة الشافعية، والحنفية والمالكية والحنابلة والمباشرين السلطانية وكتاب المماليك، ومن أعيان الناس، ومن الزردكاشية، كما يذكر ذوي المهن ثم يذكر الخدّام إلى أن يقول: "فيقال إن مجمع من خرج من أهل مصر وتوجّه إلى اسطنبول دون آلاف إنسان".

2: ابن إياس: **بدائع الزهور... المصدر نفسه.** ج5. ص488.

❖ المبحث الرابع: مصادر ابن إياس في كتابه بدائع الزهور:

اعتمد ابن إياس في كتابه على مجموعة من المصادر ذكرها في مقدّمة كتابه بسبعة وثلاثين كتابا. [1] فبعد اعتماده على الآيات القرآنية كمصدر في ذكر مصر وأخبارها، يعتمد على ابن زولاق وابن عساكر في ذكر مصر وأحوالها[2]. كما نلاحظ ذلك في الجزء الأوّل والثاني بشكل خاص.

من بين مصادره أيضا يذكر الواقدي والمسعودي. فمثلا يقول في ذكر أخبار النيل في الجزء الأوّل من بدائع الزهور، الصفحة 170: "قال الواقدي... كما يقول في نفس الموقع: ((قال المسعودي في مروج الذهب نقل صاحب الأقاليم السبعة أن أصل النيل من جبل القمر من عشرة أعين فتجتمع كل خمس أعين...)) ثم يختم ابن إياس بقوله: ((من هنا انتهى كلام المسعودي)).

1: ابن إياس: **بدائع الزهور**... باعتناء. باول كاله ومحمّد مصطفى وموريتس سوبرنهايم. الجزء الرابع . مطبعة الدولة . اسطنبول. 1931. ص4) أنظر أيضا: ابن إياس: **بدائع الزهور**... **المصدر نفسه**. ج1. القسم الأوّل. ط. 1. دار إحياء الكتب العربية. 1975. ص3. ومن بين هذه المصادر نذكر، صحيح مسلم وابن عبد الحكم وابن الجوزي وابن عساكر، وابن الأثير والسيوطي والمسعودي وابن خلكان وغيرهم. وقد اعتمد على هذه المصادر ليؤرّخ للفترة التي لم يعاصرها. أما فيما يخص الفترة التي عاصرها فقد اعتمد على مجموعة متنوّعة من المصادر غير التي ذكرت، نستعرضها فيما بعد.

2: ابن إياس: **المصدر نفسه**. ج1. القسم1. ص4و5.

كما اعتمد على شهاب الدين ابن حجر العسقلاني[1]. واعتمد أيضا على العيني، وذلك من خلال إبداء رأيه في كتاباته. [2]

1: ابن إياس: **المصدر السابق:** ج2. ط1. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. 1972 ص42: ((ذكر ذلك العلاّمة شهاب الدين ابن حجر)) . وهو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني. ولد بالفسطاط، ونشأ يتيماً. ورحل إلى مكة حيث درس الحديث، ثم عاد إلى القاهرة أين درس على يد جماعة كبيرة من علماء عصره الفقه واللغة وعلوم القرآن. اشتهر في علم الحديث حتى أن السيوطي يصفه بقوله "قد انتهت إليه الرحلة والرياسة في الحديث في الدنيا بأسرها."عين في منصب القضاء وتولى التدريس في عدّة الأماكن، في المدرسة الصالحية والمؤيدية، كما ولى الإفتاء بدار العدل والخطابة بجامع الأزهر ثم جامع عمرو بن العاص. ولشهرته كعالم حديث ودين فقد سمي "الحافظ" أما عن قيمته بالنسبة لتاريخ مصر الإسلامية فله تراث تاريخي قيم.

ترك العسقلاني ثلاثة أعمال هامة أهمها "إنباء الغمر بأنباء العمر" وهو مؤلف ضخم اتبع فيه نظام الحوليات والشهور والأيام في تدوين الحوادث وتبعها بحوادث كل سنة بأعيان الوفيات. وقد أفاض في ذكر ما يتعلق بمصر من هذه الحوادث، وهو يتناول الأحداث التي وقعت بين سنة (773 – 850 هـ). وثانيها "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" وهو معجم ضمنه تراجم أعيان القرن الثامن الهجري من علماء وملوك وسلاطين وشعراء وغيرهم من مصر ومختلف بلاد الإسلام. وثالثها "رفع الإصر عن قضاة مصر"وهو معجم لقضاة مصر منذ الفتح الإسلامي حتى آخر القرن الثامن الهجري.

2: ابن إياس: **المصدر نفسه.** ج02. ط1. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. 1922ص292 ((وفي ذي الحجّة كانت وفاة العلاّمة قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي صاحب التاريخ البدري... له عدّة مصنفات في علوم جليلة، وكان حسن الذاكرة، جيّد النظم، صحيح النقل في التواريخ)) كما يذكر في الصفحة 31((ونقل العلاّمة ابن حجر في تاريخه، أن هذه السنة وَلَدَتْ فاطمة بنت قاضي القضاة...)) مما يدل على أنه اطلع على مؤلفاتهما ونقل عنهما. ثم يذكرهما (ص35–36ج2) في حادثة سقوط مئذنة الجامع المؤيدي الذي بُني في عهد الملك المؤيّد بقوله: (فتداعب في الواقعة ابن حجر وابن العيني، فللشهاب ابن حجر قوله:

لجـــامع مولانـــا المؤيّـــد رونـــــق منارتـه تزهـو مـن الحسـن والزيـن =

أمـــا مصـــادره فـــي تأريخـــه عـــن فتـــرة المماليـــك والصّـــراع المملـــوكي العثمـاني بشـكل خـاص[1] فقـد اعتمـد علـى نـوع مغـاير مـن المصـادر تؤكّـد صحّة معلوماته وتعطي مصداقية لروايته.

وتتمثـل هـذه المصـادر فـي: الوثـائق الرسـمية؛ الروايـات الشـفوية لشـهود العيـان؛ مشـاهداته الشخصـية والأخبـار التـي تـداولها سـكان القـاهرة. وأخيـرا الأشعار التي نظمها غيره أو هو شخصيا في وصف أحداث تلك الفترة.

أوّلاً- الوثائق الرسمية: [2]

مما ساعد ابن إياس في تتبع الحوادث المعاصرة له، أنه ووالده كانا على صلة طيّبة بكثير من أعيان الدولة، والأمراء، وكُتّاب السر وخواص السلطان. وبالتالي كان على مقربة من هذه الوثائق. وهذه الأخيرة كانت متنوّعة ذات أهمية كبيرة وذات مصداقية، كانت ترد إلى نائب الغيبة في مصر(طومان باي) لا يمكن الشك فيها. تمثلت فيما يلي:

= تقـول وقـد مالـت علـيهم تفرّقـوا فليس على هدمي أضر من العيني

فأجاب العيني:

منـارة كعـروس الحسـن إذا جليـت وهـــدمها بقضـــاء الله والقـــــدر

قـالوا أصـيبت بعـينٍ قلـت ذا غلـط مـا أوجـب الهـدم إلاّ خسّـة الحجـر

1: ونخص بالذكر هنا مصادره في الجزء الخامس من كتابه.

2: تتمثل الوثائق الرسمية في تلك التقارير الرسمية الصادرة من المدن الشامية عن العثمانيين إلى مقر السلطنة في القاهرة والمطالعات والمراسيم.

1ـ التقارير الرّسمية:

وصلت إليه هذه التقارير عن طريق الإطلاع المباشر أو أطلعه على مضمونها أصدقائه من أمراء المماليك، وأخوه أو صهره[1].

عندما عزم السلطان الغوري بالذهاب إلى بلاد الشام لمواجهة سليم الأوّل، ترك في مصر نائبا له يسمى بنائب الغيبة وهو الداوادار الكبير طومان باي. فكانت التقارير ترد إليه من معسكر السلطان قانصوه الغوري أثناء تحرّكه متضمنة كل التفاصيل حول أوضاع بلاد الشام حتى قبيل معركة مرج دابق، فكان ابن إياس يذكر مصدره في كل حادثة[2].

1: كان أخوه الجمالي يوسف وصهره الموظفان في الدولة يغدقان عليه بالأخبار. وبذلك فهي مصادر مباشرة موثوقة مصدرها سجلات الدولة، فأخوه كان من كبار موظفي الدولة المملوكية، حيث كان يتولى وظيفة ((زركداش)) في القلعة، فكان يزوده بالكثير من المعلومات الرسمية أو السرية لتدوين حولياته. والزردكاش هو الصانع الذي يعمل في السلاح خانه، يقوم بصنع السلاح وإصلاحه وتجديده.

2: يستعمل ابن إياس في هذا الصدد عبارة "وبلغني من الكتب الواردة بالأخبار... " فهو يقول في الجزء الخامس من مؤلفه الصفحة 51" ثم وردت الأخبار بان السلطان دخل إلى مدينة غزّة المحروسة يوم الخميس رابع جماد الأولى فلاقاه الأمير دولات باي نائب غزّة" ثم يذكر في الصفحة 53 ((وفي هذا الشهر وردت الأخبار بأن السلطان دخل إلى دمشق المحروسة يوم الاثنين ثامن عشر جمادي الأولى فلاقاه سيباي نائب الشام..."")) كما يذكر في الصفحة 60 " وفيه وردت الأخبار بأن السلطان وصل إلى حلب فدخلها في يوم الخميس عاشر جمادي الآخرة... " وفي نفس الصفحة يقول: ((وبلغني من الكتب الواردة بالأخبار أن السلطان لما حظر بين يديه قاضي ابن عثمان وقراجا باشا، شرع يعاتبهم من أفعال ابن عثمان...)) ومجمل تلك الأخبار كانت تسرد بالتفصيل مجريات حركة السلطان الغوري من مصر إلى الشام والاحتفالات التي كانت تقام له عند وصوله إلى المدن، دون أن يغفل عن ذكر الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسكان في هذه الفترة. ثم يسرد من خلال هذه التقارير وصول =

2ـ تقارير الأمراء من الميدان:

بعد انكشاف حيلة سليم الأوّل وتوجه الغوري بجيشه لمواجهته في مرج دابق انقطعت الأخبار والتقارير الرسمية الصّادرة عن السلطان فاعتمد ابن إياس على مصدر آخر لنقل تفاصيل الحرب. وتمثل ذلك في مصدرين مهمين:

ـ تقرير الخليفة المتوكّل لوالده يعقوب:

يذكر ابن إياس نفسه في الجزء الخامس الصفحة 64 هذا التقرير بقوله: "وهذا ما نقل من شرح كتاب أمير المؤمنين الذي أرسله إلى والده أمير المؤمنين يعقوب". [1]

= قصّاد (رُسُلَ) السلطان سليم للتفاوض مع الغوري حينما وصل إلى حلب وما دار بينهم وبين السلطان الغوري، وما كان يريده ابن إياس في تدوينه لهذه الواقعة هو تعليله لسبب هزيمة المماليك والمتمثل في عنصر المباغتة والحيلة التي استعملها سليم الأوّل بطمأنته للغوري ثم محاربته. إذ يذكر المؤلف عدة مرّات جملة"وكل هذا حيل وخداع" – "والأمر بخلاف ذلك".

1: تضمّن هذا التقرير خديعة السلطان سليم للسلطان الغوري وما فعله سليم بوفد الغوري بقوله: «ثم وردت الأخبار إلى حلب بأن سليم شاه بن عثمان قبض على قاصد السلطان الذي جهّزه إلى ابن عثمان وهو مغلباي... وكان السلطان جهّز الأمير كرتباي الأشرفي... إلى ابن عثمان وصحبته هدية حافلة ... فلما وصل الأمير كرتباي عينتاب بلغه أن ابن عثمان قد أبى من الصلح وأنه بهدل مغلباي ووضعه في الحديد ... فلما وصل كرتباي بهذه الأخبار الردية إلى السلطان اضطربت أحواله وأحوال العسكر قاطبة» (ج5. ص23–24.). كما يذكر لنا ابن إياس تذبذب أسعار المواد الغذائية بحلب قبيل الغزو العثماني لها ومصدره كتاب أمير المؤمنين إلى والده يعقوب(ج5. ص64–65) فالشعير كل أردب بسبعة وعشرين نصفا والخبز كل رطل بثلاثة دراهم والجبن بنصفين الرطل. واللحم بتسعة دراهم بالرطل المصري والدبس بنصف فضة الرطل المصري.

ـ تقرير الأمير علاّن الداوادار الثاني:

الأمير علاّن رجل عسكري، حضر معركة مرج دابق ولم يتخلّ عن سلطانه حينما خذله الأمراء والقادة الآخرون وانهزم المماليك فبعث بهذا التقرير إلى نائب السّلطان في مصر بعد المعركة ليقوم باتخاذ الإجراءات المناسبة للدفاع عن مصر من جهة وليستردّ بلاد الشام من جهة أخرى. لذلك يعتبر من أهم التقارير المسجلة عن معركة مرج دابق ولا يمكن الشك في محتوياته[1].

3ـ تقارير من أمراء لم يذكرهم:

استعمل ابن إياس المبني للمجهول، واكتفى في ذلك بقوله: « ثم جاءت الأخبار من بعد ذلك بأن أمير عربان حماة الأمير ناصر الدين بن الحنش بلغه أن ابن عثمان أرسل جاليش عسكره... ». «.. وفيه

1: ابن إياس: **المصدر السابق** . ج5. ص68. ((ثم حظر كتاب على يد مطرد من عند الأمير علاّن الداوادار الثاني أحد الأمراء المقدّمين، فذكر فيه أن السلطان كان يكذب في أمر سليم شاه بن عثمان ويصدّق إلى أن حضر مغلباي داوادار سكين وهو في حال من النحس... وأخبر أن ابن عثمان أبى من الصلح وقال له: قل لأستاذك يلاقيني على مرج دابق)) ثم يمضي في وصف المعركة حتى انهزام المماليك. ثم يقول (الصفحة79) ((ومن هنا نرجع إلى أخبار القاهرة بعد هذه الحركة، فان لما ورد كتاب الأمير علاّن الداوادار الثاني بما وقع من أمر هذه الواقعة وقتل الأمراء فقام العزاء والصراخ في بيت الأتابكي سودون العجمي... وصار في كل حارة نعي بسبب من قتل من العسكر، ورجّت القاهرة...)) . كما يقول في الصفحة 82: « ومن العجائب من حين ورد كتاب الأمير علاّن بما جرى للعسكر من أمرة الكسرة وموت السلطان، لم يرد من بعد ذلك أخبار صحيحة وانقطعت الأخبار عن مصر نحو أربعين يوما لم يرد فيها خبر صحيح» مما يدل على أنه كان يتحقق من الأخبار الواردة.

حضر شخص يقال له اينال الأعور... » [1] « وفيه وردت الأخبار على يد ساعٍ.. » [2]. « وفيه ورد على السلطان أخبار رديّة.. » [3]. « وفي يوم الخميس ثاني عشرة وردت الأخبار بأن ابن عثمان قد خرج من غزّة وأن أوائل عسكره قد وصل إلى العريش». « وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه وردت الأخبار بأن عسكر ابن عثمان قد وصل أوائله إلى قطيا... ثم وردت الأخبار بأن ابن عثمان قد وصل إلى بلبيس». [4]

تسارعت هذه الأخبار بسبب هول الهزيمة في مرج دابق وفزع المماليك، وتوافدت التقارير إلى مصر لإبلاغ السلطان بمجريات الأحداث عن تحركات السلطان سليم، وسارع ابن إياس في التقاطها والتحري من صحّتها أو ثقة حاملها.

4ـ مراسيم السّلطان والرسائل الرسمية:

المراسيم:

اعتمد ابن إياس أيضا في تغطيته لفترة الصراع المملوكي العثماني على الأوامر والمراسيم التي بعث بها الغوري لنائب الغيبة في مصر وسمّاه (مثالا شريفا). [5] كما أمره من خلال هذه المراسيم بإطلاق سراح

1: ابن إياس: **المصدر السابق**. ص106-107.

2: نفسه: ج5. ص 84.

3: نفسه: ص 132.

4: نفسه: ص140-141.

5: نفسه: ص65. يقول فيها: "ثم إن السلطان أرسل إلى الأمير الداوادار **مثالا شريفا** يتضمّن الوصية بالرعية". من ذلك نستنتج أن ابن إياس أرّخ في كل المواضيع لتلك الفترة فلم يغفل =

المساجين باستثناء مرتكبي الجرائم ومن عليه دم. وعدم التراخي بإنزال أقصى العقوبات على كل مملوك يعتدي على الناس.

الرّسائل الموجّهة إلى السلطان:

اعتمد ابن إياس أيضا على بعض الرّسائل التي قدّمها بعض الأمراء المماليك والعثمانيين لنائب الغيبة ثم السلطان طومان باي، مثل رسالة نائب حلب للسلطان الغوري وهو في معسكره بالقاهرة استعدادا للخروج إلى بلاد الشام يبلغه باحتجازه لرسول السلطان سليم ورسالة سليم إليه[1]. ومنها رسالة ابن الحنش للسلطان يطلب منه إمداده بالجنود ليدحض بهم سليم الأوّل[2].

= وهو يتعرض إلى ترتيبات معركة مرج دابق إلى أوضاع العامّة في مصر والمشاكل التي يتسبب فيها المماليك الجلبان من ظلمهم للناس وكفهم عن إيذاء الناس. كما يطلب من الأمير (نائب الغيبة) عدم خروج قافلة الحج من القاهرة إلاّ إذ كان درب الحجاز أمانا، بسبب مشاكل العربان واعتراضهم لقافلة الحجاج.

1: ابن إياس: **المصدر السابق. ج5.** ص45 « ولما كان السلطان بالمخيم الشريف ورد عليه مطالعة من عند نائب حلب بأن ابن عثمان أرسل قاصدا إلى حلب فعوّقه نائب حلب عنده وأخذ منه كتاب ابن عثمان وأرسله إلى السلطان، فوصل إليه وهو بالمخيم بالريدانية». وتكمن أهمية هذه الرسالة في كونها مخادعة السلطان سليم للسلطان الغوري حول أسباب غزوه لإمارة ذي القادر وسبب عرقلة تجارة المماليك لمباغتته في ميدان المعركة.

2: نفسه: ص107 "فان ابن الحنش أرسل يقول للسلطان: مدّني ببعض عسكر وأنا أجمع العربان وضمان كسرة ابن عثمان عليّ "وابن الحنش هذا، هو – كما يذكر ابن إياس– أمير عربان حماة واسمه ناصر الدين، كان قد هاجم فرقة من الجيش العثماني وهزمهم بالقرب من دمشق فوعده السلطان بنيابة حمص.

ومن مطالعات (رسائل) العثمانيين ما بعث به سليم الأوّل للسلطان طومان باي ومما جاء فيها « من مقامنا السعيد إلى الأمير طومان باي أما بعد فان الله قد أوحى إليّ أن أملك الأرض والبلاد من الشرق إلى الغرب كما ملكها الإسكندر ذو القرنين... » [1]

ثانيا: **الرّوايات الشفوية لشهود العيان**:

بما أنه لم يتنقل شخصيا اعتمد على ما رواه شهود العيان[2] وما كان يشاع فمثلا رواية الناصري محمد بن يلباي حاجب ميسرة دمشق[3]. كما اعتمد في ذلك أيضا على رواية قاضي قضاة الحنفية محمود بن الشحنة باعتباره مصدر موثوق وكان قد شهد معركة مرج دابق وولى هاربا إلى مصر[4].

1: ابن إياس: **المصدر السابق**. ص125. 124 في هذه الرسالة يأمر سليم سلطان مصر بتقديم خراج مصر في كل سنة. كما ذكر فيها أنه خليفة الله في أرضه وأنه أولى منه بخدمة الحرمين الشريفين، كما اقترح عليه نيابة مصر مقابل ضرب السكّة والخطبة باسم السلطان سليم، وتوعّده في حالة الرّفض دخول مصر وقتل جميع من بها من المماليك وشق بطون الحوامل وقتل الأجنّة في بطونها.

2: ((وأخبرني من رأى سليم شاه بن عثمان أنه مربوع القامة واسع الصّدر أقنص العنق... واسع العينين... وافر الأنف، مليئ الجسد...)) أنظر ابن إياس الجزء الخامس الصفحة 74.

3: جاء هذا الأخير إلى مصر فارا من دمشق هربا من الجيش العثماني وأكّد له استيلاء سليم على دمشق وقلعتها وقتله للأمراء. إذ يقول في كتابه ج05 ص111: ((ويوم الأحد سلخ هذا الشهر حضر محمد بن يلباي المؤيدي حاجب ميسرة دمشق، وأخبر أن سليم شاه بن عثمان ملك مدينة دمشق وملك قلعتها وقتل على باي الأشرفي نائب القلعة وقتل ستة وثلاثين أميرا... فلمّا أشيعت هذه الأخبار في القاهرة بأن ابن عثمان ملك الشام صارت الناس في أمر مريب...)).

4: أخبره بأن ابن عثمان ملك ثلاثة عشر قلعة وخطب باسمه... واخبر أن الخليفة والقضاة الثلاثة في الأسر. أنظر ابن اياس **المصدر نفسه**. ج5. ص 84. ومن بين من اعتمد على =

ثالثا: **مشاهداته الشخصية**:

تمثلت مشاهداته الشخصية عند الدخول العثماني لمصر. فأغلب ما كان يرويه من أحداث الحملة على مصر وفتك العثمانيين بالمماليك كان من واقع المشاهدة في أغلب الأحيان[1] تبرز من خلال إعطائه تفاصيل دقيقة لبعض المشاهد، كما يذكر في بعض الأحيان كلمة "وشاهدت هذا الموكب بالمعاينة.."[2] أماّ الأحداث التي لم يشاهدها شخصيا أو يشك في مصداقيتها فهو يرويها كما جاءت ثم يقول: "والله أعلم بحقيقة ذلك". [3]

رابعا: **أشعاره وأشعار السابقين له**:

1ـ **أشعاره**:

أ)- أشعار المعاينة:

كان كثيرا ما ينظم الشعر عند سرده للأحداث التي رآها بعينه: فيقول من يوم خروج السلطان الغوري من مصر إلى يوم دخوله إلى حلب:

= رواياتهم، يذكر بن اياس: عبد البر بن محاسن كاتب خزانة الأمير سودون أتابك عسكر الغوري. وذلك بذكر أعمال سليم في دمشق وما قام به جنوده من أعمال شنيعة. كما زوّده داوادار خاير بك نائب حلب بخبر توجه السلطان سليم بعساكره نحو غزّة لأخذها بقوله: ((وفي يوم الأربعاء تاسعه حضر دوادار خاير بك نائب حلب وزعم أنه قد فرّ من ابن عثمان، فأخبر أن ابن عثمان أرسل عسكرا نحو خمسة آلاف فارس صحبة ابن سوار وقد اشرفوا على أخذ مدينة غزّة.

1: ((ثم ان العثمانية تحايلوا وجاءوا أفواجا أفواجا، ثم انقسموا فرقتين، فرقة جاءت من تحت الجبل الأحمر وفرقة جاءت للعسكر عند الوطاق بالريدانية.))

2: ابن إياس: **بدائع الزهور... مصدر سابق**. ج5. ص434 السطر 11و12.

3: **نفسه**. ص. ص. 236-237.

ادعــوا بنصــرٍ للمليــك الأشــرف سـلطان مصـر ذي المقـام الأشـرف

عاينتــه يومــا مضــى فــي موكــبٍ يزهـو علـى برقـوق زهـو الأشـرف

ركــب الخليفــة والقضــاة أمامــه وجيوشــه مــن حولــه بالمرهــف. [1]

ب)- أشعار السّماع:

فــي سـرده للأحـداث الّتــي لـم يشـاهدها شخصـيا، كـان يحـوّل القصّـة المُرواة أو ما استقاه من التقارير الرسمية إلى شعر كقوله:

فــي غــزّة قــد كــان يــوم دخولــه يــوم الخمــيس بعســكرٍ متــرادفٍ

قالــت دمشــق فرحــة لمّــا أتــى أهـلا بمـن بـين الرعايـة منصـفى

وحمــاة أحماهــا بصــايح عدلــه فأطاعــه العاصــي بغيــر تكلّــف

واستأنســت حلــب بــه مــذ زارهــا واستوحشــت مصــر لــه بتكلّــف[2]

2: **أشعار الاستشهاد عن السابقين له**:

إلـى جانـب أشـعاره وأراجيزه الخاصّـة، اعتمد ابن إياس فـي تدوينـه للوقائع علـى العديد من القصـائد والمقطوعات الشعرية التي نظمها غيره فـي الأحداث التي يؤرخها أو التي توافق المعنـى- على حدّ تعبيره- متخذا إياها كحكمة. [3]

1: ابن إياس: **المصدر السابق:** ص. 61 . نستطيع من خلال ذلك تصور حركة الموكب وترتيبه.

2: وهذه في مجملها مراحل تنقل السلطان الغوري في توجهه لمحاربة سليم الأوّل.

3: حينما ينظم الشعر يقول: وقد قلت في ذلك ... ومثال ذلك قوله:

لمّــا التقــى الجيشــان مــع سـلطاننا في مرج دابق قال: هل من مسعفٍ

فلــه أجــاب لســان حــالٍ قائــلا عرّضـت نفسـك للبـلا فاسـتهدف=

منها ما كان يتكون من بيتين أو ثلاثة ومنها ما كان طويلا يستخلص منها العبر. ولا يخرج عن نطاق التدوين التاريخي بواسطة الشعر.

=واشـــتدّ بالجلبـــان رعـــب قلـــوبهم وغـــدوا يقولـــوا أي أرض نختفـــي

والنهـــب أطمعهـــم لـــذلّ نفوســـهم حتّـــى أتـــاهم بالقضـــاء المتلـــف.

أما إذا كان الشعر الذي يستشهد به من غيره، فتارة يسبقه بعبارة: "كما قيل في المعنى" . ومثل ذلك ما يذكره عن نهاية الغوري في الصفحة 73 الجزء الخامس من بدائع الزهور:

أين الملوك الذي في الأرض قد ظلموا والله مـــنهم لقـــد أخلـــى أماكنهـــم

فاستغن بالسمع عن مرآهم عظـة فأصـــبحوا لا تـــرى إلاّ مساكنهـــم

وتارة يسنده إلى صاحبه، كقوله في الجزء الخامس الصفحة57 ((فعند ذلك عمل فيها الشيخ بدر الدين الزيتوني هذه المرثية اللطيفة في واقعة الحال)) . ويقصد بذلك الترتيبات التي قام بها أمير الغيبة الداوادار في مصر، وكانت قاسية على السكان، فيقول: (ج5. ص59)

ســألت الاه العـرش يـنعم بالنّـصر لسلطاننا الغوري فهو أبو النّصر

لغيبتـه أضـحى علـى الكـون وحشـة بهـا بركـة الرطلـى مـدمعها يجـري

علـى بركـة الرطلـى نوحـوا وعـدّدوا لما حلّ فيها من نكال ومن خسرٍ

أنظر الملحق رقم 38. ص 168.

الفصل الثالث

موقفه من أحداث عصره

- المبحث الأوّل: ابن إياس وعصر المماليك.
- المبحث الثاني: الفتح العثماني لمصر وموقف ابن إياس منه.
- المبحث الثالث: الحكم العثماني لمصر وموقف ابن إياس منه.
- المبحث الرابع: قيمة كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور.

كتب ابن إياس تاريخه مشاهدا وناقدا، عاش وعايش أحداث عصره فكانت له مآخذ على حكّامه من المماليك لم يُخْفِها، بل وأوعز أسباب سقوطهم لها. كما لم يُخْفِ موقفه من العثمانيين ولا الحكم المملوكي تحت مظلّة العثمانيين.

فكيف كانت الأوضاع أثناء حكم المماليك الشراكسة؟، وما موقف ابن إياس من الدخول العثماني للشام ومصر، ومن الحكم العثماني لهما؟ هل كانت أمور الدولة والرعية في أحسن حال؟

❖ المبحث الأوّل: ابن إياس وعصر المماليك الشراكسة.

تميزت الفترة التي عاصر فيها ابن إياس حكم المماليك الشراكسة[1] بسوء الحكم وفساد الحكام واستنكار الشعب من الأوضاع

1: سمّوا بهذا الاسم الشراكسة أو الجراكسة، نسبة إلى المماليك الذين جلبوا من بلاد الشركس (القوقاز) إلى مصر ثم أصبحوا سلاطين فيما بعد، وتقع بلادهم هذه بين بحر قزوين والبحر الأسود . كانت هذه الجهات مسرحا للصراع بين مغول فارس (الدولة الإيلخانية) ومغول القفجاق (الأسرة الذهبية) وكان الأسرى من هذا الصراع يباعون في أسواق النخاسة . فاشترى السلطان المنصور قلاوون الذي حكم ما بين 678 و689 هجرية أعدادا كبيرة منهم بهدف التخلّص من هيمنة وصراع المماليك البحرية، وليضمن الحفاظ على السلطنة له ولأبنائه من بعده، وعرفوا أيضا" باسم ((المماليك البرجية)) لأنهم كانوا يسكنون ((أبراج القلعة)) تمييزا لهم عن المماليك البحرية.

رغم أن مقصدنا هو عصر المماليك الشراكسة، إلا أنه لا يمكننا أن نسلخ فترة عصر المماليك البحرية عن البرجية. ذلك أن هذه الأخيرة قامت على أنقاض الأخرى، وأن عوامل الفساد امتدت هي الأخرى إلى هذه الفترة واستفحلت وطفت إلى السطح عند مجيء الشراكسة. والمعروف عن دولة المماليك الثانية أن أصحابها اتخذوا العصبية العنصرية سلاحا لإزالة دولة المماليك الأولى ثم استمرت العنصرية إطارا عاما لسياستهم الداخلية وميزة واضحة لدواتهم. للمزيد من التفصيل أنظر، محمود شاكر؛ **التاريخ الإسلامي**. مج7 العهد المملوكي. ط05. المكتب الإسلامي. 2000. أنظر أيضا أمين سمكوغ: **تاريخ الشراكسة**. دار دمشق. بيروت.=

السياسية الاقتصادية والاجتماعية بعدما كانت تتميز بالقوّة. غير أن هناك عوامل داخلية وأخرى خارجية ساهمت في إضعاف دولة المماليك، وتتمثل هذه العوامل فيما يلي:

1ـ فساد النظام الإقطاعي:

قام الحكم المملوكي على هذا الأساس، فهي دولة إقطاعية يستند وجودها إلى اقتصاد متين وجيش قوي وُزعت عليه الإقطاعات. غير أن إهمال الأرض معناه إهمال مصدر ومورد مالي هام جدّا، ولكي تتحصل الدولة على مورد مالي جديد، كان عليها فرض ضرائب جديدة [1]. وبذلك قدّم الفلاح في العصر المملوكي الكثير من الضرائب النقدية والعينية. وكانت طريقة تحصيلها تتسم في الغالب بالعنف، كما عانى إلى جانبها من التزامات متنوعة، وقيود مفروضة عليه ألزمته قسرًا الفلاحة في الإقطاعية فأضحى عبدًا لصاحبها لا يستطيع الهرب منها والتخلص من ظلم سيّده الدّخيل وقسوته، وليس له من خيراتها إلا القليل.[2] وكانت هناك مظالم كثيرة بسبب جشع المماليك واستطالتهم على حقوق الناس، إذ تميّزوا بالميل إلى

= 1984. أنظر أيضا: حكيم أمين عبد السيد تقديم محمد مصطفى زيادة. **قيام دولة المماليك الثانية** . الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة 1966.

1: صلاح أحمد هريدي: **تاريخ مصر الحديث**. مكتبة بستان المعرفة. ط2009. ص 23، 24.

2: محمد سهيل طقوس: **مرجع سابق**. ص262 .

اغتصاب الأموال وتكديس الثروات. [1] وإذا انشغلوا بالحرب فان عبيدهم وغلمانهم ينهبون المدن في غياب الرّقابة.

2ـ الصراع على السلطة:

فقد المماليك روح الطاعة والنظام التي كانوا يتحلّون بها ولم يعودوا أولئك الذين كانوا يُجلبون صغارا ويتعلمون الانضباط ويتحلّون بالدين والأخلاق، بل انقسموا شيعا وأحزابا يتنازعون عن السلطة والحكم ويتجسسون عن بعضهم البعض. كما دبّت فيهم نوازع الحسد والطمع فكان يبطل كل واحد منهم ما أحكمه الآخر وينقض ما أبرمه، وصاروا شيعا وأحزابا وعمّ الفساد[2] وظهر ذلك جليا منذ وفاة السلطان قايتباي

1: صحب الغوري معه أغلب وأنفس ما كان في خزينة مصر، كما جلب المماليك معهم أموالهم إضافة إلى نهبهم أموال سكان حلب بالقوّة. مما أضرهم وزاد في استنكارهم.

ونتيجة لظلمهم للرعية ، وكره سكان حلب لهم؛ فعندما انهزم الجيش أمام العثمانيين في مرج دابق وولى فلول من بقي من المماليك إلى المدينة، امتنع سكان حلب عن مساعدتهم واستولوا على ودائعهم وسلموا المدينة للسلطان سليم. ويقول ابن إياس فيهم:

(والنهب أطمعهم لذلّ نفوسهم حتى أتاهم بالقضاء المتلف)

أنظر: عمر الاسكندري وسليم حسن: **تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر**. ط2. مكتبة مدبولي. القاهرة 1996. ص06. أنظر أيضا **الملحق** رقم 16 ص 146.

2: ابن زنبل الشيخ أحمد الرمال: **آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني**. تحقيق. عبد المنعم عامر. ط2. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1998. ص71.

يقول نقولا زيادة في كتابه: **دمشق في عصر المماليك**. مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر. بيروت– نيويورك. 1966. ص24: (كان المماليك يعتبرون السلطان الحاكم على أنه الأوّل بين الأقران، وكان عليه أن يشدد الرقابة على أنصاره، إذ لم يكن في سلوك المماليك السياسي=

سـنة 902هـ 1496م[1] حتّـى تـولّى الغـوري الحكـم سـنة 907هـ/1501 م. وهـي الفتـرة التـي تميّـزت بالفوضـى وعـدم الاسـتقرار، لدرجـة أن تـولي العـرش أصـبح مقرونـا بالقتـل عنـد العـزل. فكـان الكثيـر يتخوّفـون مـن تـولي السـلطة. مثلمـا حـدث بعـد مقتـل السـلطان قنصـوه الغـوري فـي مـرج دابـق أمـام السـلطان سـليم سـنة 1516 عنـدما رفـض طومـان بـاي تـولي الحكـم، ثـم اشـترط لقبولـه الحكم بألاّ يُقْتَلَ في حالة عزله[2].

= شـيء أسـهل عليهم من تبديل الولاء والتبعية... ولما كان للسلطان موارد مالية أكبر، كان أتباعـه وأنصـاره أكبـر عـددا. فـإذا عجـز عـن إرضـائهم كـان نصـيبه العـزل أو النفـي أو حتـى القتل).

1: تسلطن بعد خلع الظاهر تمربغا (ابن إياس ج3. ص. ص2-3 -4).

2: امتنـع طومـان عن قبـول السلطنة مدّة خمسـين يومـا خوفـا مـن غدر المماليك وتعوّدهم علـى العصيان، إذ أن خيانتهم للسلاطين كانت سمة الحكم المماليكي في مصر. ويذكر ابن إياس هذا الحدث في كتابه بدائع الزهور ج05 الصفحة85 «فلما دخل الأمراء إلى القاهرة اجتمع رأي الجميع على سلطنة الأمير طومان باي الداوادار، وترشح أمره أن يلي السلطنة، فصار يتمنّع من ذلك غاية الامتناع والأمراء يقولون له: ما عندنا نسلطن إلاّ أنت طوعا أو كرها» ثم قبلها تحت ضغط رجال الدين في مصر عندما قالوا له: "ما عندنا سلطان إلا أنت"(ابن إياس ج5. ص103) . أنظر في ذلك:

M. Rey Dussueil: **Résumé de l'histoire d'Egypte** depuis les temps fabuleux jusqu'à nos jours. Paris. Imprimerie de decourchant. 1826 .p-p. 430. 431.

كما أن نهاية الغوري نفسه كانت أساسها الخيانة من جانب أمرائه الذين انسحبوا ووقفوا في صف سليم الأوّل (خاير بك وجنبردي الغزالي) أثناء المعركة مع العثمانيين . وكان المماليك يدخل بعضهم على بعض وهم يلبسون الدروع تحت الثياب خوفا من الغدر.

إن مبدأ الغدر لدى المماليك كان بسبب أن مبدأ الوراثة كان غير مقبول عندهم، كما كان في بيت قلاوون، بل كان استيلاء كل ملك من ملوكهم على الدولة متوقفا على شهرته =

3ـ الفجوة بين الحكام والمحكومين:

كوَّن المماليك مجتمعًا مغلقًا خاصًّا بهم، فلم يختلطوا بالرعية، بل ظلّوا بمعزل عنهم متـرَفِّعين عليهم، محتفظين بجنسهم وعاداتهم. وكان التحدث باللغة التركية شرطًا أساسيًّا في الانتساب إلى الطبقة الحاكمة فالمماليك كانوا يتحدثون بهذه اللغة في مجتمعاتهم واجتماعاتهم، وانحصر زواجهم بالنساء التركيات، أو من بنات الأمراء. وظلوا منعزلين عن باقي الشعب؛ مما أوجد فجوة بين الحكام والمحكومين[1].

4ـ فساد النظام الإداري:

كان التنظيم الإداري والعسكري في بداية العصر المملوكي نظامًا فعالاً وصارمًا، فعندما يعتلي سدة الحكم سلاطين أقوياء يضبطون الأمور بحزم وحكمة. كن هذا التنظيم بدأ يفقد فعاليته تدريجيًّا، إذ أن الصلاحيات الواسعة التي منحها السلاطين للأمراء ضمانًا لولائهم، قد أساءوا استعمالها، وأن السلاطين أنفسهم لم يقيدوا تلك الصلاحيات؛ مما أفسح المجال أمام الطامحين للخروج على الطّاعة. وقد أدى التهاون في ضبط هذا التنظيم- الذي حمل في طياته بذور الفساد- أن نمت هذه البذور وتفتحت ففسّخت أواصره وأفقدته تماسكه خاصة في ظل حكم السّلاطين الصّغار والضعفاء.

= الحربية ومقدرته على استجلاب مودة زملائه من الأمراء. فقد بلغ عدد المماليك البحرية الذين تم خلعهم من الحكم (12). وعدد الذين قتلوا(09) و(04) توفوا. أنظر: محمد بن محمود الحلبي (ابن آجا): **العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، مع رحلة الأمير يشبك من مهدي الدّاوادار**. ط1 دار الفكر... 1986. ص ص270-271.

1: محمد سهيل طقوس: **مرجع سابق**. ص- ص558- 559.

عندئذٍ يبرز الأمير القوي الذي يعزل السلطان ويجلس مكانه[1]. كما أحجم الأمراء عن الاهتمام بإقطاعياتهم طالما أنها غير وراثية، وازداد اعتمادهم على الرواتب النقدية (الجامكية)[2] والعينية والهبات والمكافئات التي أصبحت حقوقا ملزمة على كل سلطان، يتوجّب عليه دفعها دون تأخير وإلاّ يحدث ضدّه تمرّد. [3] كما تراجع بناء الجسور والقنوات، وأُهمِلَ ترميم ما هو قائم منها، فتدهور الإنتاج الزراعي، وازداد عجز الدولة عن سدّ النفقات العسكرية. فاضطر السلطان إلى فرض مزيد من الضرائب بشكل تعسفي. فنتج عن ذلك انطلاق المقاومة الشعبية بكل أشكالها[4]. وترتب على هذا أن عمّت الفوضى ولحق الخراب بمعظم مدن مصر.

1: محمد سهيل طقوس: **المرجع السابق**. ص559 . 560.

2: **الجامكية** كلمة فارسية معناها الراتب الذي يصرف للمحاربين بقصد شراء الملابس ثم صارت في الاصطلاح المملوكي والعثماني تعني مُرَتَّب الجنود. كثيرا ما كانت محل مساومة لا يخرج الجنود للقتال إلاّ إذا قدّمها السلطان لهم ووعدهم بهبات أخرى.

3: ومثال ذلك ما يذكره ابن إياس في كتابه (ج5. ص165) إذ كان همّ المماليك هو الجامكية. وفي الوقت الذي استولى فيه سليم على دمشق، حدث أن رمى العسكر ما أعطاه لهم السلطان من جامكية ثلاثة أشهر في وجهه وقالوا له: ما نسافر حتى نأخذ مائة دينار لكل مملوك) وكأن خطر سليم وجيشه على دولتهم أمرا ثانويا. تلك هي التعليلات التي كان يوضحها بن إياس عن أسباب وعوامل أفول دولة المماليك. وهاهو يبين لنا درجة التعفن التي وصل إليها الجيش المملوكي وتمرّده وعدم خوفه من السلطان بذكر ما قاله هؤلاء لسلطانهم ((ان كنت تعمل سلطانا فامش على طريقة من تقدمك من السلاطين وان رحت لعنة الله عليك، غيرك يجيء يعمل سلطانا)). ابن إياس. ج05. ص126.

4: محمد سهيل طقوس: **المرجع نفسه**. ص562– 563. كان موقف الشعب المصري هو التذمّر من تسلّط المماليك.

5ـ دور العربان في إضعاف كيان الدولة:

من أسباب تدهور الأحوال في عهد المماليك في مصر، أن العرب والعربان تنافسوا مع المماليك في السيطرة على البلاد. فالعرب الذين سكنوا مصر منذ الفتح الإسلامي لها، اعتبروا المماليك غرباء عن البلاد، وهم الأحق بحكمها. وعندما اعتلى العرش عز الدين أيبك[1] لم يرضوا به وثاروا في وجهه، وانظم إليهم العربان في الأرياف وتمرّدوا على السلطة، وكانوا مصدر القلاقل، إذ كثر سطوهم على قوافل الحج وعلى المدن، فغدا دورهم في مصر سببا في تدهور أحوالها، وكانوا عاملا من عوامل زوال دولة المماليك. وانشغل كثيرا من السلاطين بمحاربتهم وتجهيز التجاريد للقضاء عليهم خاصّة في عهد السلطان الغوري. [2] وما زاد في الطين بلّة العوامل الطبيعية التي أضرت بالاقتصاد.

1: أوّل سلطان مملوكي في مصر (1250-1257) كانت نهايته القتل.

2: يقول ابن إياس في كتابه بدائع الزهور الجزء الخامس الصفحة 14:

في دولة الغوري رأينا العجب وقد حمَّلَنا ما لا نطيق

وقد كفى في عامنا ما جرى من قلّة الأمن وقطع الطريق

وفي هذا دلالة على المتاعب التي كان يعانيها عامّة الشعب من الحكّام ومن العربان الذين كانوا يقطعون الطرق وينهبون الأسواق.

كما يسرد ابن إياس المظالم التي كان يفرضها الحكام مثل المكوس التي كانت تؤخذ على الغلال فيقول: "وكانت مظلمة عظيمة من البدع المنكرة وهو أنه كان يؤخذ على كل إردب (مكيال لتقدير وزن الحبوب يسع أربعة وعشرين صاعًا)- قمح أو شعير أو فول يباع أو يشترى نصف فضّة" (يوازي إردب القمح 150كلغ وإردب الفول 160كلغ) وتزايدت هذه المكوس في عهد الأشرف قانصوه الغوري "حتى صار يؤخذ على كل إردب غلال ثلاثة أنصاف من البائع والمشتري... ثم انتقلوا من الغلال إلى أن جعلوا على البطّيخ مكسا أيضا". ومن ثم نلاحظ =

6ـ المنافسة الصليبية للمماليك في البحار:

إن الموقع الاستراتيجي لمصر، بإطلالها على البحر المتوسط شمالا والبحر الأحمر شرقا جعلت منها محل أطماع القوى الصليبية وخاصة البرتغاليين في المياه الشرقية. وتمثلت هذه القوى الصليبية في القبارصة والرودسيين والكتلانيين والجنويين. على أن البرتغاليين كانوا أخطر القوى تهديدا لاقتصاد الدولة الجركسية. وقد كان عمل هذه القوى الصليبية بشكل خاص يتمثل في فرض الحصار الاقتصادي بالسيطرة على المراكب التجارية الداخلة والخارجة إلى مناطق نفوذ الدّولة الجركسية.[1] هذه الاعتداءات، كبّدت الدولة المملوكية – المنشغلة بمشاكلها الداخلية– خسائر مادية كبيرة [2]. وكان اعتماد المماليك على التجارة بين الشرق والغرب– التي كانت رائجة في تلك الأيام في مصر والشام خاصة التوابل

= على ابن إياس أنه يتبع نفس المنهج مع ابن خلدون فهو أيضا يركز على موضوع الاستبداد الذي يقوم به السلطان ضد شعبه ويربط بين العوامل الاقتصادية والسياسية. كما يوضح مثله مثل ابن خلدون أن هذه العوامل الداخلية هي التي تؤدي إلى الخلل في أحوال الدولة ومنه زوال دولة المماليك على يد العثمانيين.

1: فائز على بخيت: **المماليك الجراكسة في مواجهة الحصار الاقتصادي الصليبي على مصر**. مجلة كلية العلوم الإسلامية. المجلّد السابع. العدد13. ص1. 2013. أنظر أيضا: عبد الكريم رافق: **العرب والعثمانيون(1516-1916)**مكتبة أطلس. دمشق. 1984. ص05.

2: يذكر ابن إياس ذلك في كتابه بدائع الزهور (ج4. ص109) واصفا أعمال البرتغاليين بقوله: ((تزايد الضرر من الفرنج فيما بعد وترادفت مراكب الفرنج ببحر الحجاز... وصاروا يعبثون على مراكب الهند ويقطعون عليهم الطريق في الأماكن المخيفة ويأخذون ما معهم من بضائع حتى عزّ وجود الشاشات والأرز من مصر وغيرها من البلاد)) كما يذكر في نفس الموضوع ج4. ص82. « وعين ثلاث تجاريد واحدة إلى مكّة بسبب يحيى ابن سبع أمير الينبع وواحدة إلى الكرك بسبب فساد عربان بني لام وواحدة إلى الهند بسبب تعبث الفرنج بسواحل الهند... »

والبهارات–حيويا، مما دفعهم لاحتكارها لحسابهم الخاص، وحوّلوا التجارة عن ميناء عدن إلى ميناء جدّة الخاضع لنفوذهم[1]وفرضوا الضرائب على التّجار الأجانب، مما أحدث استياءً كبيرا في هذه الأوساط، وعزوفا على التجارة في هذه المناطق[2]. الأمر الذي دفع بالبرتغاليين إلى البحث عن طريق تجاري جديد يعفيهم من تسلّط المماليك واحتكارهم، فكان أن توصّل الملاّح بارتليميو دياز إلى اكتشاف راس الرجاء الصّالح وتمكّن فاسكو دي جاما سنة 1497 من عبوره. ووصل البرتغاليون إلى ميناء كلكوتا الهندي، حيث أنشئوا لهم مراكز تجارية مسلّحة ونجحوا في السيطرة على مواطن التوابل، وانتزعوا احتكارها[3] وحوّلوها إلى أسواق لشبونة مباشرة، لتصبح المركز الرئيسي لتوزيعها في أوربا. [4] فحرموا مصر من أهم مواردها بعد أن كانت محور التجارة العالمية بين الشرق والغرب وما كان يدره عليها ذلك من أموال[5].

1: عرب دعكور: **الصراع الاقتصادي بين الشرق والغرب في الربع الأوّل من القرن السادس عشر**. مجلّة العرفان: العدد7 المجلّد76ص49.

2: كانت البهارات تنقل من الموانئ الهندية إلى الموانئ العربية الواقعة على البحر الأحمر والخليج العربي لتصل إلى القاهرة والإسكندرية على البحر المتوسط، معتمدة على التجار العرب لتنقل مجددا إلى الموانئ الأوربية. وفي هذه الرحلة الطويلة لها، تفرض عليها الضرائب، مما يؤدي إلى رفع أثمانها في هذه الأسواق. للمزيد من التوسع أنظر: ياسر عبد الجواد المشهداني: **النفوذ البرتغالي وأثره على الهند الإسلامية (1514/1498)**. مجلة التربية والعلم المجلد14. العدد2. سنة2007. أنظر أيضا: أسامة حسن: **طومان باي آخر سلاطين المماليك**. ط1. مطابع الوادي الجديد. دار الأمل. 2000.

3: Stanley lane–poole. **A history of Egypt. in the middle ages**. vol. 06. New York. Charles scribner's son. 1901. p. 350.

4: محمّد سهيل طقّوش: **مرجع لسابق**. ص552.

5: محمود محمد الحويري: **تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى**. ط1. 2002 ص210. أنظر أيضا: =

ولم يكتف البرتغاليون بذلك، بل شرعت سفنهم بالبحر الأحمر تقبض على كل سفينة مصرية. [1] فقد حدث أن قاموا بإغراق سفينة مصرية محمّلة بالتوابل تابعة للسلطان قانصوه الغوري في ميناء كلكوتا قبل أن تبحر نحو ميناء جدّة سنة 1506. [2] وما لبث أن انقطعت المكوس والضرائب وركدت التجارة وتدهور الاقتصاد.

7ـ **النيل ودوره في المجتمع**:

حدثت مجاعات عديدة أنهكت المصريين بسبب شح مياه النيل وانعكس ذلك على الزراعة، الأمر الذي يؤدي كل مرّة إلى ارتفاع أسعار المواد الغذائية، فينعكس ذلك على الحالة الاجتماعية والاقتصادية فتهزّ بدورها كيان الدولة. هذا إضافة إلى الأوبئة التي كانت تحدث[3].

كل هذه العوامل جعلت الدولة المملوكية في أشد حالات الإعياء والانهيار.

لقد عاصر ابن إياس السنوات الأخيرة من سلطنة المماليك الشراكسة حيث كانت مظاهر التدهور جلية. فتمرّد ذلك الفتى المدلل على سيّده وبدلا من أنه كان الساعد القوي للسلطان، المملوك الطائع لأستاذه

= E. Amélinau: **Résumé de l'histoire de l'Egypte**. Imprimerie l'Aloux. Paris 1894. page. 280.

1: عمر الإسكندري والميجرا. ج. سيفدج: **تاريخ مصر إلى الفتح العثماني**. ط4. . مطبعة المعارف. مصر. 1920. ص244 .

2: ياسر عبد الجواد المشهداني: **مرجع سابق**. ص32.

3: أنظر قاسم عبده قاسم: **النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**. ط1. دار المعارف. 1978.

وسلطانه، أصبح هؤلاء الجلبان[1] مصدر الخطر على السلطان والسّكان الذين نهبت أموالهم وممتلكاتهم. فلم يعد السلطان نفسه يأمن على حياته بعدما أصبح الجلبان يهددونه بالثورة لمجرّد تأخره عن دفع الرواتب. [2]

1: **الجلبان:** هم المماليك الذين كان السلاطين يشترونهم في سن البلوغ منذ القرن 15 ميلادي. ويعهدون بهم لمقدمي المماليك لتدريبهم وتعليمهم ويضعونهم في معسكرات خاصّة ثم يعتقون ويفرض لكل منهم راتب وتقدّم لهم الإقطاعات والسلاح والخيل. غير أن جلبهم في هذه السن جعلهم غير أوفياء ولا يدينون بالولاء لأستاذهم، بل أصبحوا مصدر خطر عليه.

2: يعطينا ابن إياس صورة واضحة عمّا كان يحدث فيقول عن حوادث سنة 891 هجرية في الجزء الثالث ص229: "ثم قويت الإشاعة بوقوع فتنة كبيرة، وصاروا جماعة من المماليك الجلبان يقفون للأمراء بسلّم المدرج ويقولون لهم قولوا للسلطان ينفق علينا وإلاّ يقع منّا فتنة كبيرة . وصاروا يغلظون عليهم في القول... ". كما يقول "وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن العسكر قد ثار على الأتابكي ازبك وقصد العود إلى القاهرة، فتشوش السلطان لهذا الخبر وأرسل يقول للأتابكي ازبك بأن ينفق على العسكر هناك لكل مملوك خمسون دينارا... ثم توجّهوا إلى الشون وكسروا أبوابها ونهبوا ما فيها من شعير وقمح، ففعلوا ذلك بشون السلطان والأمراء وكانت فتنة مهولة... "ص228. ويواصل في سرد أحداث شهر ذي الحجة فيقول (ص230. ج3) "ففي عقيب ذلك ثار جماعة من المماليك الجلبان على السلطان ولبسوا آلة الحرب وأشهروا السلاح ... فاضطربت الأحوال ووزع أكثر الأمراء والناس حوايجهم في الحواصل، وغلّقت الأسواق والدكاكين وجاءت الزعر أفواجا أفواجا . وكان قبل ذلك توجّه جماعة من المماليك الجلبان إلى بيت أقبردي الداوادار وتكلّموا معه في أن يتكلّم مع السلطان بأن ينفق عليهم نظير تعب سرّهم ... وسألوا في أن يعمل مصالحهم في مرتّب اللّحم والعليق ... فلمّا عاد الجواب لهم بعدم الإجابة في ذلك ثاروا عليه واتسعت الفتنة وغلقت الأمراء أبوابها ... "

"وفيه جلس السلطان لتفرقة الجامكية، فامتنع المماليك من أخذها وصمّموا وقالوا ما نأخذ إلا النفقة مع الجامكية، ولا نصير إلى الشهر الآتي. فلمّا رآهم قد صمّموا على ذلك، نفق عليهم... وخمدت الفتنة"(ج3. ص231). ويقول في أحداث شهر شوال من سنة 906 (وفيه كثر شرّ المماليك على السلطان)(ج4. ص7). وهذا النوع من التمرّد والفتن نراه يحدث مستقبلا للدولة العثمانية حين يصبح الإنكشاريون مصدر خطر على الدولة بعدما كانوا مصدر القوّة . فما حدث=

تلك هي الأسباب الداخلية والخارجية المؤدية لانهيار دولة المماليك ولم يكن يَخْفَ عن مصر النوايا العثمانية اتجاهها. فحسب رواية ابن إياس، أن بلاط القاهرة كان يدرك بخطر الفتح العثماني، وكان عليه مهادنة بلاط القسطنطينية قدر المستطاع [1] ويحاول قادتها إعداد العدّة. غير أن الفساد والانحلال الذي كان متفشيا حال دون ذلك[2].

أمام هذا الضعف، زاد اقتناع العثمانيين بالتوجه نحو الشرق، كما فشل المماليك في صد البرتغاليين الذين نزلوا الخليج العربي، واستولوا على عدن، وفي نيتهم الزحف إلى الأراضي المقدسة والاستيلاء على المدينة ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم للمقايضة به على بيت المقدس للنصارى، [3] ونجاحهم في الاستيلاء على العديد من مدن جنوب الجزيرة. كما أدرك العثمانيون أن الخلافة العباسية في مصر ليست سوى خلافة صورية يتصرف بها المماليك كما يشاءون. وهذا جعل تفكير العثمانيين جادا في استرجاع الهيبة السياسية للمسلمين، واستوجب منهم سرعة التحرك قبل سقوط الأماكن المقدسة. فاجتمعت الظروف الداخلية والخارجية وتحرك العثمانيون نحو الشرق لمحاربة الشيعة والمماليك والخطر الصليبي في آن واحد.

فكيف صوّر لنا ابن إياس هذا المشهد؟

= للمماليك يحدث للعثمانيين فيما بعد. وقد يعود السبب أيضا في هذه الفتن إلى رعونة الجلبان فقد جلبوا في هذه الفترة وهم كبارا كونهم أرخص ثمنا من المماليك الصغار، وهو ما صعّب أمر تربيتهم وتعليمهم، فكانوا متمرّدين عن العرف والعادة، وأصبحوا أداة هدم وتخريب للدولة.

1: ابن إياس: **المصدر السابق**. ج4. ص298.

2: يوضح لنا ابن إياس ذلك في الجزء الرابع من بدائع الزهور في الصفحات 264إلى 294.

3: محمود شاكر: **التاريخ الإسلامي. ج**08. العهد العثماني. ط4. المكتب الإسلامي. 2000. ص98.

❖ المبحث الثاني: الدّخول العثماني للشام ومصر وموقف ابن إياس منه.

لمعرفة موقف ابن إياس من الدخول العثماني للشام ومصر[1] لا بدّ لنا أن نعرج أوّلا إلى العلاقات بين العثمانيين والمماليك، ثم الحملة في حدّ ذاتها، ثم نقارنها بما تناوله ابن إياس في الجزء الخامس من كتابه.

كيف كانت العلاقات بين الدولة العثمانية والدولة المملوكية، تلك التي انتهت بالحرب بينهما؟

حين كانت الدولة العثمانية في بداية توسعها، لم يسترع وجودها انتباه دولة المماليك. لكن سرعان ما اتّسعت الدولة العثمانية وضمت آسيا الصغرى، فاقتربت حدودها من حدود دولة المماليك في أعالي بلاد الشام. وأوجد هذا نقطة الاحتكاك بين الدولتين. ثم إن خروج العثمانيين إلى البحر المتوسط خلق نقطة أخرى للاحتكاك بسبب سيطرة المماليك النسبية في هذا البحر.

1: يدور جدل كبير حول المصطلح الواجب استعماله، خاصّة من طرف المصريين، فهناك من يوظفون مصطلح الغزو ويدرجونه في برامجهم التعليمية مثل مصر، وهناك من يوظف مصطلح الفتح. ففي مقالة بعنوان: **العثمانيون ومصر هل هم غزاة أم فاتحين ؟!!** موقع: http: //kenanaonline. com في2010/10/02.

يقول الدكتور عاصم الدسوقي، أستاذ التاريخ الحديث بجامعة حلوان" .الأصل في قدوم العثمانيين إلى مصر هو غزو وليس فتحا". كما يقول الدكتور السيد عطية الفيوفي: العثمانيون غزوا مصر ولم يفتحوها، لأن أهدافهم كانت توسعية وليست دينية لنشر الإسلام ."

ومنه فالعثمانيون لم يغزو مصر لنشر الإسلام كما فعل الفاتحين بقيادة عمرو بن العاص. بل جاءوا بهدف التوسع ."وبالتالي فمن الأفضل استخدام تعبير"دخول"أو"الحملة" لوصف قدوم العثمانيين إلى مصر بدلا من الغزو أو الفتح.

*** العلاقات العثمانية المملوكية**:

تراوحت العلاقات المملوكية العثمانية بين التحالف والتعاون والمودة والتقدير، وبين القلق، ثم الصراع الدامي بينهما. وهذين الاتجاهين المتناقضين فرضته عليهما معطيات جيوسياسية تمثلت فيما يلي:

***اتجاه التحالف والتعاون**:

حين ظهر الخطر البرتغالي على حدود الشرق الأوسط واشتباك دولة المماليك في حرب مع البرتغاليين لإعادة الطريق التجاري إلى البحر الأحمر، طلب السلطان الغوري مساعدة السلطان العثماني بايزيد الثاني فأمدّه بما يحتاجه من معدّات[1]. كما حدث بالفعل اشتباك بين السفن العثمانية المملوكية من ناحية وسفن فرسان القديس يوحنا بالقرب من مياه الإسكندرية سنة 1510م من ناحية أخرى.

وازدادت العلاقات تماسكًا في عهد السلطان الأشرف برسباي[2]. كما ازدادت أواصر الصداقة بين الدولتين في عهد السلطان جقمق[3]

1: ابن إياس: **المصدر السابق**. ج 04. ص 201. ((وفيه وصلت عدّة مراكب من عند بن عثمان ملك الروم فيها زردخاناه للسلطان فوصلت إلى بولاق عند الرصيف وشرعوا يحوّلون ما فيها إلى القلعة . فكان من جملة ذلك مكاحل سبقيات العدّة ثلاث مائة ونشاب ثلاثين ألف سهم وبارود مطيّب أربعون قنطارا ومقاذيف خشب العدّة آلفين مقذاف وغير ذلك من نحاس وحديد وعجل وحبال وسلب ومراسي حديد وغير ذلك مما تحتاج إليه المراكب...)) وقد كان كل ذلك بدون مقابل إذ ردّ السلطان العثماني الأموال إلى الغوري.

2: هو الأمير برسباي الدقماقي الملك الأشرف أبو النصر (1422-1438) الثامن من ملوك الشراكسة.

3: هو أبو سعيد جقمق الملقب بالملك الظاهر حكم في الفترة ما بين (1438-1452) ثم استقال.

فتبودلت المراسلات والسفارات والهدايا بين الدولتين، وأرسل السلطان العثماني مراد الثاني إلى السلطان المملوكي هدية تضم خمسين أسيرًا من الأوربيين وخمسة من الجواري وهدايا[1].

واستمرت هذه السياسة الودية قائمة في عهد السلطان إينال[2] فبعد أن أتم السلطان العثماني محمد الفاتح فتح القسطنطينية أرسل إلى السلطان المملوكي رسالة يبشره فيها بانتصاره الكبير. فأرسل إليه إينال رسالة تهنئة، واحتفل في القاهرة بهذا الحدث الكبير احتفالا رائعًا[3].

*** اتجاه الصراع بين الدولتين**:

1- بدأت العلاقات المملوكية العثمانية تتردى بفعل تصادم المصالح. فقد توسعت الدولة العثمانية في الأناضول والجزيرة الفراتية شمالاً حتى البحر المتوسط جنوبًا، وجبال طوروس. وفي الوقت نفسه، كانت دولة المماليك قد سيطرت على قلقيليا. كما لاحظ المماليك بقلق شديد بروز دولة إسلامية قوية أخذت تنمو على حدودهم، وتشق طريقها الخاص بها. وبدأ المماليك يتوجسون خيفة من العثمانيين. فتبدلت نظرتهم إليهم، من مشاعر الاعتزاز إلى مشاعر الغيرة. ثم أضحى الصراع على الهيمنة على زعامة العالم الإسلامي السبب الأساسي والرئيسي للنزاع المملوكي- العثماني.

1: ابن إياس: **المصدر السابق**. ج2. ص- ص. 246. 245.

2: هو أينال العلائي الملقب بالملك الأشرف أبو النصر سيف الدين. حكم في الفترة ما بين (1453-1461).

3: نفسه: ص316.

2- بما أن طبيعة الحكم العثماني كانت تستوجب من السلطان الجديد أسر إخوته خوفا من منافسته في الحكم، كان يحدث أن يفر بعضهم إلى دولة المماليك للاحتماء بهم خوفا من القتل.

لذلك كان السلاطين العثمانيون يكنّون الحقد للمماليك، ذلك أنهم فتحوا بلاطهم ملجئا لكل الثائرين على السلطة العثمانية والمنافسين لهم في الحكم. وهو ما أثّر سلبا على العلاقات بين الطرفين، وساهم في توسيع الهوة بينهما. فقد حدث أن آوى الأشرف قايتباي الأمير (جم)[1] المعارض لأخيه السلطان بايزيد الثاني، فنشبت الحرب بين بايزيد وقايتباي سنة 1485م وأغار العثمانيون على طرطوس، إلا أن قايتباي هزمهم. ثم عقد الصلح بين الفريقين في سنة 1491م، وفعل مثل ذلك قنصوه الغوري للأمير (أحمد) أخو السلطان سليم الأول. [2]

وبما أن الغوري أجار الأمراء العثمانيين الفارين من وجه سليم الأول، قام هذا الأخير بغلق أسواق الرقيق في وجه المماليك. وكان لهذا أثره الواضح، لأن النظام المملوكي يستمد كيانه من أسواق الرقيق. وردّ الغوري على هذا بأن منع وصول بعض الهدايا المرسلة إلى السلطان. [3]

1: يسميه ابن إياس في كتابه بدائع الزهور (ج3. ص184) "جمجمه بن عثمان".

2: أنظر مخطوط لابن زنبل الرمّال، **الملحق** رقم 17-18-19. ص. ص. 147- 149.

3: بعد وفاة السلطان محمد الفاتح في عام 886هـ/ 1481م، بدأ النزاع الداخلي على العرش بين الأخوين بايزيد الثاني وجم. ولم يتمكن جم من الصمود في وجه أخيه، فلجأ إلى دولة المماليك فاستقبله السلطان المملوكي قايتباي بحفاوة بالغة؛ مما أثار غضب السلطان العثماني بايزيد =

3- أن المماليك وقفوا من الصراع العثماني السُّني مع الدولة الصفوية الشِّيعية موقفا متخاذلا، وبقي السلطان الغوري متفرجا ينتظر إضعاف كل طرف للآخر. كما حال المماليك دون مرور الجيش العثماني على أراضيهم، أيّام توجههم لمحاربة الشيعة، مما أدى إلى نظرة السلطان العثماني نظرة عداء اتجاه المماليك. فلما انتهى سليم الأوّل من غزو فارس، قام باحتلال إمارة ذي القادر المملوكية وحاكمها علاء الدين[1] في طريق عودته إلى القسطنطينية. واعتُبِر ذلك عملا عدائيا موجها نحو الدولة المملوكية. وأن هذا الاحتلال صفعة

= الثاني. واتخذ السلطان العثماني بايزيد الثاني موقفًا عدائيًّا صريحًا من المماليك بحيث ساند عسكريًّا علاء الدولة بن ذي القدر الذي هاجم ملطية التابعة للمماليك في عام 888هـ/ 1483م. كما أحكم سيطرته على الطرق التجارية، وعلى مصادر الخام البالغة الحيوية للمماليك كأخشاب السفن، وبذل جميع المحاولات لإضعاف طاقتهم العسكرية، كما عرقل شراء الجلبان من أسواق البحر الأسود لنقلهم إلى مصر. وردا على ذلك أرسل السلطان قايتباي حملة عسكرية بقيادة تمراز الشمسي، وانتصر على علاء الدولة وحلفائه العثمانيين. وهكذا أدَّت الصدامات المسلّحة التي نشبت مع علاء الدولة بن ذي القدر بين أعوام 888- 890هـ/ 1483- 1485م إلى أول حرب مملوكية – عثمانية.

واضطر قايتباي إلى الدفاع عن أراضيه أمام اعتداءات العثمانيين، ومن هنا بدأت حملات الأمير أزبك، ضد أراضيهم واستطاع هذا الأمير إلحاق الهزيمة بالجيوش العثمانية ثلاث مرات أسر في الحملة الأولى عام 891هـ/ 1486م عدد كبيرًا من العثمانيين من بينهم القائد أحمد بك بن هرسك ونتيجة لوساطة باي تونس عقدت اتفاقية سلام بينهما سنة 896هـ/ 1491م. ارجع في ذلك إلى ابن إياس **بدائع الزهور ج3** ص. ص224-250-251- 259.

1: إمارة ذي القادر: تقع في أعالي الشام على الحدود المشتركة بين الدولة الصفوية والعثمانية والمملوكية كانت تخضع لمصر، لا يتولى أمير منها الحكم إلا بإذن مصر، وكان موقف حاكمها علاء الدين من النزاع العثماني الصفوي عدائيا بالنسبة للعثمانيين.

للمماليك. وهنا أقدم السلطان المملوكي على خطوة خطيرة عندما أمر بتكوين جيش لمواجهة العثمانيين إذا لم يرفعوا أيديهم عن إمارة ذي القادر الحليفة، كما لجا إلى استمالة الشاه إسماعيل الصفوي عن طريق مراسلات سرية، بالتحالف ضدّ سليم. لكن مراسلاته مع الشاه سقطت بين أيدي الجواسيس العثمانيين، الشيء الذي أدى إلى تزايد الخلاف بين الطرفين.

ولكن حتى ذلك الوقت لم تكن هناك حالة من الحرب بين الدولتين. وحين شعر السلطان الغوري بخطورة الموقف، بعد سماعه باستعدادات تُجرى في اسطنبول لمحاربة دولته، خرج بجيشه إلى الشام وحشد قوّاته في حلب.

هذه العوامل كلها دفعت سليم الأوّل من أن يعرّج على الشام ومصر نظرا لحيوية المنطقة وأهميتها الإستراتيجية والاقتصادية. بعد أن بعث بآخر رسالة شفوية عن طريق رسول الغوري جاء فيها: ((قل لأستاذك يلاقيني على مرج دابق)) [1] وليثير الغوري ويدفعه للحرب أهان رسوله بعد أن أمر بحلق ذقنه ورأسه، وأركبه حمارا أعرجا. [2]

سار السلطان سليم بجيشه نحو بلاد الشام، واستعد للسّلطان الأشرف قانصوه الغوري. والتقى الطرفان في مرج دابق شمال غربي مدينة حلب، فكانت الكرّة الأولى للمماليك، حيث خسر سليم زهاء العشرة

1: ابن إياس: **المصدر السابق**. ج5. ص68.

2: Lamartine. Histoire de la Turquie. Tome25éme. Livre18éme. Paris typographie de cosson et compagnie. 1863. page193.

آلاف من جنوده[1] عندها ظهرت قوّة المدفعية وفعاليتها وظهر ضعف الجيش المملوكي المفكك[2]. فهاهم المماليك الجلبان يقفون وقفة المتفرج بأمر من سلطانهم، تاركين المماليك القرانصة يحاربون، وما لبثوا أن تراجعوا ولم يستطيعوا الصمود. [3] ثم وقعت الخديعة وانفصل ولاّة الشام بمن معهم. وأوّلهم خاير بك وجانبردي الغزالي وانضموا إلى العثمانيين الأمر الذي ساعدهم في الانتصار. وانهزم المماليك رغم شجاعتهم واستبسالهم. ومات السلطان الغوري ولم يعثر على جثّته. [4]

دخل السلطان سليم حلب، وحماه، وحمص، ودمشق دون مقاومة بل بالترحيب في أغلب الأحيان، [5] وقبل خروجه منها أبقى ولاة الشام على

1: ابن إياس: **المصدر السابق:** ص69.

2: لم يترك ابن إياس أدنى مظهر من مظاهر الانحلال والتفكك للمماليك ليصفهم بها وأهمها احتقارهم للعامّة من الشعب والظلم والسلب والنهب، والتمييز فيما بينهم والولاء لهذا ومعادة الآخر. وعدم التوجه للحرب إلاّ بعد أخذ الأموال مقدّما، دون مراعاة المصلحة العامّة. فلم يحاب أحدا من المماليك ونقدهم بكل موضوعية.

3: **نفسه.** ج5. : ص71. ينقد ابن إياس التمييز الذي يوجد بين المماليك فيشير إلى أن أكثر من قتل من عسكر مصر هم المماليك القرانصة، ولم يقتل من المماليك الجلبان إلاّ القليل، فإنهم لم يقاتلوا في هذه الواقعة شيئا، ولا ظهر لهم فروسية . فكأنهم خشب مسنّدة. وهذا بالضبط ما ذكره (الرمال). انظر **الملاحق.** 20-21. ص- ص. 150-151.

4: **نفسه:** ص71. ((وأما السلطان فمن حين مات لم يعلم له خبر، ولا وقف له أحد على أثر، ولا ظهرت جثّته بين القتلاء. فكأن الأرض قد انشقت وابتلعته في الحال)) . لكن ابن زنبل يضيف تفاصيل لم يذكرها ابن إياس. أنظر **الملاحق** 22-23 ص-ص. 152-153 .

5: **نفسه:** ص152. يؤكّد ابن إياس على أن السلطان سليم امتلك أغلب هذه المدن دون مقاومة ((الكل ملكهم بالأمان... فتسلّم الكل بالأمان من غير حرب ولا مانع، ولم يتفق هذا لأحد من الملوك قبله.)) وقد علل ابن إياس سابقا على هذا الأمر وهو فساد الحكام وتجبرهم على=

ولاياتهم حسبما وعدهم، بل زاد في مناطق نفوذ بعضهم جزاءا لما بذلوه في مرج دابق، واتجه إلى مصر بعد أن قابل العلماء وأكرمهم، وعين جانبردي الغزالي على دمشق، وفخر الدين المعني على جبل لبنان. لتكون خطوته التالية هو ضم مصر.

لم يكن سليم يريد الزحف إلى مصر في بداية الأمر، إنما كان يأمل في أن تؤدي معركة مرج دابق إلى سقوط دولة المماليك نهائيا في قبضته. فأرسل إلى طومان باي- سلطان مصر الجديد- كتابا شديد اللهجة يهدده فيه، ويطلب منه الاعتراف بالسّيادة العثمانية، وأن تكون الخطبة وضرب السّكة باسمه. ويوجه له خراج مصر. على أن يكون نائبه في حكم مصر حتى مدينة غزة. [1]

وكان طومان باي قد بقي في مصر ينوب عن السلطان الغوري إبان غيبته ويعرف تماما المصير الذي ينتظره هو ودولته.

لقد بذل طومان باي كل ما في وسعه لتنظيم قواته للدفاع عن بلاده وتهيأ لملاقاة سليم قبل قدومه إلى القاهرة. إلا أن الخيانة وسوء التنظيم

= الرعية. فانتقم أهل الشام من المماليك عندما أرادوا الدخول إلى حلب فرارا من العثمانيين فلم يمنعوهم من الدخول فقط، بل وهاجموهم وقتلوهم ((وجرى عليهم من أهل حلب ما لا جرى عليهم من عسكر ابن عثمان)). أنظر **الملاحق** 24-25 ص-ص. 154-155. (مخطوطة ابن زنبل معاصر ابن إياس).

1: **المرجع السابق**. ص152. أنظر مخطوطة ابن زنبل في **الملحق** 26... ص 156. أنظر أيضا:

-Stanley lane-poole: Op. cit. p. 354 .

تعاونا على هزيمة المماليك من جديد والقبض على طومان باي. [1]

وفي 24 جانفي1517م دخل السلطان سليم القاهرة. ولم يكن في نيته القضاء على طومان باي، لولا أن خاير بك وجان بردي الغزالي أوغرا صدره عليه فأمر بشنقه علناً. [2]

بقي سليم في مصر بعض الوقت ليدرس أحوالها بنفسه، ثم عفى عن البقية الباقية من أمراء المماليك وكبار الموظفين. وأصدر أمرا بعدم التعرض لهم ولممتلكاتهم، وباستمرار صرف مرتباتهم كما جرت العادة ليحتفظ بهم كعنصر هام في إدارة الدولة فيما بعد.

1: يوضح ابن إياس تعنت المماليك في عدم التوجه إلى ميدان القتال إلاّ بعد أن يصرف لهم السلطان(النفقة وبشروطهم) ويذكر بعض تصرفاتهم، منها: (فلما طلعوا نفق عليهم لكل مملوك ثلاثين دينارا وجامكية ثلاثة أشهر بعشرين دينارا . فأرموا تلك النفقة في وجهه وقالوا: ما نسافر حتى نأخذ مائة دينار لكل مملوك...) فيقول المماليك القرانصة: ((نحن ما نسافر حتى يعطينا مائة وثلاثين دينارا كما أعطى من سافر قبلنا)) . يصور لنا ابن إياس هذا الخلاف فيُظهر هذا الجيش على أنه أشبه بالمرتزقة، وأن مصير مصر معلق في يدهم حتى تُقبل شروطهم، موضحا أسباب الهزيمة بكل موضوعية وبدون تحيّز. وأما الخيانة فيبرزها في شخصية خاير بك نائب حلب الذي خان الغوري وانسحب ووالى سليم في الريدانية، وأصبح يشجع ويحث أمراء مصر على الدخول تحت طاعة سليم الأوّل.

2: يشير ابن إياس إلى أن خيانة جانبردي الغزالي كانت هي الأخرى معروفة بقوله(وكان جان بردي الغزالي متواطئا مع ابن عثمان في الباطن من أيام السلطان الغوري، وكان سببا لكسرة العسكر في مرج دابق هو وخاير بك نائب حلب)) ج05. ص160. أنظر أيضا: ابن زنبل الشيخ أحمد الرمّال: **آخرة المماليك**. تحقيق . عبد المنعم عامر. الطبعة الثانية. الهيئة المصرية العامّة للكتاب. 1998. ص- ص 254-255. أنظر الملاحق. 27 إلى 32 . ص-ص 157- 162.

وهنا يطرح التساؤل:

* ما هو موقف ابن إياس من الدخول العثماني للشام ومصر؟ وما موقفه من تصرفات السلطان سليم ومن مصير الخلافة ؟

1: فيما يخص موقف ابن إياس من الدخول العثماني وسليم الأوّل فقد كان ذا وجهين:

أ)- عند انهزام المماليك وإعدام طومان باي: قال ابن إياس:

"ولم يُسمع بمثل هذه الواقعة فيما تقدم من الزمان أن سلطان مصر شنق على باب زويلة قط... ولم يعهد بمثل هذه الواقعة في الزمن القديم".[1]. ثم يتوسع في الوصف الذي نستشف من خلاله موقفه الصريح، بنظمه لقصيدة مطوّلة يصف من خلالها الواقعة أين يتضح جليا تأثير النزعة المملوكية عند ابن إياس.[2] وهذه القصيدة (المرثية) موسومة بنبرة تحسّر ومعظم قصائده يغلب عليها طابع سياسي، لا يحبذ الوجود العثماني بمصر. [3]

1: ابن إياس: **المصدر السابق** . ج5. ط2. تحقيق محمد مصطفى. ص177.

2: **نفسه**. ص. 198. أنظر مقاطع من القصيدة في الملاحق رقم 33 إلى 36. ص- ص 163- 166.

عند معالجته للحملة العثمانية على مصر نراه ينظم أبياتا من الشعر تعبّر عن سخطه على الأتراك وأسفه على انقضاء دولة المماليك. ويُحمل ابن إياس المسئولية للمماليك بقوله:

لما تكبّرت الجراكسة الذي كانوا بمصر ذلّهم ربّ الورى.

راجع في ذلك القصيدة في الملحق السابق ذكره.

3: مما يؤكّد موقف ابن إياس المضاد للتدخل العثماني ما ذكره في الصفحة 11 من الجزء الخامس من كتابه المذكور سابقا:

ب)– أمّا موقفه من السلطان سليم وتصرفاته فيتضح فيها ردّة فعل المواطن المصري الرافض للوجود الأجنبي. فيقول: ومن أعظم مساوئ سليم شاه ابن عثمان، خروج أعيان رؤساء الدّيار المصرية ونفيهم إلى اسطنبول. واصفا في ذلك تهجير المصريين من أصحاب الحرف والصنائع نحو اسطنبول. [1]

كما ينتقد ابن إياس سليم الأوّل نقدا لاذعا في تصرفاته اتجاه مصر والمماليك وفي شخصه بالذات فيقول: ((ولكن ابن عثمان انتهك حرمة مصر، وما خرج منها حتّى غنم أموالها وقتل أبطالها ويتّم أطفالها وأسر رجالها وبدّد أحوالها وأظهر أهوالها... [2] وأشيع أن ابن عثمان خرج من مصر وصحبته ألف جمل محمّلة ما بين ذهب وفضّة.. وأخذ منها من كل شيء أحسنه ما لا فرح به آباؤه ولا أجداده من قبل أبدا. وكذلك ما غنموه وزراؤه من الأموال الجزيلة وكذلك عسكره، فانه غنم من النهب ما لا يحصى... فما رحلوا على الديار المصرية إلاّ والناس في غاية البلية.. وفي مدّة إقامته لم يجلس بقلعة الجبل على سرير الملك جلوسا عاما ولا رآه أحد.. فكان ابن عثمان

((يا سليم شاه كفّ عن أخذ مصر بلدٌ شرّفت بخير إمام
فهو شافي قطب ولي نجل إدريس عمدة الإسلام
هي تدعى كنانة من غزاها قصم الله ظهره بالحسام))

1: ابن إياس: **المصدر السابق**. ج5: ص232.

2: يقول ابن إياس في الجزء الخامس من بدائع الزهور الصفحة 223 هذه المواليا:

كان ابن عثمان مذ جا مصر مثل الضيف رحل وولّى علينا كل صاحب حيف
مباشرين يجوروا في الشتا والصيف أطراف أقلامهم تفعل فعال السيف

لا يظهر إلا عند سفك دماء المماليك الجراكسة. فما كان له أمان إذا أعطاه... وليس له قول ولا فعل..)) [1]. كما لم يستثن سليم حلب من عملية السلب والنهب فبعد أن دخلها، تعمّد أن يرسل إلى قلعتها شخصا من جماعته أعرج وفي يده دبّوس خشب، وهو أضعف من في عسكره. فطلع إلى القلعة ولم يجد بها من يمنعه فختم على الحواصل التي بها واحتوى على ما فيها من مال وسلاح وتحفٍ. [2]

2: أما فيما يخص موقفه من مسألة تنازل الخليفة العباسي المتوكل عن الخلافة، فلم تتضح معالمها عند الكثير من المؤرخين.

فمن الثابت أن الخليفة العباسي في مصر لم تكن له أيّة سلطة فعلية من سلطان الحكم، وأن الخلافة لم تكن إلا مسألة شكلية صورية. والحقيقة أن معظم سلاطين المماليك لم يعنيهم من أمر الخليفة العباسي سوى الحصول على تفويض منه بالحكم واستعماله إلى جانبهم إذا شعروا بخطورة تهدد بقاءهم على العرش، أو إخراجه مع الجيش في حالة الحرب من باب التبرك ورفع الروح المعنوية للجيش.

فلما هُزِمَ السلطان الغوري ودخل سليم حلب قابل هذا الأخير الخليفة المتوكل على الله ولم يحفل به كثيرا ثم اصطحبه معه إلى مصر فيما بعد.

1: ابن إياس: **المصدر السابق.** ص- ص 206-208.

2: نفسه. ج5. ص. 75

واستخدم سليم الخليفة المتوكل بعد ذلك في الوساطة بينه وبين طومان باي لإقناعه بقبول حكم مصر تحت السيادة العثمانية ولكن فشلت وساطة المتوكل. ثم حدث أن أسبغ سليم إبان وجوده في مصر بعض المكانة على المتوكل. [1] كما منحه بعض النفوذ ولكن هذا الأخير استغل هذا النفوذ، وشعر سليم بعدم الرضا نحوه فضمه إلى مجموعة المسافرين من المصريين إلى اسطنبول وهم بعض القضاة والعلماء والأعيان والأمراء وأصحاب الحرف والمهن. وعاش المتوكل في حبسه حتى توفي سليم وخلفه سليمان فأفرج عنه وأعاده إلى مصر.

ولذلك عندما نجح العثمانيون في الاستيلاء على مصر وأصبحت الدولة العثمانية القوة الكبرى في العالم الإسلامي، كان طبيعيا أن تنتقل زعامته من القاهرة إلى اسطنبول.

أما بالنسبة لابن إياس فلم يتضح موقفه من مسألة تنازل الخليفة المتوكل عن لقب الخلافة للسلطان سليم مثله مثل أغلب المؤرخين وليس لدينا سوى استنتاجات ضمنية من خلال ما سرده ابن إياس وبعض المؤرخين عن الحادثة، وما يمكن استنتاجه هو انتقال زعامة العالم الإسلامي الدينية والسياسية إلى العثمانيين وأصبح الخطباء

1: ابن إياس: **المصدر السابق**. ص 74. يقول ابن إياس: ((لما دخل أمير المؤمنين على ابن عثمان وهو بالميدان قام له وعظّمه وأجلّه وجلس بين يديه...)) كما أن ابن إياس لم يذكر شيئا عن تنازل الخليفة عن لقبه لسليم. فهو يقول في ذكر من توجه إلى القسطنطينية في شهر ذو الحجة سنة 923: ((مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله محمد ابن المستمسك بالله يعقوب)).

يـدعون للسـلطان سـليم الأوّل باعتبـاره ملـك البـرّين وخاقـان البحـرين وقـاهر الجيشين وخادم الحرمين. [1]

1: يقول ابن إياس في كتابه بدائع الزهور. ج5. ص77 ((واستمر الخليفة والقضاة الثلاثة... في الترسيم بحلب لا يخرجون منها إلا أن يأذن لهم ابن عثمان)) كما لم يذكر المؤرخون المسلمون المعاصرون للدخول العثماني لمصر شيئا عن حدوث تنازل من الخليفة المتوكل للسلطان سليم بالخلافة. غير أن أحد المؤرخين الغربيين ادعى حدوث هذا التنازل وهو المؤرخ الأرميني موراجه دوهسون **Mouradgea d'Ohsson** في كتابه الذي ألفه باللغة الفرنسية في أواخر القرن 18 تحت عنوان لوحة عامة عن الإمبراطورية العثمانية .

Tableau général de l'empire ottoman

إذ ادعى أن السلطان سليم أخذ من المتوكل تنازلاً بالخلافة، وأخذ منه الآثار الخاصة بها التي كانت مودعة في القاهرة، وهي بردة النبي صلى الله عليه وسلم، وبعض شعرات من لحيته الشريفة والبيرق وسيف الخليفة عمر بن الخطاب. بينما يقول ابن إياس في كتابه. ص74. عن روايات الناس ((أن ابن عثمان أقام بالميدان الذي بحلب فتوجه إليه أمير المؤمنين المتوكل على الله... وقيل لما دخل أمير المؤمنين على ابن عثمان وهو بالميدان قام له وعظّمه وأجلّه وجلس بين يديه... فلما أراد الخليفة الانصراف أخلع عليه دلامة حرير من ملابسه وأنعم عليه بمال له صورة، وردّه إلى حلب ووكل به أن لا يهرب من حلب)).

يقول كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية . ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي في الطبعة الخامسة دار العلم للملايين بيروت . 1968. ص. 449. "وتذهب الأسطورة إلى أن الخليفة العباسي قد حُمِلَ إلى اسطنبول حيث أكره على التنازل عن الخلافة للسلطان سليم... والحقيقة أن سليما قد أعلن نفسه قبل ذلك، خليفة على المسلمين في خطبة الجمعة وبوصفه خليفة استلم في شهر أوت من سنة 1517 مفاتيح الكعبة".

لكننا نرى أن ابن إياس في كتابه موضوع الدراسة (ج5) الصفحة 148 يقول: «وفي ذلك اليوم خطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة، وقد ترجم له بعض الخطباء فقال: وانصر اللهم السلطان ابن السلطان، مالك البرين والبحرين، وكاسر الجيشين وسلطان العراقين وخادم الحرمين الشريفين ... » كما يقول في الصفحة 158 في ذكر أحداث شهر محرم سنة 923هجرية: «وفي هذه الأيام صار الخليفة المتوكل على اللّه صاحب الحل والعقد والأمر =

ولا ريب في أن هذه الآثار الشريفة نقلت أيام السلطان سليم الأول ولكن الحقيقة أن مجرد نقلها لا يعني أن حادثة التنازل قد حدثت بالفعل سيما وأن المؤرخين المعاصرين لا يذكرون عنها شيئا. [1] يضاف إلى ذلك أن سليما في رسائله لم يذكر شيئا فيها عن حادثة التنازل له عن الخلافة، ثم أن لقب خليفة لم يكن جديدا على السلطان سليم، فقد استعمله الكثير من السلاطين والملوك المسلمين قبل سليم وبعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة 1258م غير أن سلاطين الدولة العثمانية لم يهتموا بلقب الخليفة اهتماما خاصا ضمن ألقابهم المتعددة حتى أواخر القرن الثامن عشر. فقد جرى اهتمام السلاطين العثمانيين بالخلافة وبتأكيدها والتمسّك بها ضمن ألقابهم ومحاولة الاستفادة من هيبتها نتيجة لتطور ظروف الدولة العثمانية السياسية.

= والنهي في الديار المصرية». كما يقول في الصفحة 215 (ج5) «... ولما سافر سليم شاه بن عثمان وخرج من مصر استمرّت الخطبة والسكة عمّالة في مصر باسمه، فكان سائر الخطباء يدعون في يوم الجمعة باسمه وتقول: (وانصر اللهم السلطان الملك المظفر سليم شاه). كما يقول في الصفحة 229 في ذكر من توجّه إلى القسطنطينية في سنة 923 من ذو الحجة "من أعيان رؤساء الديار المصرية وهم: مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله محمّد ابن المستمسك بالله يعقوب. "فلو كان هناك تنازل عن الخلافة لذكره. كما نرى في مراسلة سليم لطومان باي قبل معركة الريدانية (ص125. ج5) جاء فيها "وأنا ملك ابن ملك إلى عشرين جدا وقد توليت المُلك بعهدٍ من الخليفة ومن قضاة الشرع... أنا خليفة الله في أرضه وأنا أولى منك بخدمة الحرمين الشريفين. "

1: يلماز أوزوتونا: **تاريخ الدولة العثمانية:** تر: عدنان محمود سلمان. منشورات مؤسسة فيصل. تركيا. 1988. ص224.

***موقف ابن إياس عند انهزام المماليك في معركة مرج دابق**:

وصف ابن إياس نتيجة المعركة بين السلطان سليم والغوري بقوله: ((وزال مُلك الأشرف الغوري[1] في لمح البصر. فكأنه لم يكن، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير..)) ((فقام نعي السلطان في ذلك اليوم، ونعى الأمراء الذين قتلوا في هذه الوقعة. وصار في كل حارة نعي بسبب من قتل من العسكر ورجّت القاهرة في ذلك اليوم وكثر الاضطراب والقال والقيل بالقاهرة))[2]. وقد وُصف الغوري هو الآخر بالظلم.

ويذكر بن إياس أن مدّة سلطنته تعدّت خمس عشرة سنة كان كل يوم فيها بألف سنة. غير أن ابن إياس يبدي شيء من التناقض في موقفه دون أن يبرره فهو يصف ظلمه ومعانات الناس منه في هذه المدّة بقوله: ((فكانت الناس معه في هذه المدّة في غاية الضنك)) ثم يقول:

1: **الأشرف قانصوه الغوري**: هو قانصوه (سيف الدين) بن عبد الله (850-922 هـ1446-1516 م) سلطان مصر والشام (حكم ما بين905-922 هـ/1499-1516 م) كان الغوري مملوكا شركسيا، بدأ في خدمة السلطان قايتباي، ثم أصبح سلطانا للبلاد في شهر شوال من عام 906هـ (ماي من عام 1501م)؛ بعد رفض شديد. وقد أصر على تلقي ضمانات وتأكيدات من الأمراء المماليك، قائلا: "إنني أقبل، بشرط ألا تقتلوني ."وقد عم الاستقرار والأمان القاهرة في عهده، وشغل المناصب الحكومية بمماليك من أهل الثقة، واستطاع إنهاء الأزمة المالية التي نتجت عن إفلاس الخزانة .وكان مشهورا بالفخامة والرفعة والسمو؛ حتى أن مماليكه وخيوله وجواهره ومطابخه اعتبرت نموذجا رفيعا للبلاط المملوكي. وكانت ندواته الأدبية ملتقى الشعراء والكتاب والعلماء .قاتل السلطان سليم العثماني في مرج دابق على مقربة من حلب، وانهزم عسكره، فمات غيضا.

2: ابن إيّاس: **المصدر السابق** ج5. ص. 79.

أعجبوا للأشرف الغوري الذي مذ تزايد ظلمه في القاهرة

زال عنه ملكه في ساعة خسر الدنيا إذا والآخرة. [1]

كما يقول: في مرثيته للغوري:

والأشرف الغوري كان مليكنا لكنه قد جار فينا وافترى.

أعماله ردّت عليه بما جنى والدّهر جازاه بأمر قدِّرا. [2]

لكن موقفه اتجاه حملة سليم على مصر، كان جدّ متحيزا كونه مصريا. وقد خص مصر بستين بيتا من أشعاره يرثي فيها زوال دولة المماليك.[3]

وفي خضم هذا الأسى يذم الغوري وجيشه بقوله: ((وكان السّلطان والأمراء ما منهم أحد ينظر في مصالح المسلمين بعين العدل والإنصاف فرُدّت عليهم أعمالهم ونياتهم، وسلّط الله تعالى عليهم ابن عثمان)) [4]. ليتراجع فيما بعد ويرثيه ويثني عليه. ويذكر هنا كلا من محاسنه ومساوئه فيقول: ((كان للغوري محاسن ومساوئ، لكن مساوئه أكثر من محاسنه.))

((كان لين الجانب قليل الأذى غير متكبر ولا متجبّر)) [5]

1: ابن إياس: **المصدر السابق:** ص81.

2: نفسه: ص88. نلاحظ هنا أن ابن إيّاس كان ناقدا فلم يحرجه كونه مملوكي من ذكر مساوئ حكام عصره فكما ذكر محاسنهم يذكر مساوئهم وعيوبهم . وبالمثل فعل في نقد الأتراك أيام الحملة وبعدها فيقول في الأشرف الغوري: « فكانت الناس معه في هذه المدّة (أي مدّة حكمه) في غاية من الضنك.» وقال فيه أبيات شعرية .

3: أنظر الملاحق 33- 36 ص-ص 163- 166.

4: نفسه: ج5: ص73.

5: نفسه: ص. 105.

((كان رضي الخلق، يملك نفسه عند الغضب.. كان يعرف مقادير النّاس على قدر طبقاتهم.. كان ماسك اللّسان عن السّب للناس في شدّة غضبه)) [1] كما يقول: ((وفي الجملة إن السلطان الغوري كان خيار ملوك الجراكسة على عوج فيه، ولم يجيء من بعده أحد من الملوك يشابهه في أفعاله ولا علوّ همّته ولا عزمه في الأمور، وكان كفئاً تامّاً للسلطنة مبجلا في المواكب تملأ منه العيون)). [2]

*** موقف ابن إياس من حملة سليم الأوّل على الشام ومصر**:

صور ابن إياس شجاعة طومان باي وجيشه في الدفاع عن مصر ثم فظائع الجند الأتراك وسفكهم للدماء، وهتكهم للحرمات والأعراض ونهبهم لكل ثمين في البلاد. ليبين مدى فضاعة ما قام به الأتراك في

1: ابن إياس: **المصدر السابق:** ص. 89.

2: يعود ابن إيّاس هنا إلى موضوعيته ويترك عواطفه جانبا فيذكر محاسن الغوري بعد أن قال إن مدّة سلطنته تعدّت خمس عشرة سنة كان كل يوم فيها بألف سنة. وقد قال فيه قبل ذلك مادحا:

قد جاد سلطان الورى بعدله في القاهرة
مذ رخص الأسعار مع ابطاله المشاهرة
كم جائع من فرحة يدعو له مجاهرة
وكم حزينا قلبه بالكسر أضحى جابره
فارتفعت أيدي الورى له بفضل شاكرة
وحاز أجرا ناله من الدنيا والآخرة
وقد علا تاريخه فوق النجوم الزاهرة
لأنه في عصره بين الملوك نادرة
يا رب فاجعل يده بكل باغٍ ظافرة .

ج05. ص18.

هذه الحملة[1]. وفي ذلك يقول أحد المعاصرين لابن إياس، وهو ابن زنبل الرمّال: "فان بعض الحذّاق من المؤرخين قاسوا وقعة الجراكسة مع السلطان سليم على وقعة تيمورلنك الذي أخرب حلب والشام وقتل أهلها عساكر، فوجدوها قدرها خمسة عشرة مرّة تقريبا". [2] أما ابن إياس فيقارنها بفتح نبوخذ نصر لمصر في الأزمنة القديمة، كما يقارنها بتدمير بغداد على يد المغول عام 1258. [3]

وفيما يخص موقفه من السلطان سليم يقول: ((ومن أعظم مساوئ سليم شاه ابن عثمان خروج أعيان رؤساء الدّيار المصرية ونفيهم إلى اسطنبول، ونحن نذكر منهم ما تيسّر..)) [4] ((وتوجّه إلى اسطنبول جماعة من البنائين والنجّارين والحدادين والمرخمين والمبلّطين والخراطين والمهندسين والحجارين والفعلة...

1: يرثي ابن إيّاس طومان باي بقوله:

لهفي على سلطان مصر كيف قد ... ولّى وزال كأنه لن يذكرا
شنقوه ظلما فوق باب زويلة ... ولقد أذاقوه الوبال الأكبرا
يا رب فاعف عن عظائم جرمه ... واجعل بجنات النعيم له قبرا

2: ابن زنبل الرمّال: **المصدر السابق**. ص262 .

3: ميكل ونتر: **المجتمع المصري تحت الحكم العثماني**. تر. إبراهيم محمّد إبراهيم. الهيئة المصرية العامّة للكتاب. 2001. ص44.

4: ابن إيّاس: **المصدر السابق** . ج5 . ص229. استعمل ابن إيّاس الأسلوب الإنشائي المؤثّر الذي يعكس موقفه من هجرة المصريين إلى اسطنبول ليبيّن على أنّه تهجير قسري شمل كل الطوائف وكل المهن، وليبيّن أن مصر كانت مزدهرة في ميدان الفن والعمارة، لذلك نحس بالوطنية والانتماء تحرك قلبه المصري. زد على ذلك ما قام به العثمانيون الذين أتوا مع حملة سليم الأول بنزع أثمن ما في بيوت مصر والقاهرة من أخشاب وبلاط ورخام وأسقف منقوشة ومجموعة المصاحف والمخطوطات والمشاكي والكراسي النحاسية والمشربيات والشمعدانات والمنابر... وصفها لنا ابن إياس بالشعر. أنظر في ذلك الملحق 34. ص 164.

ولم تقاسِ أهل مصر شدّة من قديم الزمان أعظم من هذه الشدّة، ولا سُمعت بمثلها في التواريخ القديمة... ففارقت الناس أوطانها وأولادها وأهاليها وتغرّبوا من بلدهم إلى بلد لم يطئوها قط..)).[1]

كما كان هجوم ابن إياس على السلطان سليم وأمرائه وجنوده عنيفا يحمل من الوطنية ما لم يظهر عند بعض المؤرخين السابقين ولا حتى اللاّحقين. فصوّر لنا الواقع كما شهده مبديا ندمه وأسفه وتحسُّره على ضياع مُلك مصر.[2]

ولكنه عاد بعد وفاة السلطان سليم للترحّم والدعاء له، وبتلقيبه بالملك المظفر وبالدعاء لولده وخليفته بالنصر.

من هنا نستنتج أن موقف ابن إياس كان ضدّ حملة سليم الأوّل على الشام ومصر وضدّ التواجد العثماني بهما. وأن هذا التصرّف الذي جاء بعد الحملة و(الاحتلال) كان جائرا في حق مصر والمصريين. كرّس اليد العاملة المصرية

1: ابن إيّاس: **المصدر السابق** . ج5. ص. 232.

2: يقول ابن إياس في كتابه بدائع الزهور الجزء الخامس الصفحة 206 –208 ((ومن العجائب أن مصر صارت نيابة بعد أن كان سلطان مصر أعظم السلاطين في سائر البلاد قاطبة... ولكن ابن عثمان انتهك حرمة مصر، وما خرج منها حتّى غنم أموالها وقتل أبطالها ويتّم أطفالها وأسر رجالها وبدّد أحوالها وأظهر أهوالها... وأشيع أن ابن عثمان خرج من مصر وصحبته ألف جمل محمّلة ما بين ذهب وفضّة... وأخذ منها من كل شيء أحسنه، ما لا فرح به آباؤه ولا أجداده من قبل أبدا. وكذلك ما غنموه وزراؤه من الأموال الجزيلة وكذلك عسكره، فانه غنم من النهب ما لا يحصى... فما رحلوا على الديار المصرية إلاّ والناس في غاية البليّة... وفي مدّة إقامته لم يجلس بقلعة الجبل على سرير الملك جلوسا عاما ولا رآه أحد... فكان ابن عثمان لا يظهر إلا عند سفك دماء المماليك الجراكسة. فما كان له أمان إذا أعطاه... وليس له قول ولا فعل... وأما عسكره فكانوا جيعانين العين، نفسهم قذرة... يتجاهرون بشرب الخمور... غالبهم لا يصوم ولا يصلّي... لم يكن عندهم أدب ولا حشمة... وهم همج كالبهائم...))

وسخّرها لخدمة الأتراك، في الفترة التي كانت فيها مصر بحاجة ماسّة لهم مما أدّى إلى تخلّفها.

هذا فيما يخص موقف ابن إياس من الدّخول العثماني للشام ومصر ومن سليم الأوّل. فماذا كان موقفه من الحكم الجديد؟

❖ المبحث الثالث: الحكم العثماني للشام ومصر وموقف ابن إياس منه.

بعد هزيمة المماليك في معركة مرج دابق، واستحواذ العثمانيين على حلب وحمص وحماة ودمشق، ثم خضوع باقي الأقاليم لهم كان الزحف نحو مصر التي امتلكها سليم الأوّل بعد معركة الريدانية وأصبحت مصر ولاية عثمانية.

ومنذ البداية أقام السلطان العثماني سليم الأول في مصر ثلاث إدارات تحكمها. كل إدارة تراقب الأخرى، وحتى لا تنفرد هيئة بالحكم دون الهيئات الأخرى. وهذه الهيئات هي: [1]

ـ الوالي أو الباشا:

وهو نائب السلطان في مصر ورئيس السلطة التنفيذية. مقرّه القلعة. وقد حرص السلطان على أن تكون مدة ولايته قصيرة لا تتجاوز ثلاث سنوات، حتى لا ينفرد بالسلطة. و يتم اختياره مقابل مبلغ كبير من المال

1: بليدي خليدة: **الحملة الفرنسية على مصر والجزائر 1830/1798**. –دراسة مقارنة– مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر. إشراف: شتوان نظيرة. جامعة الجزائر. 2012.

يدفعه قبل أن يصل إلي القاهرة. ويتم التجديد لسنة أخرى مقابل هدايا. كما كانت مناصب القضاة توزع على من يدفع أكثر. [1]

ـ الحامية العسكرية:

وتتكون من ست فرق عسكرية لكل منها مهامها الخاصّة. وهي موزّعة بين القاهرة والمدن الكبرى. مهمتها العامّة حفظ النظام والدفاع عن الولاية. ويعاون رئيس كل فرقة مسئولون ماليون وإداريون. ومن هؤلاء جميعاً يتألف الديوان وهو بمثابة مجلس شورى الوالي.

ـ الديوان:

يتكوّن من كبار ضباط الحامية العثمانية والموظفين والعلماء والأعيان ومشايخ البلاد. ومهمة الديوان كما حددها السلطان مراقبة الوالي، ومن حقه الاعتراض على قراراته أو عزله إذا اقتضى الأمر.

ـ البكوات المماليك:

من بقايا السّلطة المملوكية، أبقي عليهم السلطان العثماني لإحداث توازن بين الوالي والحامية العسكرية. وقد عهد إليهم بإدارة شؤون الأقاليم والمديريات.

وبذلك نجح النظام الإداري العثماني الجديد في امتصاص كل الموظفين العاملين في النظام المملوكي المهزوم، وحقق سليم هدفه في توفير الخبرة والاستمرار للنظام العثماني الجديد [1].

1: نشير هنا إلى أن هذا كان مألوفا في عهد المماليك واستفحل في العهد العثماني.

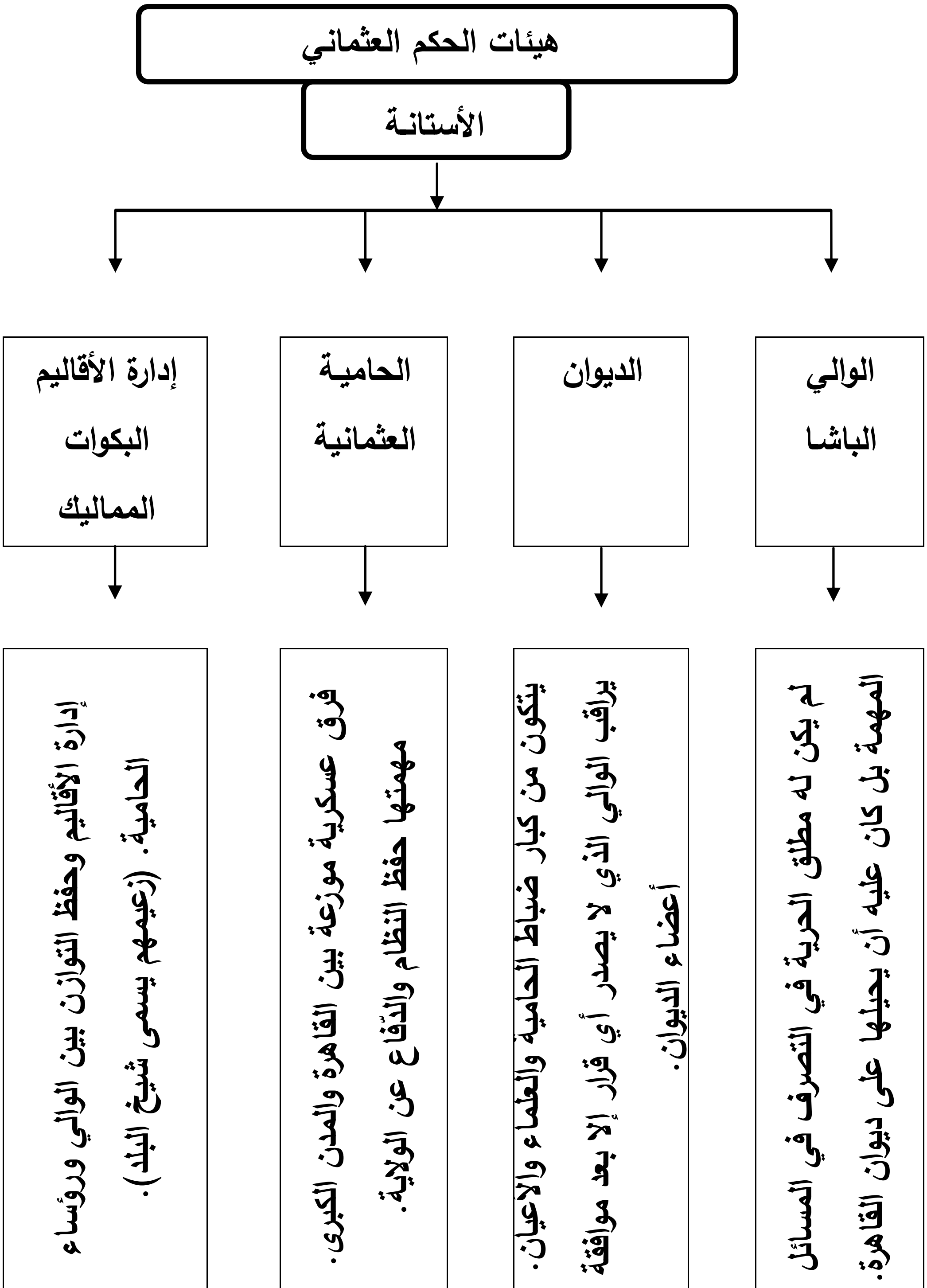

1: كريسيليوس، دانيال: **جذور مصر الحديثة**. تر: د. عبد الوهاب بكر، مكتبة نهضة الشرق. القاهرة. 1985، ص46.

ولقد قسمت مصر في عهد العثمانيين إلي خمسة عشر إقليماً أو سنجقا، وكان علي رأس كل سنجق أميرا من المماليك يقال له الكاشف. ومرجع كل هؤلاء الأمراء إلي شيخ البلد المقيم في القاهرة.

يتضح لنا مما سبق ذكره، أن تعيين البكوات المماليك في تلك المناصب المهمة إنما كان تماشّياً مع مبدأ العثمانيين في إيجاد نوعٍ من التوازن بين القوى الحاكمة في مصر، لبقائها دوماً تحت سيطرتهم.

قبل مغادرة سليم الأوّل الأراضي المصرية عام 923هـ/1517م عيّن الأمير خاير بك كنائبٍ عنه في حكم الإقليم المصري، بعدما أثبت له إخلاصه وأبقى على لقبه الذي كان يُلقّب به من قبل وهو"ملك الأمراء"[1]. بعدما ترك له بها من القوات العثمانية نحو خمسة آلاف فارس، إضافةً إلى نحو خمسمائة من الرماة[2].

نجح خاير بك إبان ولايته على مصر في استتباب الأمن فيها بعدما أطلق سراح عدد كبير من المماليك الجراكسة ومنحهم الأمان.[3] وكان غرض الأتراك الاحتفاظ بسلطانهم في الولايات التي فتحوها، فعمدوا إلي تغيير الولاة بصفة مستمرة، والتفرقة بين الحكام. لذلك فان قِصر مدّة حكم

1: ابن إياس: **المصدر السابق.** ص202-203.

2: نفسه: ص206. أنظر أيضا: أسامة محمد أبو نحل. (جان بردي الغزالي المملوكي والدولة العثمانية– رؤية تاريخية جديدة). مجلّة جامعة النجاح للأبحاث. غزّة. مج17. العدد1. 2003.

3: وفي هذا يقول ابن إياس في ذكر أحداث شهر شعبان من سنة 923 هجرية ((... وفي يوم السبت خامس عشرينه نادى خاير بك في القاهرة بأن المماليك الجراكسة تظهر وعليهم أمان الله تعالى. فظهر منهم الجمّ الغفير وهم في سوء حال)) .

الـوالي دفعتـه إلـي صـرف النظـر عـن مصـالح الـبلاد والرعيـة، وكـان همـه الأكبـر هـو جمـع المـال بـأي وسـيلة، لإرضـاء الأسـتانة مـن جهـة، فتبقيـه فـي مصـر وللتمتـع بمـا جمعـه مـن أمـوال فـي حالـة عزلـه مـن الولايـة. لهـذا أثقـل كاهل الشعب بالضرائب.[1]

ويبـدو أن ابـن إيـاس لـم يكـن راضـيا ولا مرحبـا بالـدّخول العثمـاني أرض مصـر، فهـاهو ينتقـدهم نقـدا لاذعـا بقولـه فـي ذكـر أحـداث شـهر محـرّم سـنة 923: ((وفـي أواخـر هـذا الشـهر تشـحّطت الغـلال مـن القـاهرة وارتفـع الخبـز مـن الأسـواق، وسـبب هـذا الأمـر أن ابـن عثمـان لمّـا دخلـوا إلـى القـاهرة، نهبـوا المغـل الـذي كـان فـي الشـون وأطعمـوه لخيـولهم... ونهبـوا القمـح الـذي كـان بـالطواحين.. ولمّـا طلـع ابـن عثمـان إلـى القلعـة... كـان يحـدث منـه ومـن وزرائـه كـل يـوم مظلمـة جديـدة، مـن قتـل وأخـذ أمـوال النـاس بغيـر حـق... ولا مشـى سـليم شـاه فـي مصـر علـى قواعـد السـلاطين السـالفة بمصـر، ولـم يكـن لـه نظـام يعـرف لا هـو ولا وزراؤه ولا أمـراؤه ولا عسـكره بـل كـانوا همجـا لا يعـرف الغـلام من الأستاذ..))[2].

1: إن ما تميّز به الحكم العثماني لمصر في بداية عهده، أنه كان حكماً غير مباشر رغم مركزيته فالنظـام الـذي أسسـه العثمـانيون فـي مصـر كـان فـي حقيقتـه خليطـاً مـن عناصـر عثمانيـة ومملوكيـة، فـالقوات المملوكيـة التـي بقيـت بعـد هزائمهـا فـي مـرج دابـق فـي الشـام والريدانيـة فـي مصـر، أُعطيت لها واجبات وتم دمجها في الوحدات العسكرية العثمانية أو شُكّلت في وحدات منفصلة خاصة وأُستعين بها كقواتٍ احتياطية. هذا الطابع لم يقض على الفساد المستشري في أوصال الطبقة الحاكمة بل زاد استفحالا، مما أدى إلى استنكار الشعب منه. كما لم يخف ابن إياس موقفه من الحكم الجديد وانتقده بشدّة.

2: ابن إيّاس: **المصدر السابق**. ج5. ص162.

يـروي لنـا ابـن إيـاس الأحـداث التـي وقعـت فـي القـاهرة بالتفصـيل ويشـبهها بالكارثـة[1] فيشـير إلـى نهـب الجنـود العثمـانيين القـاهرة مـدّة ثـلاث أيـام واسـتباحتها حتـى أوقفهـم أمـر السـلطان. إذ كـانوا يلاحقـون المماليـك ويـذبحونهم أنّ وجـدوهم، حتـى راح ضـحيتهم المـدنيون العـزّل لمجـرّد الشـك فيهم أنهم من الجنود المماليك.

كمـا يصـف لنـا الجنـود العثمـانيين، أنهـم كـانوا ممـن يشـربون الخمـر منقطعـين عـن الصـلاة، ينتهكـون حرمـة الأضـرحة والأمـاكن المقدّسـة[2] يسـرقون الطعـام مـن أصـحاب الحوانيـت حينـا ولا يـدفعون الـثمن أحيانـا يتحرشـون بالنسـاء والصـبية فـي الـدروب. وقـد منـع أحـد القضـاة العثمـانيين النساء القاهريات من الخروج إلى الطرقات حتى لا يفسدن الجنود. [3]

كمـا يـذكر لنـا ابـن إيـاس مظـالم العثمـانيين فيقـول: ((... شـكى النـاس مـن أذى العثمانيـة الـذين بمصـر، وتزايـد الفسـاد فـي حـق النـاس... ولـم يجـدوا مـن يـردّهم علـى ذلـك... وصـاروا يأخـذون مـا بالطبـاق مـن الأبـواب والسـقوف ويطبخـون بهـا الطعـام... ثـم تزايـد مـنهم الفسـاد حتـى صـاروا يخطفـون النسـاء والصبيان المرد وعمائم الناس من الطرقات والأسواق والأزقّة..)) [4]

1: ابن إيّاس: **المصدر السابق**. ص- ص157-183.

2: نفسه: ص- ص150-153/162-170.

3: يذكر ابن إياس في الصفحة 219 من الجزء الخامس ((وكانت العثمانية الذين بمصر كثر منهم الأذى في حق أهل مصر من حين رحل ابن عثمان عنهم، وصاروا لا يسمعون لخاير بك كلاما، ولا له عليهم حرمة.))

4: نفسه: ص233.

ثم يبدأ بن إياس في تعداد مساوئ الحكم بما أسماه بالحوادث الشنيعة. ومنها خلق منصب جديد يسمى بالمحضر يقوم به أحد الأمراء العثمانيين. فلا يقضى أمر من الأحكام الشرعية حتى يعرض عليه ويفرض على المتخاصمين مالا وكان يضرب من يستحق الضرب ويسجن من يستحق السجن دون مراجعة القضاة. [1] ومن المظالم الأخرى فرض ضريبة على كل دكّان في كل شهر، ويزعمون أنهم يردّون ذلك القدر لبيت مال المسلمين. [2]

كما يستنكر من جور وحكم خايربك بقوله: ((كان يسكر طول الليل ويصبح في خبال السُّكر يحكم بين الناس بما يقتضيه عقله، ولم يُظهر العدل في محاكماته قط منذ ولي على مصر.)) ومثل ذلك شنق شخص وتعليق جثته مدّة ثلاثة أيام لمجرّد أنه سرق خيارا من مزرعة[3].

أمّا بالنسبة للعملة فكان تغييرها في كل مرّة ضربة قاسية على التجار والأهالي بحيث فقدوا ثلث قيمة مالهم، ووجد موظفو الخزانة والوكلاء فرصة لابتزاز الناس، فأصبحت حالهم أسوأ مما كانوا عليه قبل الحكم العثماني.

1: ابن إيّاس: **المصدر السابق:** ص- ص243-244.

2: يبدي هنا بن إياس موقفه بالتحسر والأسف على الأيام السالفة مقارنة بالنظام الجديد بقوله: (فأين ذلك النظام العظيم، كيف ذهبت أوقاته؟فيا أسفي على تلك الأيام كأنها كانت منامات).

3: نفسه: ص255. وموقفه من ذلك قوله: وراح الرجل ظلما على بعض عيدان خيار شنبر ما يساووا أربعة أنصاف... وكان له أولاد وأم وزوجة. ثم يعيد ذكر الحادثة في الصفحة 273. ويواصل وصفه ((وكان ملك الأمراء يصبح وهو مخمور، فيحكم بين الناس بالعسف والظلم ما لا يسوغ الشرع في محاكماته، وكان الغالب عليه الجهل وقلّة الدين في أفعاله كلها)) .

ففي سرده لأحداث شهر جمادي الآخرة من سنة 928 هجرية يذكر ابن إيّاس تغيير العملة وكيفية التعامل بها، فبعد أن كان كل أربعة فلوس جدد بدرهمين، تقرر أن يكون كل فلسين بدرهم وفي ذلك إجحافا للناس. [1] وبعد شهر فقط، يتغير التعامل من جديد. مما أضر بالتّجار فغلقت الأسواق والدكاكين، وتوقف البيع والشراء. ومما زاد في غضب العامّة من خاير بك، هو قطعه لرواتب عدد كبير من المماليك الشراكسة وأولاد الناس. [2]

لم يقف الموضوع عند هذا الحد، فرغم أن الإدارة اللاّمركزية كانت سيئة، فقد زادها سوءا الإدارة المركزية المتمثّلة في الأستانة وما كان يبعث به السلطان في كل مرّة من مراسيم تنزل كالصّاعقة على الشعب المصري، يسميها ابن إياس في بعض الأحيان بالحوادث الشنيعة والمظالم. ومثل ذلك أن السلطان سليمان رسم بإبطال القضاة الأربعة وبعث بقاضي العسكر وهو أعظم قضاة السلطان، وكلّفه بالتصرف في الأحكام الشرعية عن المذاهب الأربعة وإبطال سائر النواب والشهود في كامل مصر. فلا يعقد عقدا ولا يوقف وقفا ولا تكتب وصية ولا تكتب إجارة ولا حجّة، حتى تُعرض على قاضي العسكر. وقد أيّد خاير بك (ملك الأمراء) المرسوم بأن أمر القضاة بعدم التحدّث في الأحكام

1: ابن إيّاس: **المصدر السابق**. ص453.

2: إضافة إلى هذه المعاناة، فقد سخّر السلطان سليمان مماليك مصر في حروبه الخارجية عند توجهه لرودس إذ استقدم من مصر 1500 جندي.

الشرعية مستقبلا. فضاق الأمر على الناس أجمعين. [1] زد إلى ذلك العديد من المظالم التي كانت تفِد من حين لآخر. [2]

وكان أكثر التغييرات القانونية إساءة هو فرض ضريبة على عقود الزواج والمسماة باليسق[3] والمرأة التي سبق لها الزواج تدفع مرتين. مما أدى إلى استنكار علماء القاهرة من هذه الضريبة. [4]

وفي عهد السلطان سليمان أيضا، تم استحداث منصب القسّ_ام حيث بعث السلطان بقاضٍ يُشرف على جميع التركات، ويأخذ ما يتحصل من كل تركة العُشر لبيت المال. فتضرر الناس من ذلك. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أصدر مرسوما يفرض على كل من هو من غير الأتراك أن لا يعقد عقد الزواج إلاّ عنده، ويأخذ على عقد

1: ابن إياس: **المصدر السابق.** ص- ص453-454. يشرع ابن إياس في تهجمه على قاضي العسكر مبديا رأيه فيه فيقول: (وقد فتك قاضي العسكر بالناس في هذه الأيام فتكاً ذريعاً، وقد جمع بين قبح الشكل والفعل، فانّه كان أعور بمفرد عين بلحية بيضاء، وقد طعن في السّن وكان قليل الرسمال من العلم، أجهل من حمار، لا يدري شيئا في الأحكام الشرعية . فقالوا فيه عدّة مقاطيع) ومنها:

رأينا مسيخا أعورا قبل موتنا أتى من بلاد الرّوم يمنع رزقنا

يقدّم قانونا على شرع أحمدا فنسأل رب العرش يكشف كربنا

2: ومثل ذلك تحويل أجرة كراء البيوت من الأوقاف والحوانيت في صندوق يتسلمها قاضي العسكر.

3: اليسق: أصلها مغولي بمعنى قانون وفي التركية بمعنى المنع واليسقي هو الضابط منفّذ القانون. للمزيد أنظر: أحمد السعيد سليمان، **تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل.** دارالمعارف. القاهرة. 1979. ص201.

4: ابن إياس: **المصدر نفسه:** ص- ص 417-420/427.

البكر ستين نصفا والثيب ثلاثين نصفا.[1] ثم مُنعت النساء من الخروج إلى الأسواق بقرار من قاضي العسكر"سيدي جلبي" وملك الأمراء خاير بك. [2] وعلى العموم فقد عاش أهل مصر في هذه الفترة معيشة ضنكٍ وصفها ابن إياس بالشنيعة بقوله: ((وقد حصل لأهل مصر من قاضي العسكر غاية الضرر للرجال والنساء، ووقع منه أمورٌ شنيعة ما تقع من الجُهّال ولا من المجانين، فقد تزايد حكمه بالجور بين الناس، وقد ضيّق عليهم غاية الضيق.)) [3]

ومن كثرة المظالم، حاول بعض المماليك الهرب إلى الشام عند جان بردي الغزالي[4]. غير أن خاير بك استدركهم وأمر بقطع رؤوسهم الأمر الذي

1: ابن إيّاس: **المصدر السابق**. ص452. يستنكر ابن إياس من هذه القوانين ويتهم القضاة بالتواطؤ والتخاذل بقوله: "ولم يتعصّب أحد من القضاة للمسلمين بمنع ذلك"ويذكر أنهم تغافلوا حتى ضعفت شوكة الإسلام في أيامهم واستطالت قضاة الرّوم عليهم .

2: هنا يتّضح موقف ابن إياس من الحكم العثماني لمصر، ويبدي استنكاره من قاضي العسكر وما فعله بالناس، وينعته بأبشع الصفات. وعند وفاة خاير بك يقول: (... وكانت أيامه كلها ظلم وجور... كان سببا لخراب الديار المصرية...) ويقول فيه هذين البيتين:

أعجبوا من نائب في مصرنا ... خانه الدّهر وجازاه العمل

زال عنه الملك والمال معا ... وأتاه الموت يسعى بالعجل

3: ابن إياس: **المصدر نفسه**. ص467.

4: بعد موقعة الريدانية دخل جان بردي الغزالي تحت طاعة سليم الأوّل واستعمله هذا الأخير في إخضاع القبائل البدوية، كما منحه حكم ولايات صفد والقدس وغزّة والكرك ونابلس ودمشق. على أن تكون دمشق إقطاعا له حتى وفاته، ولم يفرض عليه دفع أي مال. كما سمح له بتملك قوات عسكرية خاصّة به. للمزيد، أنظر: أسامة محمد أبو نحل. **مرجع سابق**. ص72.

أحدث القطيعة بين جان بردي الغزالي وخاير بك.[1]

كما يصف ابن إياس خاير بك بقوله: ((وكان ملك الأمراء عجولا في أمر القتل وقد شنق وخوزق ووسّط في أيام ولايته على مصر ما لا يحصى عددهم من الناس، والغالب راحَ ظُلماً من غير ذنبٍ، وكان ملك الأمراء شديد القسوة صلبا في الأمور جدا. [2] هذا ولم يغفل ابن إياس عن الإشارة إلى أن خاير بك كان يكره المماليك الجراكسة ويعطل تسليم رواتبهم، كما يشير دون خوف أنه كان سببا في خراب الديار المصرية ودخول سليم إليها. [3] لكنّ ابن إياس في الوقت نفسه يرجع إلى موضوعيته ويثني عليه بوصفه أنه كان كفؤاً للسلطنة عارفا بأحوال المملكة. ولولا تلك المظالم لكان خيار من وُلِّيَ على مصر[4].

وبوفاة خاير بك يوم الأحد 14 ذي القعدة 928 هـ[5] خلفه الأمير سنان مدّة ثمانية وثلاثين يوما. إلى أن عَيّن السلطان سليمان القانوني مصطفى باشا نائبا على مصر يوم السبت خامس ذي الحجّة سنة 928هـ.

1: يذكر ذلك ابن إياس بقوله على لسان خاير بك عندما كان يُوَبِّخ طائفة من المماليك الجراكسة الذين فروا من مصر متوجهين إلى الشام بقوله: ((لا زلتوا حتى أوقعتوا بيني وبين نائب الشام، وأنتوا تفرّوا وتروحوا إليه وتشكو فيّ عنده.)) كما حاول البعض الآخر الفرار عند السلطان سليم، مثل شمس الدين محمّد الرشيدي ناظر الكسوة الذي عزله خاير بك. وقد ألقي عليه القبض . ((فلما وقف بين يديه (خاير بك) وبّخه بالكلام، وقال له: أنت قصدت أن تتوجّه إلى الخكندار وتشكوني له؟ ج05. ص333.

2: ابن إيّاس: **المصدر السابق**. ج. 05. ص358.

3: **نفسه**. ج5. ص485.

4: **نفسه:** ص382.

5: **نفسه:** ص421.

فقام هذا الأخير بتقريب الأتراك كونه صهر السلطان سليم[1] وطرد أغلب المماليك من كل الوظائف حتى البسيطة. و أوّل محاكماته بين الناس وأوّل جلوسه للناس عامّة كانت يوم السبت 26 ذي الحجة. فلما عرضت عليه حوائج الناس لم يفهم منها شيئا. فكان يستعين بترجمان يترجم له بالتركية. ثم انه عزل القاضي بركات بن موسى من الحسبة وعين بدله احد أقاربه واسمه قاسم باشا، كما أخذ مفاتيح جميع الحواصل التي بالقلعة وسلّمها لأتراكٍ من حاشيته. و طرد البوابين والفراشين والطباخين. ومشى على القانون العثماني، وهو أشأم قانون على حدّ قول ابن إياس. هذا وقد شرع في بيع ممتلكات ملك الأمراء خاير بك.[2]

يمضي ابن إياس في انتقاد الحاكم الجديد بتحسر بقوله: ((ومما حكم به الزمان الخبيث على الناس أن المعلّم الحلواني العجمي... قد صار من خواص النائب مصطفى باشاه.. وصار هو المرجع إليه..)).[3]

وآخر ما كتبه ابن إياس في هذا الكتاب (بدائع الزهور)، يذكر عودة بركات ابن موسى إلى الحسبة يوم الأربعاء سلخ ذي الحجة سنة 928 هجرية. ليختمه بما يلي: ((انتهى ما أوردناه في هذا الجزء من الأخبار العجيبة والوقائع الغريبة... يتلوه الجزء الثاني عشر من بدائع الأمور في وقائع الدهور، وكان الفراغ من هذا الجزء في يوم الأربعاء سلخ ذي الحجة

1: ابن إيّاس: **المصدر السابق:** ص492.

2: نفسه: ص-ص 492-493.

3: نفسه: ص. 493.

الحـرام سـنة ثمـان وعشـرين وتسـعمائة، وذلـك علـى يـد كاتبـه ومؤلّفـه، فقيـر رحمة ربه تعالى، محمّد بن إيّاس الحنفي، عامله الله بلطفه الخفي...))

لكـن لا وجـود لهـذا الجـزء المـذكور أو لمسـودّاته، ولعلّـه لـم يكتبهـا أو فقدت، أو تكون قد وافته المنية قبل أن يبدأ في تحرير الجزء المذكور.[1]

❖ المبحث الرابع: قيمة كتاب بدائع الزّهور.

الكتـاب بشـكل عـام وكـل أجزائـه الخمسـة هـو كتـاب هـام جـدا مـن حيـث القيمـة التاريخيـة، وهـو مـن أبـرز مـا وصـلنا مـن مؤلّفـات ابـن إيـاس حـول تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى سنة 1524م.

كمـا يعتبـر أهـم مصـدر للمعلومـات عـن الفتـرة التـي عاصـرها المـؤرخ وكتـب عنهـا، لأن كتاباتـه تحوّلـت مـن الحوليـات إلـى اليوميـات، نظـرا للتفصـيل الـذي كـان يسـرده. ويشـكّل الجـزء الأخيـر مـن كتابـه، المصـدر الوحيـد عـن تـاريخ مصـر فـي أواخـر فتـرة حكـم دولـة المماليـك الجراكسـة ثـم الحملة العثمانية على الشام ومصر والحكم العثماني لهما.

كمـا أن معاصـرة ابـن إيّـاس للحملـة العثمانيـة علـى الشـام ومصـر جعـل مـن كتابـه بـدائع الزهـور مصـدرا هامـا لهـذه الفتـرة، بـل والمصـدر الوحيـد. وهـي أنفـس مـا فـي هـذا المؤلّـف كونهـا اسـتغرقت معظـم جهـود ابـن إيّـاس. ففيـه نجـد وثيقـة فريـدة تُكَمِّـلُ سلسـلة الوثـائق المتواليـة التـي تركهـا أسـلافه مثـل المقريـزي وبـن تغربـردي والسـخاوي ثـم مـن جـاء بعـده، مثـل الجبرتـي. فكـانوا

1: لم يعثر الباحثين من المستشرقين ولا المحقق على أي أثر يدل على وجود تكملة لهذا الجزء أو ما سمّا بالجزء الثاني عشر. والراجح أنه لم يكتبه قط.

بحقٍ رواد مدرسة مصر التاريخية. [1] ففي تعبير ابن إياس نجد شيئا من البراعة في العرض والدّقة في الملاحظة، والمقدرة على فهم ما يختلج في الأنفس والعواطف؛ ذلك أنّه شهد فترة فارقة في تاريخ مصر الإسلامية، إذ زالت أمام عينيه دولة المماليك وانهارت أمام العثمانيين، كأن لم تكن بالأمس بعد أن ملأت الأسماع وخلبت الأبصار طيلة خمسة قرون.

كانت عواطف المؤرخ المملوكي واضحة بتعبيره الدّقيق على هول المعارك، وكثرة الضحايا وعدم الرّحمة أو الرأفة لهذا المسلم السني اتجاه أخيه المسلم السُني.

وللكتاب فائدة كبيرة، إذا ما أردنا البحث في كل المجالات الخاصّة بمصر. فهو يتعرّض للنواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والثقافية. في الفترة التي عاصرها المؤرّخ وحتّى وفاته. يعطينا فيها إحصائيات رقمية عن أسعار المواد الغذائية، والأسباب التي أدّت إلى ارتفاعها. وتقلّبات السِّكة وقيمة العملة والمكاييل. كما يعطينا إحصائيات عن عدد الوفيات بالأمراض والأوبئة والمعارك.

1: يعتبر الجبرتي حلقة هامّة ضمن مدرسة مصر التاريخية والمؤرخين العلماء المتأثرين بمدرسة التاريخ الإسلامي، فإذا كان ابن إياس مؤرّخ الحملة العثمانية على مصر والشام بامتياز، فان الجبرتي هو الآخر مؤرّخ الحملة الفرنسية على مصر بامتياز. جاء ليمثل مرحلة تحول مهمة في تاريخ الكتابة التاريخية بطريقته في البحث والتمحيص والتقصي، وإذا كان الجبرتي قد واكبه في الكتابة نيقولا الترك، فان ابن إياس واكبه في الكتابة على حملة سليم ابن زنبل الرمّال. فمزجت مدرسة مصر التاريخية بين المؤرخين العلماء المتأثرين بمدرسة التاريخ الإسلامي مثل ابن إياس (ق. 10هـ) ثم الجبرتي (ق. 12هـ)، مع مدرسة التراجم وعلى رأسها العيني (ق. 11هـ) ثم الجبرتي، ومدرسة الأجناد الذي برز منها ابن زنبل في القرن العاشر الهجري.

ولم يغفل أيضا عن ذكر النيل كونه محور الحياة في مصر. وارتفاع منسوبه كل مرّة أو انخفاضه، وانعكاسات ذلك على الزراعة، وأثر ذلك في الحياة الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية. كما أورد فيه مواقيت الخسوف والكسوف التي حدثت.[1]

1: يتّفق الجبرتي مع ابن إيّاس في عدة نقاط:

- كونه هو الآخر عاش فترة الحكم العثماني المملوكي لمصر.
- عايش الحملة الفرنسية على مصر والحكم الفرنسي لها، ثم حكم محمّد علي . مثل ابن إيّاس الذي عايش الحملة العثمانية على مصر ثم الحكم العثماني المملوكي لها.
- كان شاهد عيان رأى بعينه الأحداث وسمعها فكتبها.
- قدم الجبرتي صورة كاملة للمجتمع المصري خلال العصر العثماني. مثله مثل ابن إيّاس الذي قدّم هو الآخر صورة كاملة للمجتمع المصري في العهد المملوكي ثم العهد العثماني-المملوكي.
- اتّبع الجبرتي طريقة الحوليات واليوميات مثل ابن إيّاس.
- أوضح الجبرتي في كتابه حريته في الكتابة وموضوعيته ونزاهته بقوله: (ولم أقصد بجمعه خدمة ذي جاه كبير، أو طاعة وزير أو أمير، ولم أداهن فيه دولة بنفاق، أو مدح أو ذمٍّ مباين للأخلاق لميلٍ نفساني أو غرضٍ جسماني. فهذا الأخير يشبه الأوّل في الوضع المادي والاجتماعي، فلم يطلبا ذو جاهٍ في كتابتهما.
- كانا صادقين في الكتابة، إذ يذكر ابن إياس الحادثة ويشير إلى أنه تحقق منها أو لم يتحقق أو أنها إشاعة. ومثله الجبرتي عندما يصرّح (إنها تستبهم عليّ المئة الماضية إلى السنة السبعين) أو عند قوله: ((فلا أكتب حادثة حتى أتحقق صحتها بالتواتر والاشتهار، وربما أخَّرْتُ قيد الحادثة حتى أثبتها ويحدث غيرها وأنساها، فأكتبها في طيّارة حتى أقيدها في محلها إن شاء الله تعالى عند تهذيب هذه الكتابة)) . غير أنهما يختلفان في عدّة نقاط:

* الاختلاف في الفترة الزمنية، مما سمح بظهور نوعا من النضج في الكتابة التاريخية.
* صدام حضاري بين حضارة إسلامية عريقة عاشت تقلبات أثناء حكم المماليك ثم حكم الأتراك العثمانيين، وإرهاصات حضارة غرْبية غرِيبة حطّت أقدامها بأرض مصر. =

صوّر لنا هذا الكتاب الصراع في البيوت المملوكية بكل تفاصيلها لذلك يعد مصدرا هامّا للصراع المملوكي المملوكي. كما احتوى الكتاب في طياته تراجم لمئات الشخصيات بتفاصيلها، كان يذكرها ابن إياس في آخر كل حول بقوله: ((وفيها توفي...)) فهو لم يكن يؤرّخ لدولة المماليك أو الحملة العثمانية على مصر فقط، بل كان يبحث في أسباب زوال هذه الدولة.

وكان في منهجه ناقدا ومتقصٍ للحقائق يبحث في جذور الأزمة ونظيرها في أزمنة سابقة والعبرة منها. يحمّل المسؤولية لصاحبها مهما كان منصبه دون خوف أو محاباة.

= * لم يكن مؤلَّف الجبرتي كتاب تاريخ فقط، بل كان كتاباً في تراجم الرجال أيضاً، أعلنه المؤلّف في عنوانه بإضافة كلمة **((في التراجم))** فكان يقصد وضع تراجم للرجال بينما ابن إيّاس كان ينهي أحداث السنة بذكر الوفيات وما يعلمه عنها. أما الجبرتي فقد ترجم للآلاف من العلماء والشيوخ والأمراء والحكام والخطباء والشعراء والكتاب والأعيان والتجار. لكن الجبرتي لم يهتم بسبب زوال دولة المماليك كثيرا، ولم يتوسع في ذكر أسباب هزيمتهم في مرج دابق والريدانية ومقتل الغوري، بل يكتفي بقوله: ((كما هو مسطّر ومفصّل في تواريخ المتأخرين مثل مرج الزهور لابن إيّاس وتاريخ القرماني وابن زنبل وغيرهم.)) أما من حيث مصادر الجبرتي، فقد صرّح بها وصنفها كما يلي:

. النقل من أفواه الشيخة المسنين في تدوين الأخبار التي لم يعايشها.

. الحوادث التي عاشها ودوّنها في كراريسه كشاهد عيان.

. دفاتر الكتبة والمباشرين. وأضاف الشواهد الأثرية مما نقش على حجارة القبور.

وأقرباء الوفيات وورثتهم، وما لديهم من أوراق لها صلة بالوفيات. في حين أن ابن إيّاس يذكر مصادره بالأسماء كما يعدّها بنحو سبعة وثلاثون مؤلّف إضافة إلى مصادره الحديثة كالمشاهدة الشخصية وأهل الثقة والمكاتبات الرسمية التي تأتي إلى الديوان.

خاتمة:
تقييم واستنتاج

الخاتمة

أفضت جهودنا إلى جملة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

- ✓ يعتبر كتاب ابن إيّاس بدائع الزهور في وقائع الدّهور، ذو قيمة تاريخية بالغة. ذلك لأنه يحمل في طياته أخبار قيّمة وتاريخ زاخر لدولة احتلّت مكانة بارزة في تاريخ مصر والشام ألا وهي دولة المماليك.
- ✓ بكتابه بدائع الزهور في وقائع الدّهور الجزء الخامس، أضاء لنا ابن إيّاس فترة حاسمة وحرجة من تاريخ مصر، وبين لنا أسباب الانتصار وأسباب الانهزام بأسلوب قصصي وبشكل موضوعي. لم يحابي أحدا، وكان ناقدا لكلا الطرفين لا المماليك بنوا جلدته الذين حكموا لصالح قوى غريبة عن مصر، ولا الأتراك الذين استثمروا خيرات البلاد الطبيعية والبشرية لصالح اسطنبول وخزائنها.

أما ما استفدناه من مؤلفه وبالأخص الجزء الخامس، فهو تلك القوّة التي برزت من رماد الخلافة العباسية ودافعت عن العالم الإسلامي وأصبحت قوّة سياسة عسكرية واقتصادية رغم التناقض الموجود فيها والذي مثّل الوجه الآخر المظلم للعملة.

* **<u>أما من حيث القيمة التاريخية للكتاب.</u>**

- ✓ الكتاب بشكل عام وكل أجزائه الخمسة هو كتاب هام جدا من حيث القيمة التاريخية، وهو من أبرز ما وصلنا من مؤلّفات ابن إياس حول تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى سنة 1524م.

- ✓ يعتبر أهم مصدر للمعلومات عن الفترة التي عاصرها المؤرخ وكتب عنها، لأن كتاباته تحوّلت من الحوليات إلى اليوميات، نظرا للتفصيل الذي كان يسرده. ويشكّل الجزء الأخير من كتابه المصدر الوحيد عن تاريخ مصر في أواخر فترة حكم دولة المماليك الجراكسة ثم الحملة العثمانية على الشام ومصر والحكم العثماني لهما.
- ✓ معاصرة ابن إيّاس للحملة العثمانية على الشام ومصر جعل من كتابه بدائع الزهور مصدرا هاما لهذه الفترة، بل والمصدر الوحيد. وهي أنفس ما في هذا المؤلّف ففيه نجد وثيقة فريدة تُكَمِّلُ سلسلة الوثائق المتوالية التي تركها أسلافه مثل المقريزي وبن تغربردي والسخاوي ثم من جاء بعده، مثل الجبرتي. فكانوا بحقٍ رواد مدرسة مصر التاريخية.
- ✓ للكتاب فائدة كبيرة، إذا ما أردنا البحث في كل المجالات الخاصّة بمصر. فهو يتعرّض للنواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والثقافية. في الفترة التي عاصرها المؤرّخ وحتّى وفاته. يعطينا فيها إحصائيات رقمية عن أسعار المواد الغذائية، والأسباب التي أدّت إلى ارتفاعها. وتقلّبات السِّكة وقيمة العملة والمكاييل. كما يعطينا إحصائيات عن عدد الوفيات بالأمراض والأوبئة والمعارك.
- ✓ لم يغفل ابن إياس عن ذكر النيل كونه محور الحياة في مصر. وارتفاع منسوبه كل مرّة أو انخفاضه، وانعكاسات ذلك على الزراعة، وأثر ذلك في الحياة الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية. كما أورد فيه مواقيت الخسوف والكسوف التي حدثت.

- ✓ صوّر لنا هذا الكتاب الصراع في البيوت المملوكية بكل تفاصيلها، لذلك يعد مصدرا هامّا للصراع المملوكي المملوكي. كما احتوى الكتاب في طياته تراجم لمئات الشخصيات بتفاصيلها، كان يذكرها ابن إياس في آخر كل حول بقوله: ((وفيها توفي...)) فهو لم يكن يؤرّخ لدولة المماليك أو الحملة العثمانية على مصر فقط، بل كان يبحث في أسباب زوال هذه الدولة. وكان يضع تراجم للشخصيات التي عاشت في فترته.
- ✓ أما في الجانب الاقتصادي، فقد تحوّلت مصر والشام في عهد المماليك إلى قبلة التجارة العالمية والعصب الرئيسي فيها من الشرق إلى الغرب.
- ✓ هذه النعمة، أسالت لعاب البرتغاليين والأسبان والكثير من الدول الأوربية الأخرى، إذ اهتز أمن المنطقة من الجهتين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، ولم تكن تلك الدولة القوية قادرة على صدّ هذه الأطماع والأخطار التي تحيق بها وبالبقاع المقدّسة.
- ✓ حملت الدّولة المملوكية في طياتها بذور فنائها. إذ لم يكن أي سلطان يأمن على نفسه فلا يلبث أن يعتلي العرش إلاّ وأن يهوى فجأة نتيجة مؤامرة من محيطه. لذلك أصر كل سلطان على جلب مماليك جدد خاصين به يتقوى بهم وإبعاد الطائفة السابقة التي تظل تتربص به.
- ✓ اكتنف تاريخ المماليك حالة من الفوضى والاغتيالات وقتل السلاطين واستبدادٍ في الحكم، قبل حملة سليم وبعدها.
- ✓ لم يكن مبدأ وراثة العرش وارداً عند المماليك، بل الحكم للأقوى. حيث طغت عليهم صفة العصبية وجعلت منهم سيفا ذو حدّين.

- ✓ التمـرّد علـى السـلطان كـان شـائعا خاصّـة عنـدما يتعلّـق الأمـر بالجامكيـة أو العلاوات.
- ✓ لم يكن أمر التوجه للحرب هاما بقدر ما يمنحه السّلطان للمماليك مقدّما نظير التوجه للقتال، بل ويرفض المماليك التوجه للقتال إلاّ بعد أن تُحقَقَ مطالبهم.
- ✓ حَكَم المماليك مصر والشام بمنطق القوّة واستغلوا الطبقات الدنيا في المجتمع.
- ✓ عانى عامّة الشعب من حكم المماليك حيث أنهكوا بالضرائب، لذلك انتقموا منهم.
- ✓ كـان النيـل محـور الحيـاة الاقتصـادية الاجتماعيـة والسياسـية، وأي اضـطراب فيـه ينعكس سلبا على مختلف مناحي الحياة في المجتمع المصري.
- ✓ حـدثت حركـة هجـرة إجباريـة لأهـل الحـرف والاختصـاص فـي الرخـام والنجـارة والحدادة وغيرها للعمل في اسطنبول تأثر لها ابن إياس. كما سلبت البلاد من كل منقول من آثارها المعمارية بعد حملة سليم على الشام ومصر.
- ✓ لم يكن الحكم العثماني لمصر والشام بأحسن حالٍ من الحكم السابق، فقد استمر المماليك في الحكم تحت المضلّة العثمانية وبالتالي استمر الفساد والاستبداد.
- ✓ استطاع ابن إياس أن يرويها لنا بكل وضوح وموضوعية هذه الأحداث ليأتي الجبرتـي فيمـا بعـد ليواصـل حلقـة التـاريخ المصـري ويتـابع الأحـداث فـي كتابـه عجائب الآثار في التراجم والأخبار.

<u>مما سبق نستنتج ما يلي:</u>

- ✓ انفراد ابن إياس بالتّدوين لفترة حرجة في تاريخ مصر.
- ✓ فائدة المنهج الحولي عند ابن إياس أعطانا نظرة (بانورامية) عن أوضاع مصر وما حولها في الفترة التي عاصرها.
- ✓ اعتماد ابن اياس على مادة اخبارية، كما شرح الواقع من خلال الشعر.

- ✓ موضوعية ابن إياس في نقده للأحداث وعدم تحيّزه.
- ✓ طريقة سرده للأحداث تشبه صورة متحركة تجعل قارئها يعيشها.
- ✓ يظهر من خلال تعبير ابن إياس صور الفرحة عند مشاهد الفرح، وصور الكآبة أو الحزن عند مشاهد الحزن.
- ✓ كان ابن إياس ذو حسٍّ وطني لأنه كشف الدّاء في بني جلدته وندد به.
- ✓ دراسة ابن إيّاس كانت منهجية ذات وظيفة استردادية. فهو لا يحكي ماذا حدث فقط بل يفسّر أسباب وقوع هذا الحادث، أو ما كان يجب أن يكون، كأن ينقد عدم استعداد الجيش المصري خارج مصر لمواجهة سليم الأوّل وجيشه أو عدم تقبلهم استعمال البنادق في القتال.
- ✓ كانت عواطف المؤرخ المملوكي واضحة بتعبيره الدّقيق على هول المعارك وكثرة الضحايا وعدم الرّحمة أو الرأفة لهذا المسلم السني اتجاه أخيه المسلم السُني.
- ✓ تصنيف ابن اياس ضمن المؤرخين الموسوعيين لتجوله في الزمان في تاريخ مصر.
- ✓ نظرة ابن اياس نظرة عالمية للتاريخ.
- ✓ كان في منهجه ناقدا ومتقصٍ للحقائق يبحث في جذور الأزمة ونظيرها في أزمنة سابقة والعبرة منها. يحمّل المسؤولية لصاحبها مهما كان منصبه دون خوف أو محاباة.
- ✓ ركّز ابن إيّاس في كتابه على الحوادث الهامّة وفصّل فيها وبين أسبابها البعيدة والقريبة بالتحليل والنقد، ودور كل شخصية وموقفها في هذه الحوادث. ورصّع تحفته بمجموعات شعرية تصلح بأن نسميها ديوان ابن إيّاس الشعري.
- ✓ إن تفرّغه للكتابة وحرصه على التدقيق في الحوادث قبل تدوينها ومركزه الاجتماعي، وإطلاعه الواسع على مؤلفات سابقيه، جعله يتدارك بعض تجارب

سابقيه من المؤرخين، والمتمثلة في بعض المكونات الأساسية لشخصيتهم وهي الأسفار والحج. فهو لم يغادر مصر إلاّ مرة واحدة للحج. وقد عوض ذلك بعيون الآخرين عن طريق التقارير الواردة إلى مصر.

- ✓ غير أننا نعيب عنه تكرار الحادثة في عدّة مواضع. إمّا نفس الحادثة بحذافيرها أو جزء منها بإضافة جملة ((وقد ذكرناها سابقا)) أو بإضافة معلومة جديدة لها. كقوله: ((وفي يوم الأربعاء سابع عشره رسم الأمير سنان بتوسيط شخص من الأصبهانية، فوسطه في الرملة)) وبعد فقرة يعيد ذكر الحادثة. ((ثم انه رسم بتوسيط الأصبهاني فوسطه في الرملة عند باب الميدان.))

*** أسلوبه في الكتابة:**

- ✓ يشوب أسلوبه نوع من الضعف والتفكك.
- ✓ لغته العربية التي دوّن بها تاريخه بسيطة وواضحة، ممزوجة باللّهجة المصرية، أي أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى.
- ✓ لم يلتزم فيها بقواعد الإملاء والنحو والصرف ويخلط بين المُفرد والجمع والمذكر والمؤنّث والرفع والجّرِ. فيكتب كما ينطق، رغم معرفته للقواعد الصحيحة التي كان يكتب بها في كتابه.
- ✓ زخرت كتابته بالمصطلحات الفارسية والتركية مثل كلمة الإستدار والداودار وأتابك وسنجق والجامكية وغيرها من الكلمات الفارسية والتركية.
- ✓ كتب التاريخ نثرا وشعرا فقد امتازت كتاباته التاريخية باحتوائها الكثير من التعابير الشعرية الجميلة من نظمه، إذ طرق معظم أغراض الشعر كالمديح والرثاء والوصف، والحكمة ونظم المواليا.

- ✓ كان كثيرا ما يستشهد بأشعار غيره.
- ✓ يذكر ابن إياس في مجلداته الستّة حوالي عشرة آلاف من أسماء الأعلام وكان يذكر الاسم مختصرا أو يكتفي باسم الشهرة. وفي الوفيات يذكر الاسم كاملا. كما يكتب كل ما يعرفه عن الشخص الذي أورد اسمه.
- ✓ أما ما يمكن أن نوجهه كانتقاد للمنهج الحولي الذي انتهجه ابن إياس، هو أن الحادثة التي تمتد لعدّة سنوات تتعرّض للانقطاع أو التقطّع فتصبح غير واضحة، لأن مؤرّخ الحوليات لا يتقيّد هنا بوحدة الموضوع، بل يضل مرتبطا بذكر أحداث السنة بمختلف مواضيعها. وقد انتقد كلا من ابن الأثير والنويري هذا المنهج وفضّلا إتّباع المنهج الموضوعي.
- ✓ يعطينا ابن إياس صورا حيّة عن أسباب الفساد القريبة والبعيدة الداخلية والخارجية التي جعلت الدولة المملوكية في أشد حالات الإعياء وأدت إلى انهيارها.
- ✓ يسردها ويحللها وينقدها، ليعلل بها أسباب الدخول العثماني لمصر وهزيمة المماليك التي لم تكن سوى تحصيل حاصل لهذه الأسباب.
- ✓ لم يُستثن منها النيل كونه محور الأحداث. فكان أي شح في مياهه ينعكس سلبا على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والصحية للسكان كما يؤثر سلبا أيضا على الحياة السياسية. وهو ما أوضحه ابن إياس في كتابه.
- ✓ لم يستثن مؤلفنا في ذلك ذكر ما تعرضت إليه مصر من أوبئة وأمراض.

*** أوجه الاتفاق بين الجبرتي وابن إيّاس:**

يتّفق الجبرتي مع ابن إيّاس في عدة نقاط:

- ✓ كونه هو الآخر مخضرما، فقد عاش فترة الحكم العثماني المملوكي لمصر.
- ✓ عايش الحملة الفرنسية على مصر والحكم الفرنسي لها، ثم حكم محمّد علي مثل ابن إيّاس الذي عايش الحملة العثمانية على مصر ثم الحكم العثماني المملوكي لها.
- ✓ كانا شاهدا عيان رأيا بعينيهما الأحداث وسمعاها فكتباها.
- ✓ قدم الجبرتي صورة كاملة للمجتمع المصري خلال العصر العثماني. مثله مثل ابن إيّاس الذي قدّم هو الآخر صورة كاملة للمجتمع المصري في العهد المملوكي ثم العهد العثماني- المملوكي.
- ✓ اتّبع الجبرتي طريقة الحوليات واليوميات مثل ابن إيّاس.
- ✓ أوضح الجبرتي في كتابه حريته في الكتابة وموضوعيته ونزاهته بقوله: (ولم أقصد بجمعه خدمة ذي جاه كبير، أو طاعة وزير أو أمير، ولم أداهن فيه دولة بنفاق، أو مدح أو ذمٍّ مباين للأخلاق لميلٍ نفساني أو غرضٍ جسماني. فهذا الأخير يشبه الأوّل في الوضع المادي والاجتماعي، فلم يطلبا ذو جاهٍ في كتابتهما.
- ✓ كانا صادقين في الكتابة، إذ يذكر ابن إياس الحادثة ويشير إلى أنه قد تحقق منها أو لم يتحقق أو أنها إشاعة. ومثله الجبرتي عندما يصرّح (إنها تستبهم عليّ المئة الماضية إلى السنة السبعين) أو عند قوله: ((فلا أكتب حادثة حتى أتحقق صحتها بالتواتر والاشتهار، وربما أخَّرْتُ قيد الحادثة حتى أثبتها ويحدث غيرها

وأنساها، فأكتبها في طيّارة حتى أقيدها في محلها إن شاء الله تعالى عند تهذيب هذه الكتابة)).

- ✓ يعتبر الجبرتي حلقة هامّة ضمن مدرسة مصر التاريخية والمؤرخين العلماء المتأثرين بمدرسة التاريخ الإسلامي، فإذا كان ابن إياس مؤرّخ الحملة العثمانية على مصر والشام بامتياز، فان الجبرتي هو الآخر مؤرّخ الحملة الفرنسية على مصر بامتياز. جاء ليمثّل مرحلة تحول مهمة في تاريخ الكتابة التاريخية بطريقته في البحث والتمحيص والتقصي، وإذا كان الجبرتي قد واكبه في الكتابة نيقولا الترك، فان ابن إياس واكبه في الكتابة على حملة سليم ابن زنبل الرمّال. فمزجت مدرسة مصر التاريخية بين المؤرخين العلماء المتأثرين بمدرسة التاريخ الإسلامي مثل ابن إياس(ق. 10هـ) ثم الجبرتي (ق. 12هـ)، مع مدرسة التراجم وعلى رأسها العيني (ق. 11هـ) ثم الجبرتي، ومدرسة الأجناد الذي برز منها ابن زنبل في القرن العاشر الهجري.

أوجه الاختلاف:

يختلف الجبرتي مع ابن إيّاس في عدة نقاط:

- ✓ الاختلاف في الفترة الزمنية، مما سمح بظهور نوع من النضج في الكتابة التاريخية.
- ✓ نقد الجبرتي عيوب المصادر السابقة له.
- ✓ شهد الجبرتي صدام حضاري بين حضارة إسلامية عريقة عاشت تقلبات أثناء حكم المماليك ثم حكم الأتراك العثمانيين، وإرهاصات حضارة غرْبية غرِيبة حطّت أقدامها بأرض مصر.

- ✓ لم يكن مؤلَّف الجبرتي كتاب تاريخ فقط، بل كان كتاباً في تراجم الرجال أيضاً أعلنه المؤلّف في عنوانه بإضافة كلمة ((في التراجم)) فكان يقصد وضع تراجم للرجال بينما ابن إيّاس كان ينهي أحداث السنة بذكر الوفيات وما يعلمه عنها.

أما الجبرتي فقد ترجم للآلاف من العلماء والشيوخ والأمراء والحكام والخطباء والشعراء والكتاب والأعيان والتجار.

- ✓ لم يهتم الجبرتي بسبب زوال دولة المماليك كثيرا، ولم يتوسع في ذكر أسباب هزيمتهم في مرج دابق والريدانية ومقتل الغوري، بل يكتفي بقوله: ((كما هو مسطّر ومفصّل في تواريخ المتأخرين مثل مرج الزهور لابن إيّاس وتاريخ القرماني وابن زنبل وغيرهم.))

*** أما من حيث مصادر الجبرتي، فقد صرّح بها وصنفها كما يلي:**

- ✓ النقل من أفواه الشيخة المسنين في تدوين الأخبار التي لم يعايشها.
- ✓ الحوادث التي عاشها ودوّنها في كراريسه كشاهد عيان.
- ✓ دفاتر الكتبة والمباشرين. وأضاف الشواهد الأثرية مما نقش على حجارة القبور وأقرباء الوفيات وورثتهم، وما لديهم من أوراق لها صلة بالوفيات.

في حين أن ابن إيّاس يذكر مصادره بالأسماء كما يعدّها بنحو سبعة وثلاثون مؤلّف إضافة إلى مصادره الحديثة كالمشاهدة الشخصية وأهل الثقة والمكاتبات الرسمية التي تأتي إلى الديوان.

يعتبر ابن إياس بحق من أهم مؤرخي القرن 16م وآخر عمالقة مدرسة مصر التاريخية كما يعتبر كتابه بدائع الزهور في وقائع الدّهور ذو قيمة تاريخية بالغة. ذلك لأنه يحمل في طياته أخبار قيّمة وتاريخ زاخر لدولة احتلّت مكانة

بارزة في تاريخ مصر والشام ألا وهي دولة المماليك. شهد نهايتها بنفسه، ونقل لنا ما شهده وسرد لنا الأحداث على طريقة الحوليات.

فإذا ما غضينا النظر عن الأسلوب واللغة– والتي لم تمس بالتاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي– نجد مادّة تاريخية هامّة لا غنى عنها عن تاريخ مصر والشام، في فترة كان فيها ابن إياس المؤرخ الوحيد الذي عاصر أحداثها وشاهدها عن قرب ونقلها لنا بصدق وموضوعية.

ولا يزال هذا الكتاب حتّى الساعة يعتبر من أنفس ما دوّن عن تاريخ مصر وبالأخص فترة الدخول العثماني لها وحكمهم لمصر والشام.

هذا وأتمنى أن أكون قد استوفيت ما هدفت إليه وأن أكون بهذا العمل قد ساهمت بوضع لبنة في المكتبة الجزائرية علّها تنير لغيري من الباحثين مواضيع جديدة.

وما توفيقي إلا من عند الله والله من وراء القصد.

الملاحق

جدول الملاحق

الرقم	عنوان الملحق
01	ورقة الغلاف لكتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور.
02	بيانات ونسخة من مخطوطة بدائع الزهور بخط محمّد بن أحمد الخصّاص. من جامعة الملك سعود (الصفحة02 و03).
03	صفحة غلاف نسخة من مخطوط ابن زنبل الرمال المعروف بـ ((آخرة المماليك)).
04	صفحة من مخطوط ابن زنبل الرمال المعروف بـ ((آخرة المماليك)).
05	مخطوطة لأحمد بن يوسف القرماني: أخبار الدول وآثار الأوّل.
06	فهرس مخطوطة أحمد بن يوسف القرماني: أخبار الدول وآثار الأوّل.
07	الصفحة الأولى من مخطوطة أحمد بن يوسف القرماني: في تعريف علم التاريخ.
08	مخطوطة عبد الرحمان السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك.
09	نهاية كتاب التبر المسبوك.
10	مقتطف من (نبذة من نشق الأزهار في عجائب الأقطار) لابن إياس.
11	مقتطف من (نبذة من نشق الأزهار في عجائب الأقطار) لابن إياس.
12	مقتطف من (نبذة من نشق الأزهار في عجائب الأقطار) لابن إياس.
13	صفحة الغلاف لنسخة من كتاب السيوطي. الشماريخ في علم التاريخ.
14	الصفحة الأولى لنسخة من كتاب السيوطي. الشماريخ في علم التاريخ.
15	إحدى النماذج من الكتاب المحقق لابن إياس تحتوي على تراجم

	المتوفين في السنة التي اختتم المؤلف ذكر أحداثها.
16	فقرة من مخطوطة ابن زنبل الرمال يذكر فيها الأموال التي جلبها معه الغوري إلى حلب قبل ملاقاة السلطان سليم في مرج دابق.
17	مقتطف من مخطوطة ابن زنبل الرمال يذكر فيه أسباب الخلاف بين سليم الأوّل والمماليك، والمتمثل في إيواء إخوته الفارّين منه خشية قتله لهم.
18	مقتطف من مخطوطة ابن زنبل الرمال يذكر فيه أسباب الخلاف بين سليم الأوّل والمماليك.
19	مقتطف من مخطوطة ابن زنبل الرمال يذكر فيها أسباب الخلاف بين سليم الأوّل والمماليك. والمتمثل في إيواء إخوة سليم ورفضهم تسليمهم له.
20	مقتطف من مخطوط ابن زنبل الرمال. يوضح فيه أسباب انهزام المماليك.
21	تابع في ذكر كيف تراجع المماليك في معركة مرج دابق حسب رواية ابن زنبل والتي تتطبق مع رواية ابن إياس.
22	مقتطف من مخطوط إبن زنبل الرّمال يذكر فيه كيفية إخفاء جثة الغوري خشية وقوعها في أيدي العثمانيين. يختلف في ذلك مع ابن إياس.
23	تابع، مقتطف من مخطوط إبن زنبل الرّمال يذكر فيه كيفية إخفاء جثة الغوري خشية وقوعها في أيدي العثمانيين. يختلف في ذلك مع ابن إياس.
24	بيانات وجزء من المخطوطة المنتسب لابن زنبل الرمال.
25	مقتطف من المخطوط المنتسب لابن زنبل الرمال. يوضح فيه انتقام أهل حلب من المماليك وقتلهم وسلب ودائعهم.

26	مقتطف من المخطوطة المنتسبة لابن زنبل الرمّال يوضح فيها مراسلة سليم الثالث لطومان باي.
27	مقتطف من مخطوطة ابن زنبل الرمال. يوضح فيها تواطؤ جنبردي الغزالي مع خاير بك.
28	مقتطف من مخطوطة ابن زنبل الرمال يوضح فيها تراجع خاير بك وبداية الخيانة.
29	نسخة من المخطوط المنتسب لابن زنبل. يوضح فيها خيانة خاير بك وتواطئه مع سليم الثالث في الاستيلاء على حلب ومصر.
30	من المخطوطة المنتسبة لابن زنبل الرمّال يوضح فيها خيانة خاير بك وتواطئه مع سليم الثالث.
31	مقتطف من المخطوط المحقق لابن زنبل الشيخ أحمد الرمّال: آخرة المماليك.
32	مقتطف من المخطوط المحقق لابن زنبل الشيخ أحمد الرمّال: آخرة المماليك.
36-33	مرثية ابن إياس عن مصر وسقوط دولة المماليك.
37	مخطوطة لابن إياس تحتوي على خاتمة الجزء الخامس من بدائع الزهور. حسب التقسيم الأصلي للمؤلِّف، المكون من11 جزءا.
38	جزء من مرثية بدر الدين الزيتوني عن مصر استشهد بها ابن إياس.
39	مقتطف من مقدّمة ابن خلدون.

الملاحـق

الملحق رقم: 01

ورقة الغلاف لكتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور

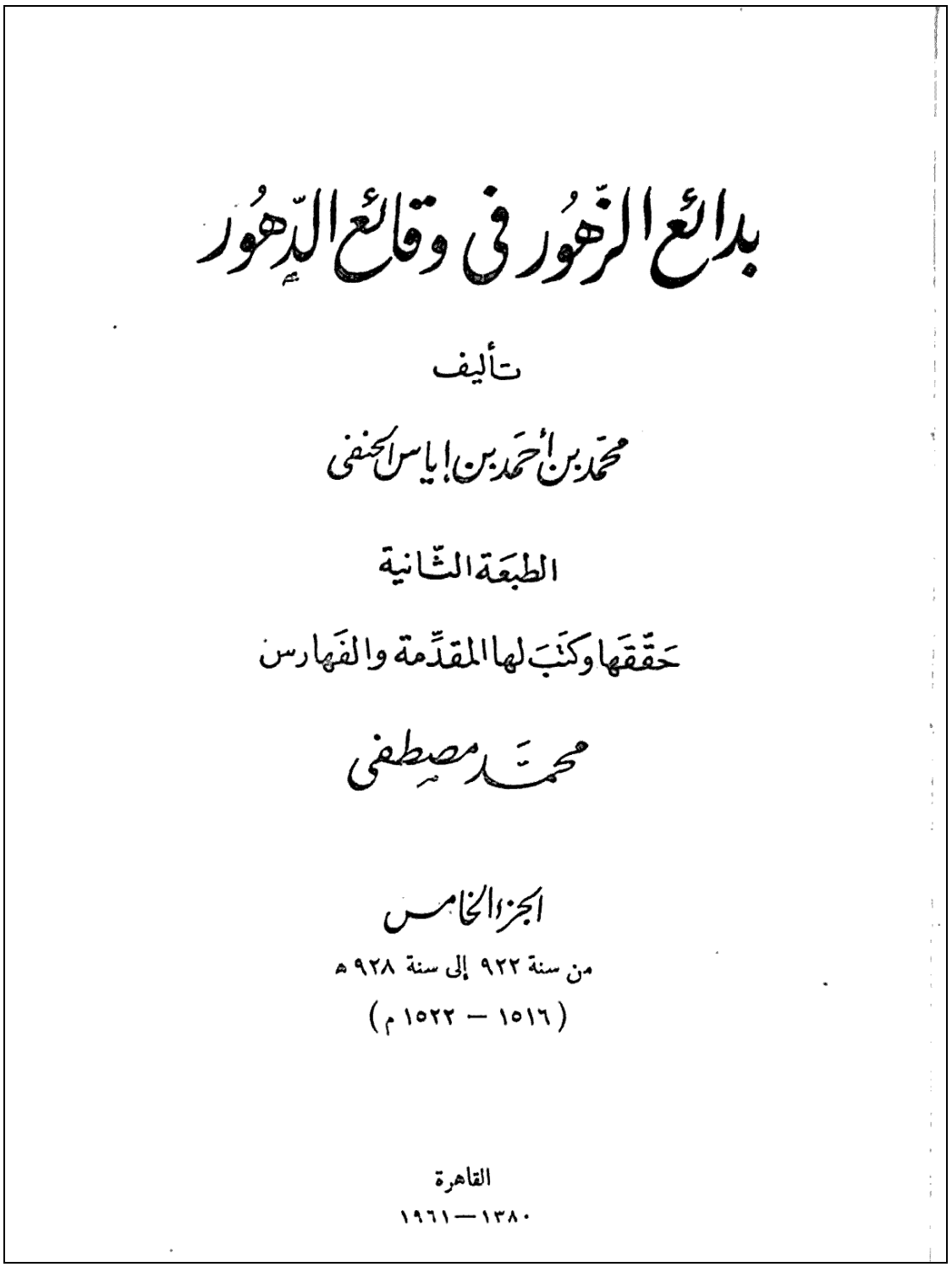

بدائع الزّهور في وقائع الدّهور

تأليف

محمد بن أحمد بن إياس الحنفي

الطبعة الثّانية

حقّقها وكتب لها المقدّمة والفهارس

محمد مصطفى

الجزء الخامس

من سنة ٩٢٢ إلى سنة ٩٢٨ هـ

(١٥١٦ — ١٥٢٢ م)

القاهرة

١٣٨٠ — ١٩٦١

الملحق رقم: 02

بيانات ونسخة من مخطوطة بدائع الزهور بخط محمّد بن أحمد الخصّاص.

من جامعة الملك سعود (الصفحة 02 و03) الاحد 2014/10/12 الساعة 22.29

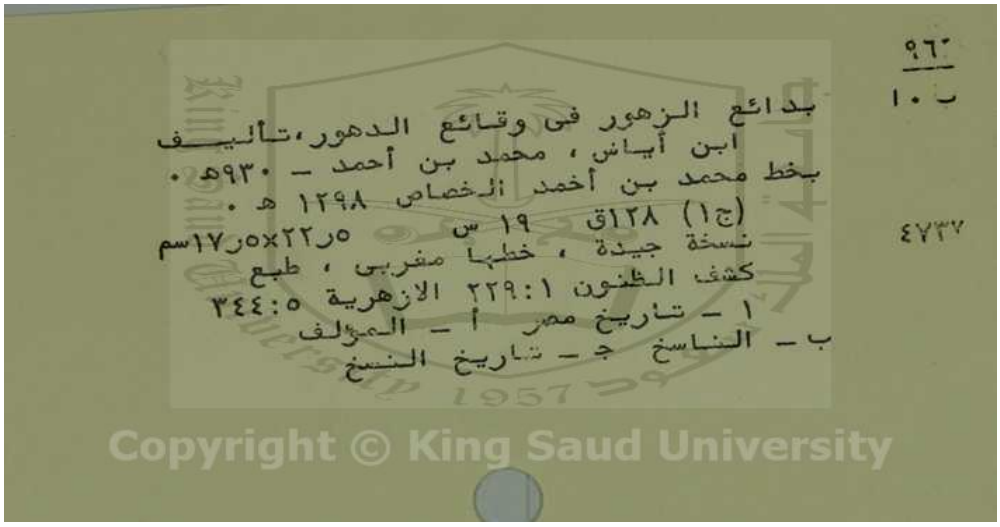

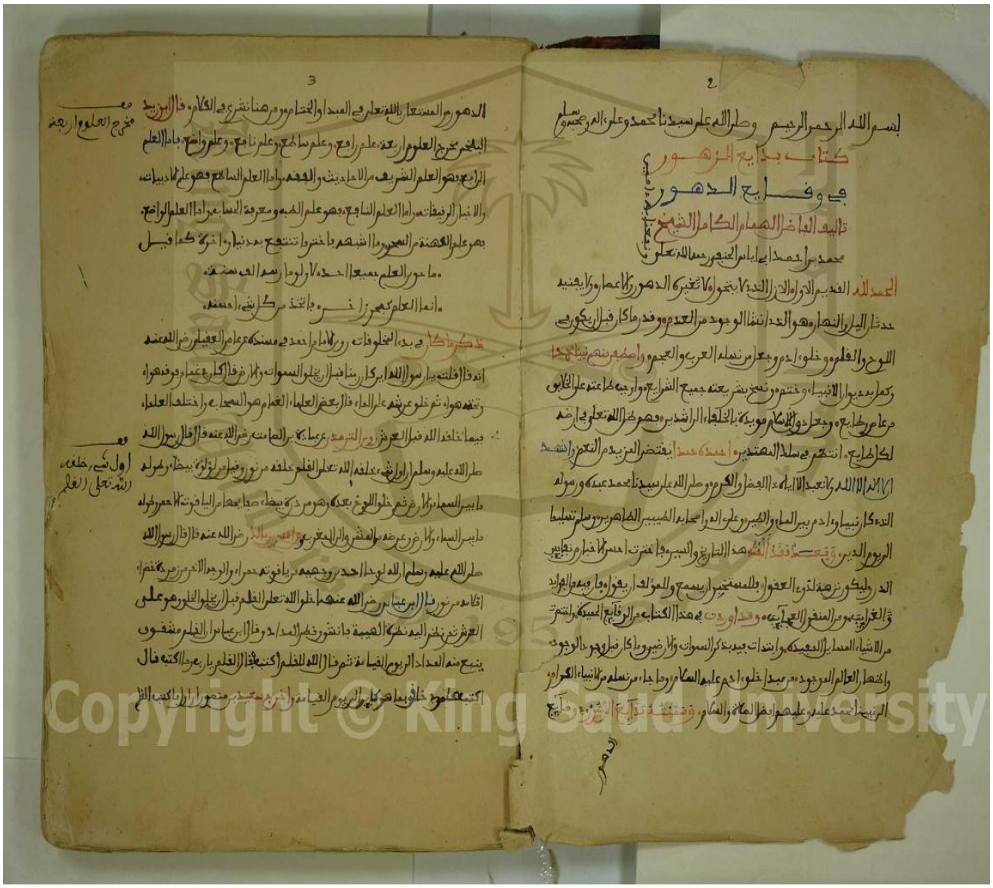

الملحق رقم: 03

صفحة غلاف نسخة من مخطوط ابن زنبل الرمال المعروف بـ ((آخرة المماليك))

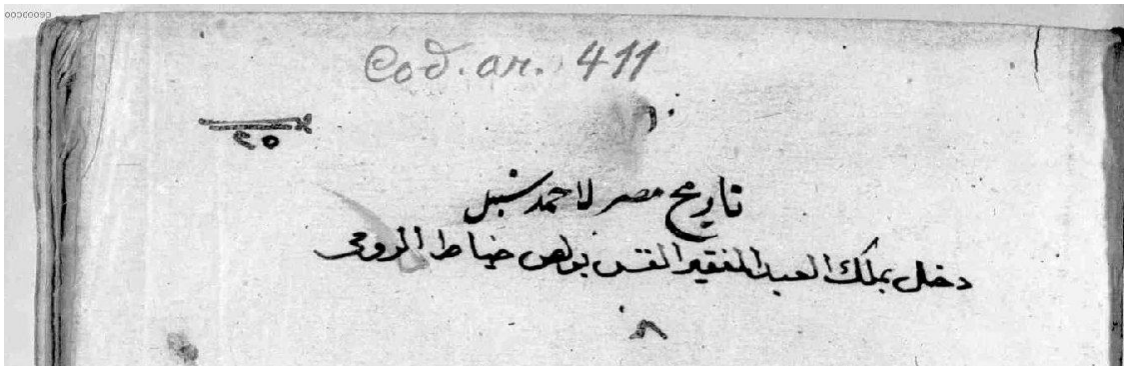

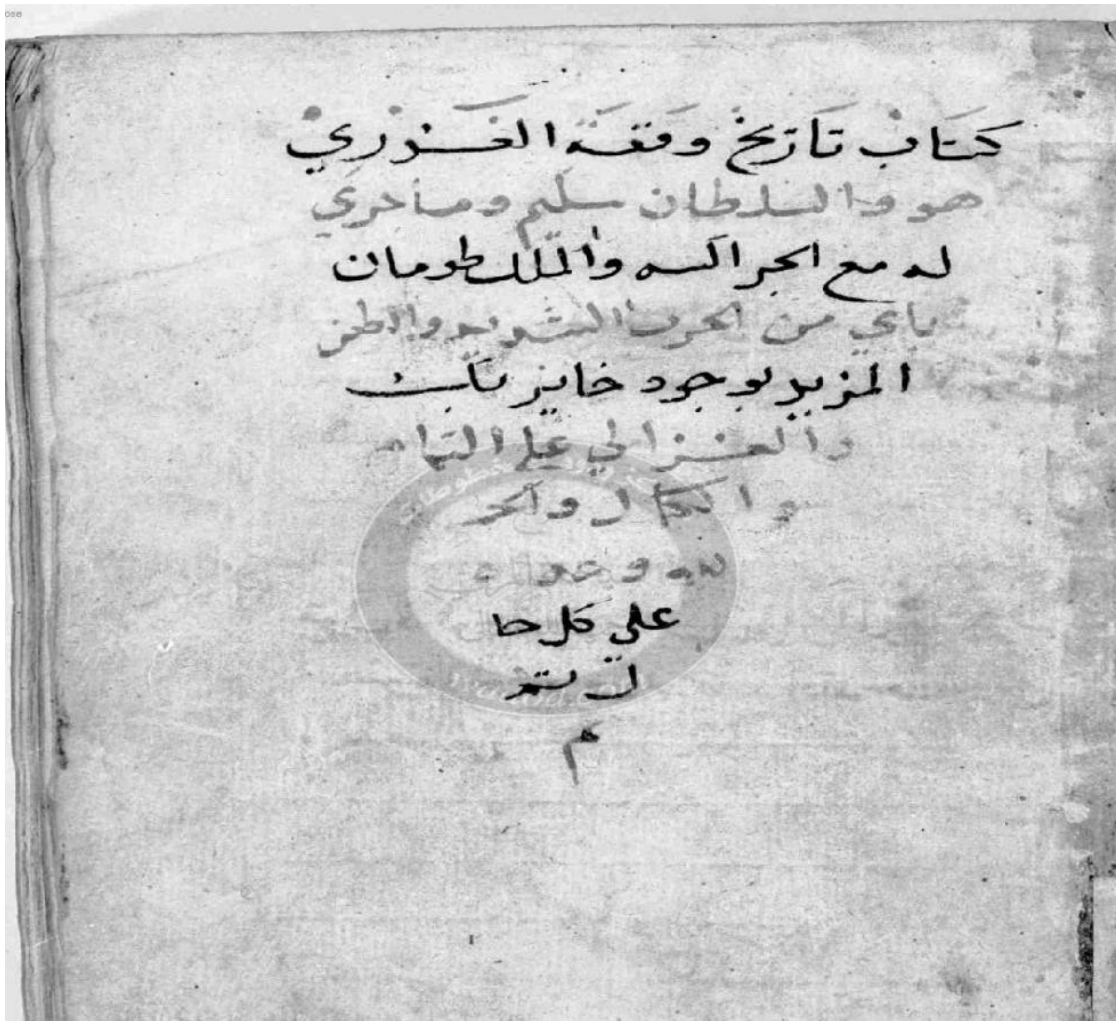

***المصدر: ميونيخ (COD. arab. 411 BSB) مركز ودود للمخطوطات wadod. org.. الاحد 2014/10/12 الساعة 22. 37.**

الملحق رقم: 04

صفحة من من مخطوط ابن زنبل الرمال المعروف بـ ((آخرة المماليك))

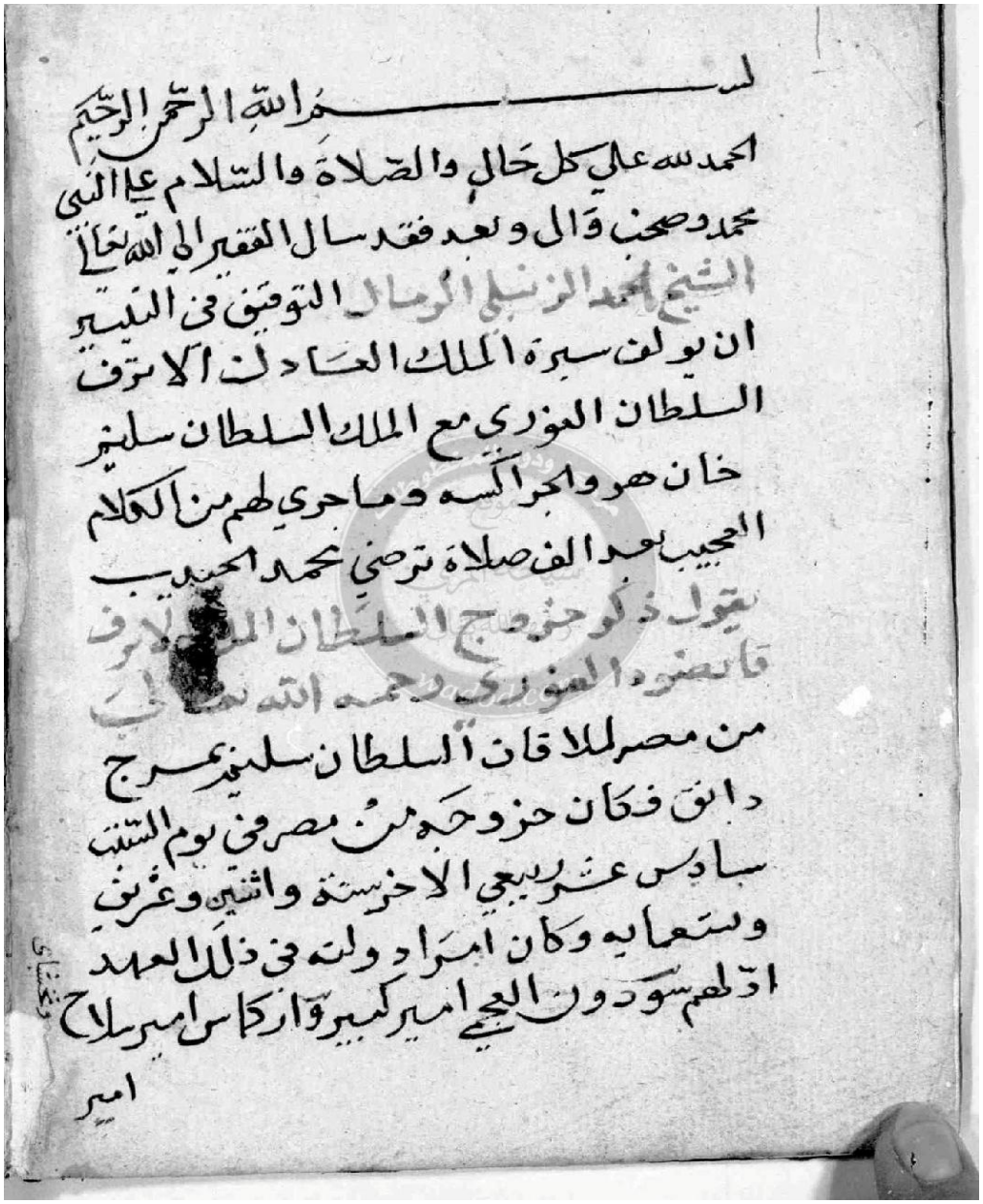

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله على كل حال والصلاة والسلام على النبي
محمد وصحبه وآله وبعد فقد سأل الفقير إلى الله تعالى
الشيخ أحمد الزنبلي الرمال التوفيق في التيسير
أن يؤلف سيرة الملك العادل الأشرف
السلطان الغوري مع الملك السلطان سليم
خان هو وأجراه وما جرى لهم من الكلام
العجيب بعد ألف صلاة ترضي محمد الحبيب
يقول ذكر خروج السلطان الملك الأشرف
قانصوه الغوري رحمه الله تعالى
من مصر للقاء السلطان سليم عسكر
دابق فكان خروجه من مصر في يوم السبت
سادس عشر ربيع الآخر سنة واثنين وعشرين
وتسعمايه وكان أمراء دولته في ذلك العهد
أدلهم سودون العجمي أمير كبير وأركماس أمير سلاح
أمير

*المصدر: مركز ودود للمخطوطات: wadod. org.

2014/10/12 الساعة 22. 40

الملحق رقم: 05

مخطوطة لأحمد بن يوسف القرماني: أخبار الدول وآثار الأوّل.

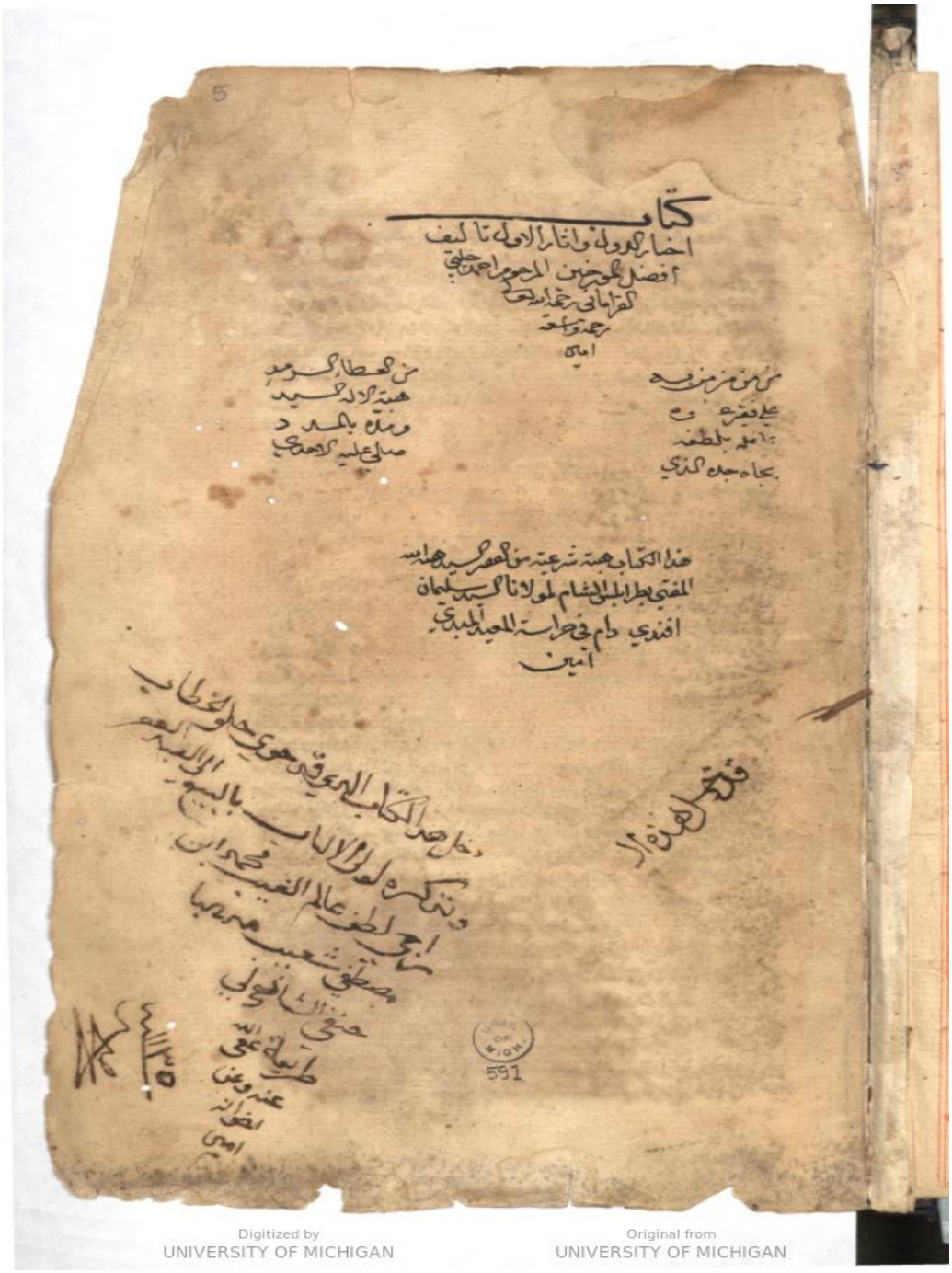

***المصدر: جامعة ميشيغان. قسم المخطوطات.**

2014/06/21. الساعة 00. 20

الملحق رقم: 06

فهرس مخطوطة أحمد بن يوسف القرماني: أخبار الدول وآثار الأوّل.

***المصدر السابق. 2014/06/21. الساعة 00. 25**

الملحق رقم: 07

الصفحة الأولى من مخطوطة أحمد بن يوسف القرماني: في تعريف علم التاريخ

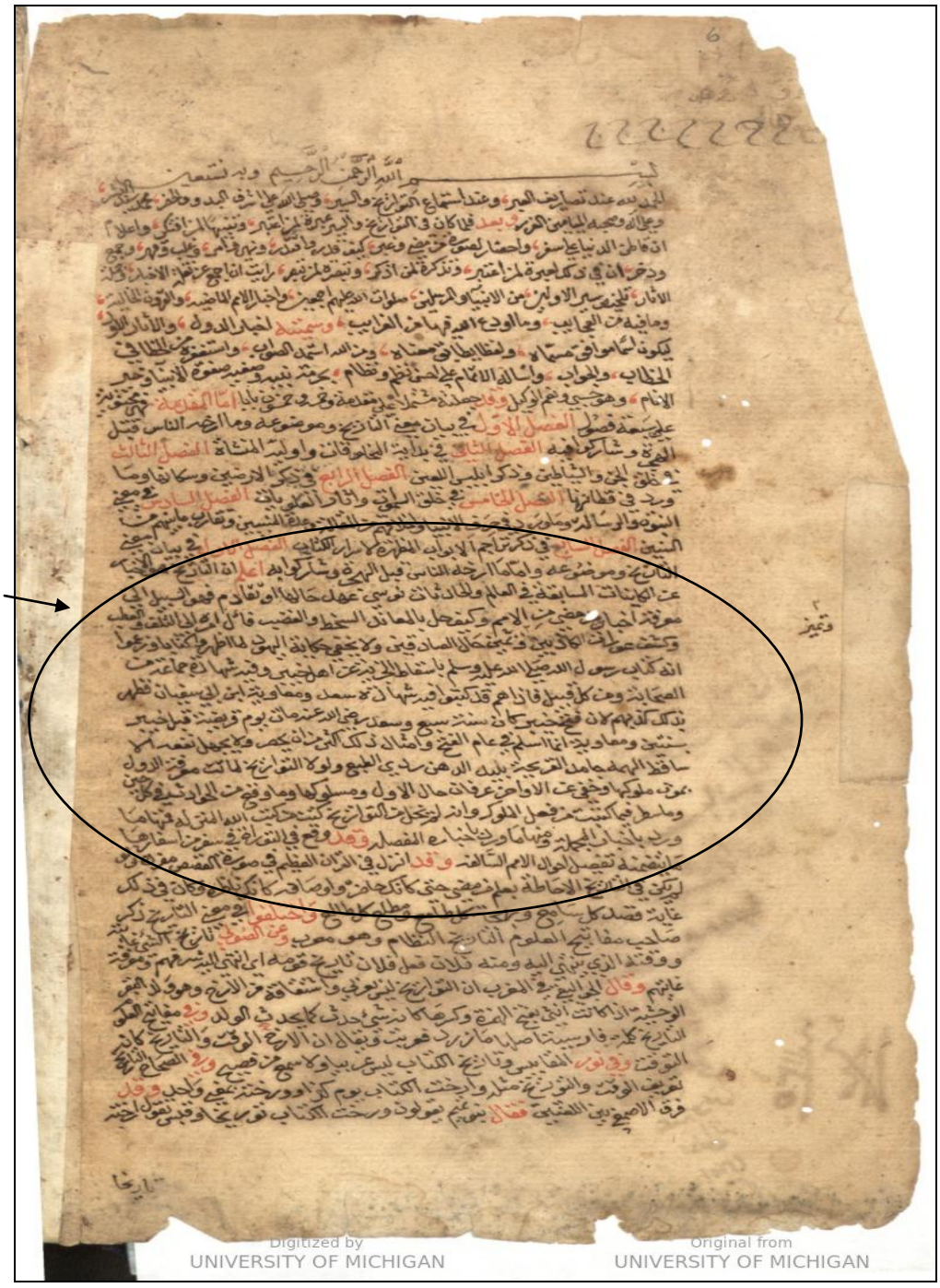
Digitized by UNIVERSITY OF MICHIGAN
Original from UNIVERSITY OF MICHIGAN

***المصدر السابق. 2014/06/21. الساعة 00. 30**

الملحق رقم: 08

مخطوطة عبد الرحمان السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك.

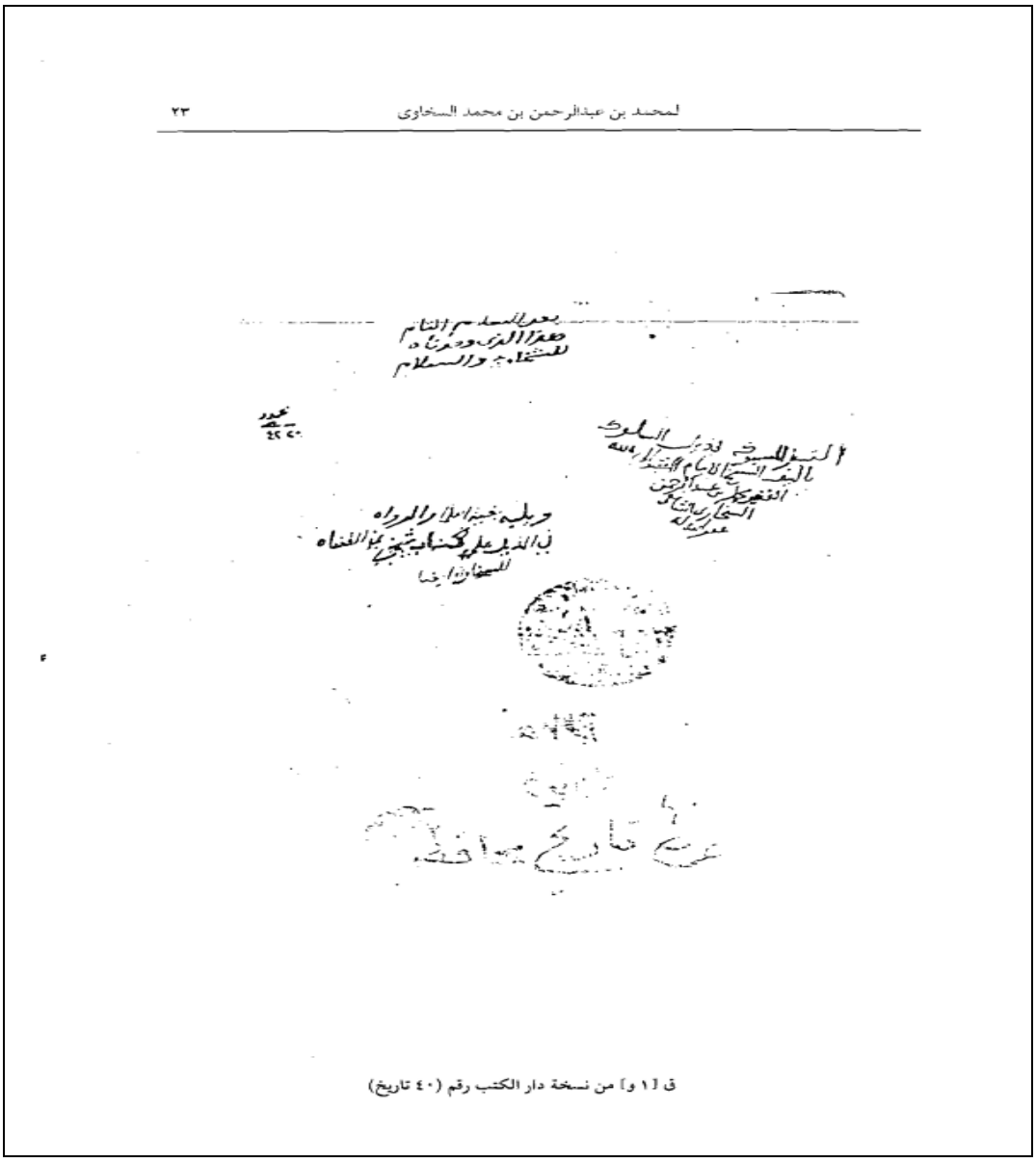

ق [١ و] من نسخة دار الكتب رقم (٤٠ تاريخ)

***المصدر: محمد بن عبد الرحمان السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السوك. تحقيق. نجوى مصطفى كامل ولبيبة إبراهيم مصطفى. ج1. دار الكتب والوثائق القومية. القاهرة. 2002.**

الملحق رقم: 09

نهاية كتاب التبر المسبوك.

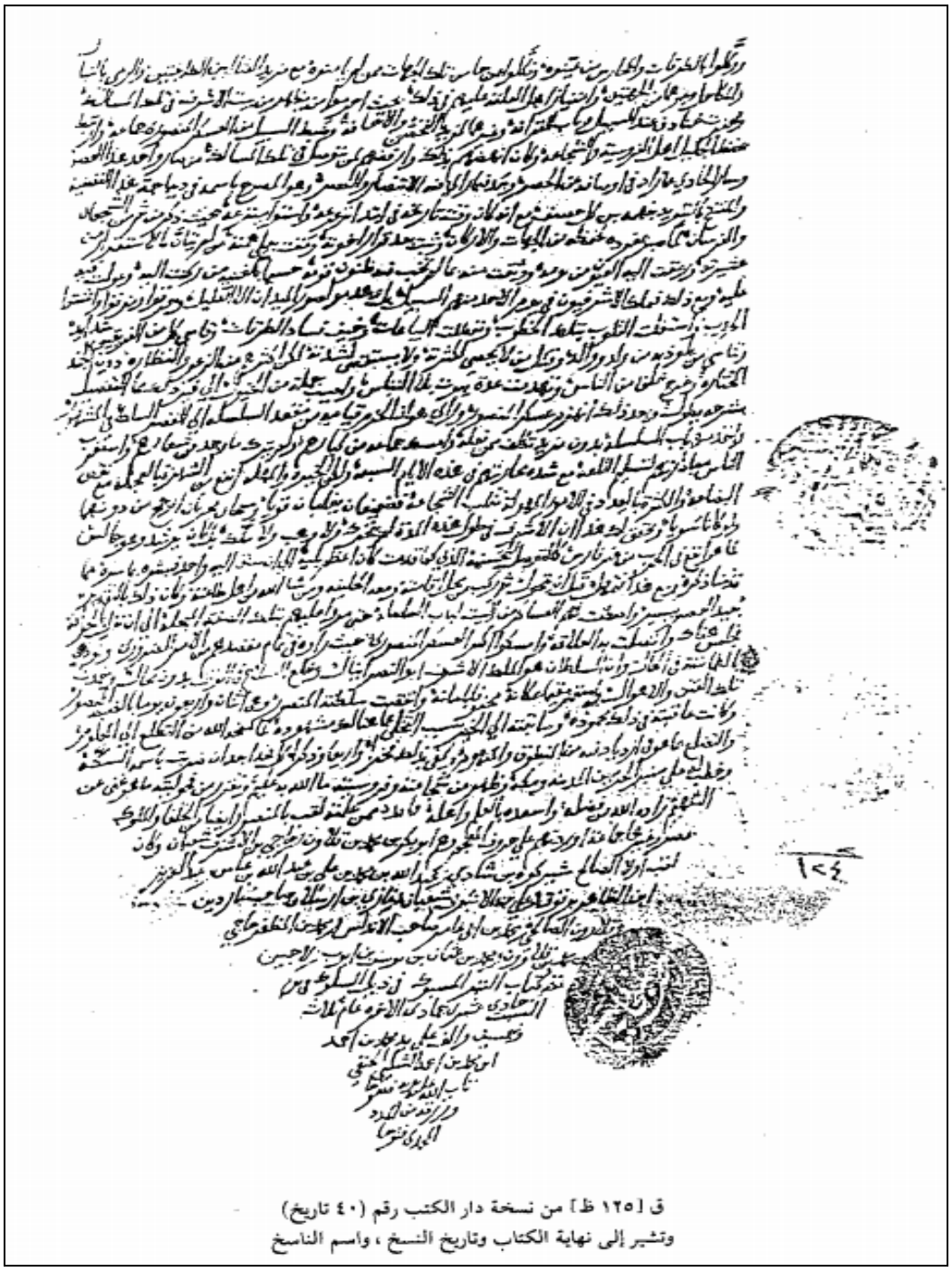

ق [١٢٥ ظ] من نسخة دار الكتب رقم (٤٠ تاريخ)
وتشير إلى نهاية الكتاب وتاريخ النسخ ، واسم الناسخ

*المصدر السابق.

الملحق رقم: 10

مقتطف من (نبذة من نشق الأزهار في عجائب الأقطار) لابن إياس.

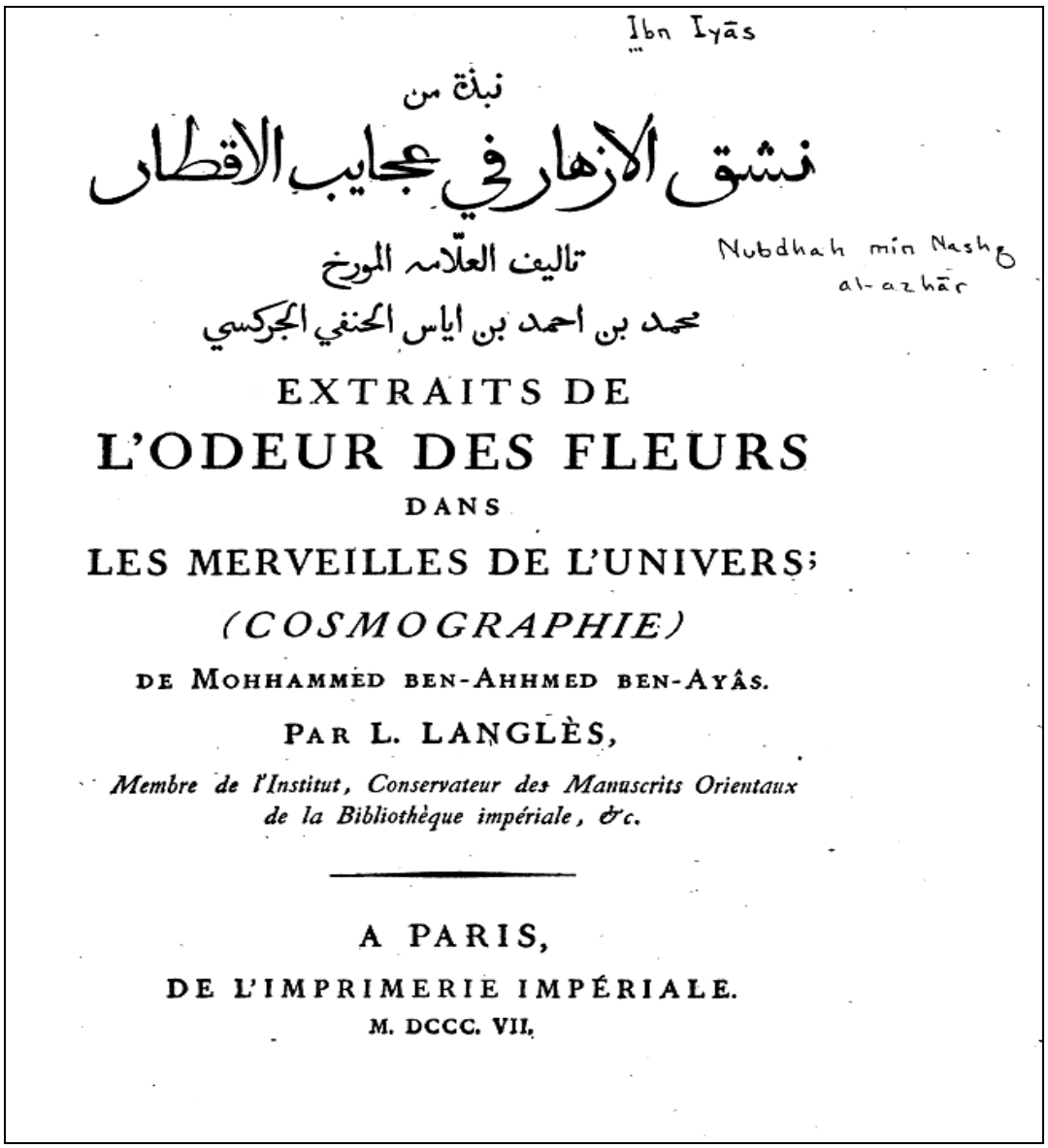

Ibn Iyās

نبذة من

نشق الازهار في عجايب الاقطار

Nubdhah min Nashq al-azhār

تاليف العلّامه المورخ

محمد بن احمد بن اياس الحنفي الجركسي

EXTRAITS DE

L'ODEUR DES FLEURS

DANS

LES MERVEILLES DE L'UNIVERS;

(COSMOGRAPHIE)

DE MOHHAMMED BEN-AHHMED BEN-AYÂS.

PAR L. LANGLÈS,

Membre de l'Institut, Conservateur des Manuscrits Orientaux de la Bibliothèque impériale, &c.

A PARIS,

DE L'IMPRIMERIE IMPÉRIALE.

M. DCCC. VII.

***المصدر:**

L. LANGLES: Extrait du Tome. VIII. 1er partie des Notices Et Extraits des Manuscrits de la Bibliothèque Impériale. Imprimerie .Impériale. PARIS. s. d. ed

الملحق رقم: 11

مقتطف من (نبذة من نشق الأزهار في عجائب الأقطار) لابن إياس.

COSMOGRAPHIE
DE
BEN-AYÂS.

نشق الازهار في عجايب الاقطار*

تاليف العلّامه المورخ

محمد بن احمد بن اياس الحنفي الجركسي

[L'Odeur des fleurs dans les Merveilles de l'Univers];

COSMOGRAPHIE composée *en arabe* par le savant historien Mohhammed ben-Ahhmed ben-Ayâs, *de la secte orthodoxe d'*Aboù Hhanifah, *natif de Circassie.*

[N.° 595 des Manuscrits Arabes de la Bibliothèque nationale, *in-4.°* de 371 feuillets, n.° 111 des Manuscrits de feu Deshauterayes (1), *in-4.°* de 410 pages, et n.° 56 de la collection des Manuscrits Orientaux appartenant à M. Marcel.]

Par L. LANGLÈS.

L'EXEMPLAIRE de la Bibliothèque nationale, copié en l'an 1115 de l'hégire [1703 — 1704 de l'ère vulgaire], est

* *Nechéq él-âzhâr fy a'djâïb él-âqthâr.*

(1) Neveu et élève de Fourmont, pour la langue Chinoise; ancien professeur

A

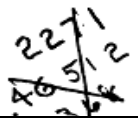

*المصدر: L. LANGLES: op. cit

الملحق رقم: 12

مقتطف من (نبذة من نشق الأزهار في عجائب الأقطار) لابن إياس.

(3)

« *Nechéq êl-âzhâr fy a'djâïb âl-âmssâr* [l'Odeur des fleurs dans » les merveilles des contrées], par Mohhammed Ayâs le Hhané- » fyte, mort en l'année....Il a tiré cet ouvrage des Annales » des nations. Il y rapporte tout ce qu'il a appris de plus extraor- » dinaire et ce qu'il a vu de plus merveilleux dans l'Égypte et » ses cantons ; ce que les sages y ont fait de plus admirable ; il » donne un extrait de la vie des anciens rois de cette contrée, » des détails sur le Nil, sur les pyramides : il commence par un » petit traité du système céleste et de l'astronomie. »

Cet ouvrage a été consulté par plusieurs savans orientalistes. Ed. Pococke en possédoit un exemplaire qui a passé dans la bibliothèque Bodleyenne d'Oxford, comme on le voit par l'article suivant qui est extrait du *Bibliothecæ Bodleianæ codicum manuscriptorum Orientalium catalogus, à J. Vri confectus ; Mathematici et Geographi Arabici*, in-f.°, pag. 198 : « N.° CMXIV, *Arab. Codex*

ابتدات فيه بذكر طرف يسير من اخبار الملك وعلم الهيبة

« Ayant lu les annales des nations an- » ciennes, et ayant vu les merveilles dont » elles sont remplies, j'ai formé le plan » d'un ouvrage amusant qui contiendroit » un abrégé de toutes les merveilles que » j'ai apprises ou vues, me proposant pour » but la brièveté, afin de ne pas rendre ce » recueil trop long, suivant ce proverbe : » *les phrases les plus courtes sont les meil-* » *leures.* J'y ai consigné les merveilles de » l'Égypte et de ses cantons, les talismans » posés par les sages de ce pays dans les » anciens édifices, &c. J'y donne un ex- » trait de la vie de ses anciens rois, et une » notice des monumens élevés par eux en » Égypte et dans différens pays ; je parle » du Nil, des Pyramides, des choses rela- » tives aux cantons de l'Egypte, à ses » divisions territoriales, à son climat ; je » note, en un mot, tout ce qu'il y a de » surprenant ou de remarquable : je com- » mence par un précis du système cé- » leste et de l'astronomie. »

A 2

الخليـــع ورايت ما فيها مـــن العجايب المتوالبه فاحببت ان اجـــمع كتابا لطيفا اذكر فيه من اغـرب ما سمعته واعجب ما رايته قاصدا فيه الاختصار لكيلا يطول في التاليف بجموعه وفي المثل السايراقصر الـــكلام منفـوعه فذكـرت فيه مـــن عجايب مصر واعمالهـــا وما صنعت الحكما فيها من الطلسمات المحكمة في البـــرابي وغير ذلك وذكـرت فيه طرفا يسيرا من سير ملوكها القدما وما صنعوا من الابنيـة المحكمة في مصر وغيرها من البلاد وذكـرت طرفا يسيرا من اخبار النيـــل والاهـــرام وعجايب البلاد التي مـــن اعمال مصـــر وخططها واقاليمها واقطارها وغير ذلك من العجايب الغريبة والاخبار العجيبة و قـــد

*المصدر: L. LANGLES: op. cit

الملحق رقم: 13

صفحة الغلاف لنسخة من كتاب السيوطي. الشماريخ في علم التاريخ.

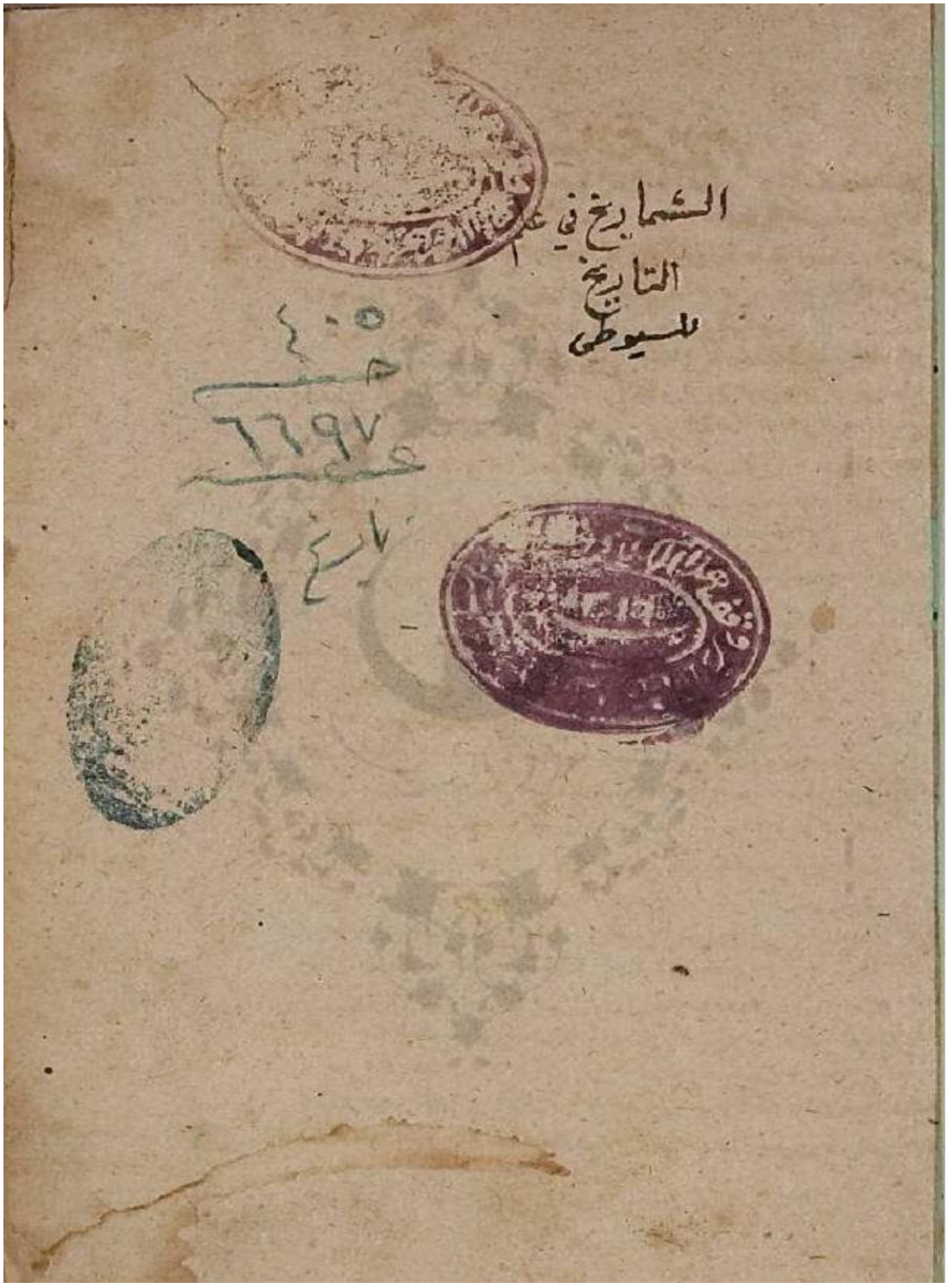

الملحق رقم: 14

الصفحة الأولى لنسخة من كتاب السيوطي. الشماريخ في علم التاريخ.

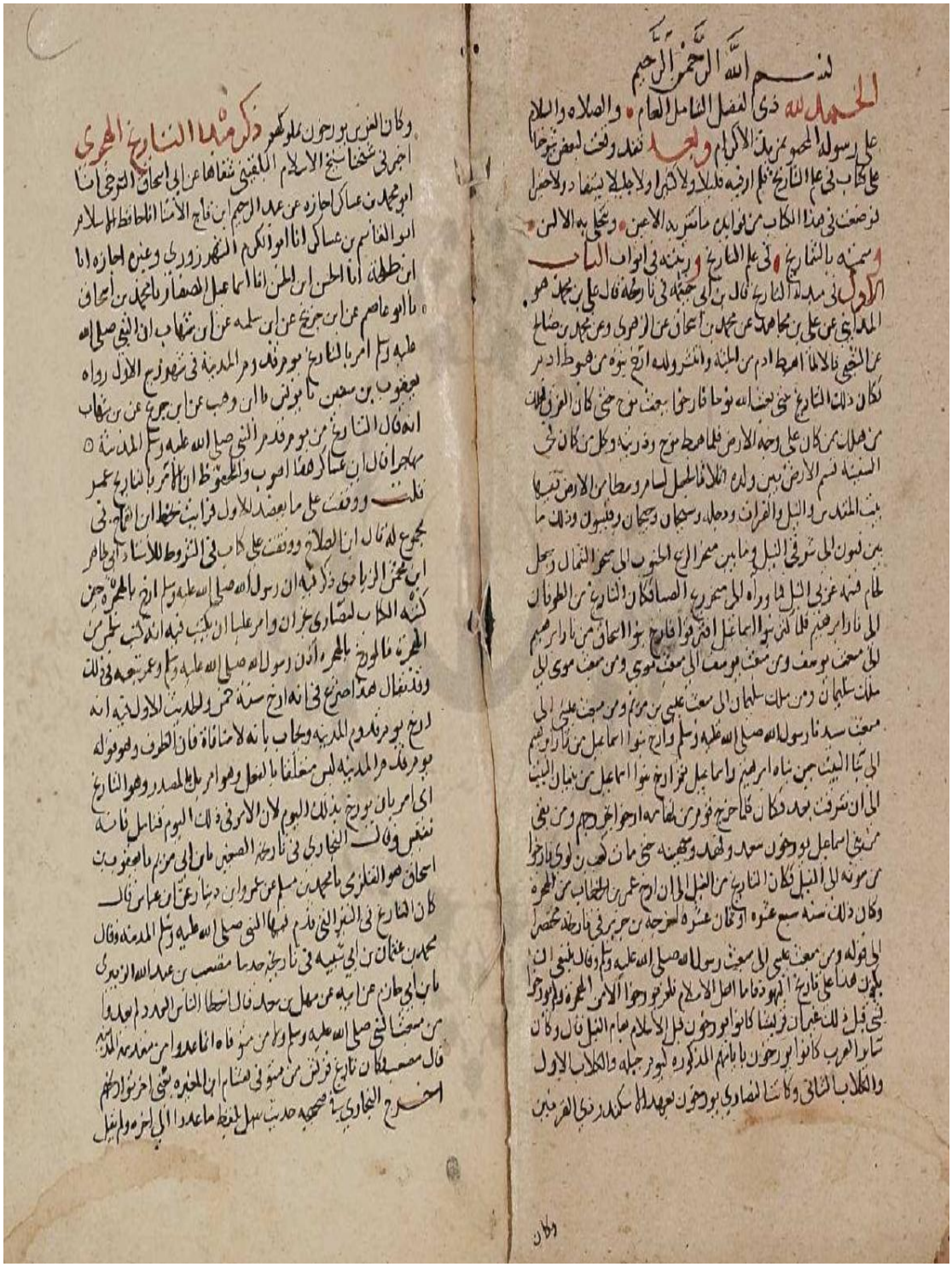

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الفضل الشامل العام • والصلاة والسلام على رسوله المخصوص بمزيد الاكرام • وبعد فقد وقفت لبعض شيوخنا على كتاب في علم التاريخ فلم ارفيه قليلا ولا كثيرا ولا جليلا يستفاد ولا اصيل توضع في هذا الكتاب من فوائد ما تقر به الاعين • وتحلى به الالسن • وسميته بالشماريخ • في علم التاريخ • ورتبته في ابواب الباب الاول في مبدء التاريخ قال ابن ابي خيثمة في تاريخه قال علي بن محمد هو المدائني عن علي بن مجاهد عن محمد بن اسحاق عن الزهري وعن محمد بن صالح عن الشعبي قالا لما اهبط ادم من الجنة واشترولده اربع بيوت من هبوط ادم بمكة فكان ذلك التاريخ حتى نجى الله نوحا فاراخوا بعد نوح حتى كان الغرق فكان من هلك من كان على وجه الارض فلما هبط نوح وذريته وكل من كان في السفينة قسم الارض بين ولده الثلاثة فاسجل لسام وسط الارض فنزلها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان وقيسون وذلك ما بين قيسون الى شرقي النيل وما بين متعارج الجنوب الى نحو الشمال وحمل لحام فيه غربي النيل فما وراء الى متعرج الصبا فكان التاريخ من الطوفان الى ناراهيم فلما كان بنو اسماعيل افترقوا فارخ بنو اسحاق من ناراهيم الى معبث يوسف ومن معبث يوسف الى معبث موسى الى ملك سليمان ومن ملك سليمان الى معبث علي بن مريم ومن معبث علي الى معبث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وارخ بنو اسماعيل من ناراهيم الى بناء البيت حين بناه ابراهيم وارخ بنو اسماعيل من بنيان البيت الى ان تشرف بعد فكان فاتحهم قيدوم من لحامه واخوانهم ومن بقي من بني اسماعيل يؤرخون سعد ولهذ وجيشه حتى مات كهن لوي فارخوا من موته الى النيل فكان التاريخ من النيل الى ان ارخ عمرو بن الظرب من الحجر وكان ذلك سنة سبع عشرة او ثمان عشرة لخرجه بن جرير في تاريخه مختصرا الى قوله ومن معبث علي الى معبث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ينبغي ان يكون هذا على تاريخ اليهود فانا اصل الاسلام نؤرخ بوجوه الامر الحجرة والبوادي التي قبل ذلك غير ان قريشا كانوا يؤرخون قبل الاسلام عام الفيل قال وكان تبابعة العرب كانوا يؤرخون بايامهم المذكورة لموت جيله والكلاب الاول والكلاب الثاني وكانت الساوي يؤرخون بعهد الاسكندر ذي القرنين

وكان العرب يؤرخون بملوكهم

ذكر مبدء التاريخ الهجري

اخبرني شيخنا شيخ الاسلام البلقيني شفاها عن ابي اسحاق التنوخي انا ابو محمد بن عساكر اجازه عن عبد الرحيم بن فاخر الامنا الحافظ الهمداني ابو القاسم بن عساكر انا ابو الكرم المشرف زوري وعين اجازه انا ابن طلحة انا الحسن بن الملن انا اسماعيل الصفار نا محمد بن اسحاق نا ابو عاصم عن ابن جريج عن ابن سلمة عن ابن شهاب ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالتاريخ يوم قدم المدينة في شهر ربيع الاول رواه يعقوب بن سفيان نا يونس نا ابن وهب عن ابن جريج عن ابن شهاب انه قال التاريخ من يوم قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا فان عساكر هذا الصواب والمحفوظ ان الامر بالتاريخ عمر قلت ووقفت على ما يعضد الاول فرايت محمد بن اسحاق في مجموع له قال ابن الصلاح ووقفت على كتاب في الشروط للاستاذ ابي طاهر ابن محمش الزيادي ذكر فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارخ بالهجرة حين كتبه الكتاب لنصارى نجران وامر عليا ان يكتب فيه انه كتب لخمس من الهجرة فالمؤرخ بالهجرة انما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر تبعه في ذلك وقد قال هذا اصبغ في انه ارخ سنة خمس والحديث الاول فيه انه ارخ يوم قدم المدينة ويجاب بانه لا منافاة فان الظرف وهو قوله يوم قدم المدينة ليس متعلقا بالفعل وهو امر بل المصدر وهو التاريخ اي امر بان يؤرخ بذلك اليوم لان الامر في ذلك اليوم فناسل فاسنض وقال البخاري في تاريخه الصغير مات ابي مزاحم ما ابو يعقوب بن اسحاق هو الفزاري ما محمد بن مسلم عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال كان التاريخ في الشهر الذي قدم فيها النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقال محمد بن عثمان بن ابي شيبة في تاريخه حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري نا ابن ابي حازم عن ابيه عن مهل بن سعد قال اسقط الناس العدد من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانما عدوا من مقدمه المدينة قال مصعب فكان تاريخ فوتش من مبعثه ان الهجرة بقي احد عشر شهرا ثم اخرجوا تمام اخرج البخاري في صحيحه حديث سهل بلفظ ما عدوا الى اخره وانما

الملحق رقم: 15

إحدى النماذج من الكتاب المحقق لابن إياس تحتوي على تراجم المتوفين في السنة التي اختتم المؤلف ذكر أحداثها.

قولوا لهم : قد عزل نفسه من القضاء » .

فلما جاءت الرسل وأخبروا الأمير بلبنا بذلك ، شقّ عليه عزل القاضى من غير سبب ، فلا زال يترضّاه حتى أجاب إلى العود إلى القضاء ، وطلع إلى القلعة وأخلع عليه السلطان ، وعاد إلى القضاء ثانيا ، وعزل الشيخ موفّق الدين عبد الله ؛ وأين هذه الأخبار من أخبار قضاة زماننا ، وما يصنعون بأنفسهم من البهدلة ، انتهى ذلك .

وأما بقيّة من توفّى فى هذه السنة من الأعيان ، وهم : الشريف غياث الدين أبو إسحق إبراهيم بن صدر الدين حمزة العراقى ، والد الشريف مرتضى . ـ وتوفّى شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن عبد الرحيم البعلبكى ، مفتى دار العدل ، وكانت وفاته بدمشق ، فى سابع عشرين شهر رمضان ، وكان قد برع فى الفقه على مذهب الشّافعى .

وتوفّى الشيخ مجد الدين أبو الفداء إسمعيل بن يوسف بن محمد الكفتى ، شيخ القراءات ، وكانت وفاته بمصر فى نصف شعبان .

وتوفّى بكتمر، أمير علم. ـ والأمير جركس الدوروزى، أحد الأمراء الطبلخانات.

وتوفّى الشيخ أبو حاتم بن بهاء الدين أحمد بن السبكى . ـ وتوفّى تقىّ الدين أبو الربيع سليمان بن على بن عبد الرحيم بن أبى سالم بن مراجل الدمشقى ، ناظر الدولة بديار مصر ، وولى وزارة دمشق أيضا .

وتوفّى شمس الدين عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن أبى السفّاح . ـ وتوفّى تقىّ الدين عبد الرحمن بن الضياء المناوى ، وكان شابا جميل الهيئة .

وتوفّى زين الدين عمر بن الشرف عيسى بن عمر البارينى الحلبى . ـ وتوفّى الشيخ عماد الدين محمد بن الحسين بن على بن عمر الإسنوى الشافعى ، وكان قد برع فى الفقه والأصول .

وتوفّى الشيخ ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن الربوة القونوى ثم الدّمشقى (٥٢ ب) الحنفى ، الخطيب بجامع يلبغا بدمشق . ـ وتوفّى الأمير سيف الدين قطلوبُغا الأحمدى ، نائب حلب ، بها .

*المصدر: ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفى. ج1القسم2. ط1. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. 1974. ص09

الملحق رقم: 16

فقرة من مخطوطة ابن زنبل الرمال يذكر فيها الأموال التي جلبها معه الغوري إلى حلب قبل ملاقاة السلطان سليم في مرج دابق. وهذا سبب خلو خزائن مصر من الأموال وعدم قدرة طومان باي تسيير الأمور بعد وفاة الغوري.

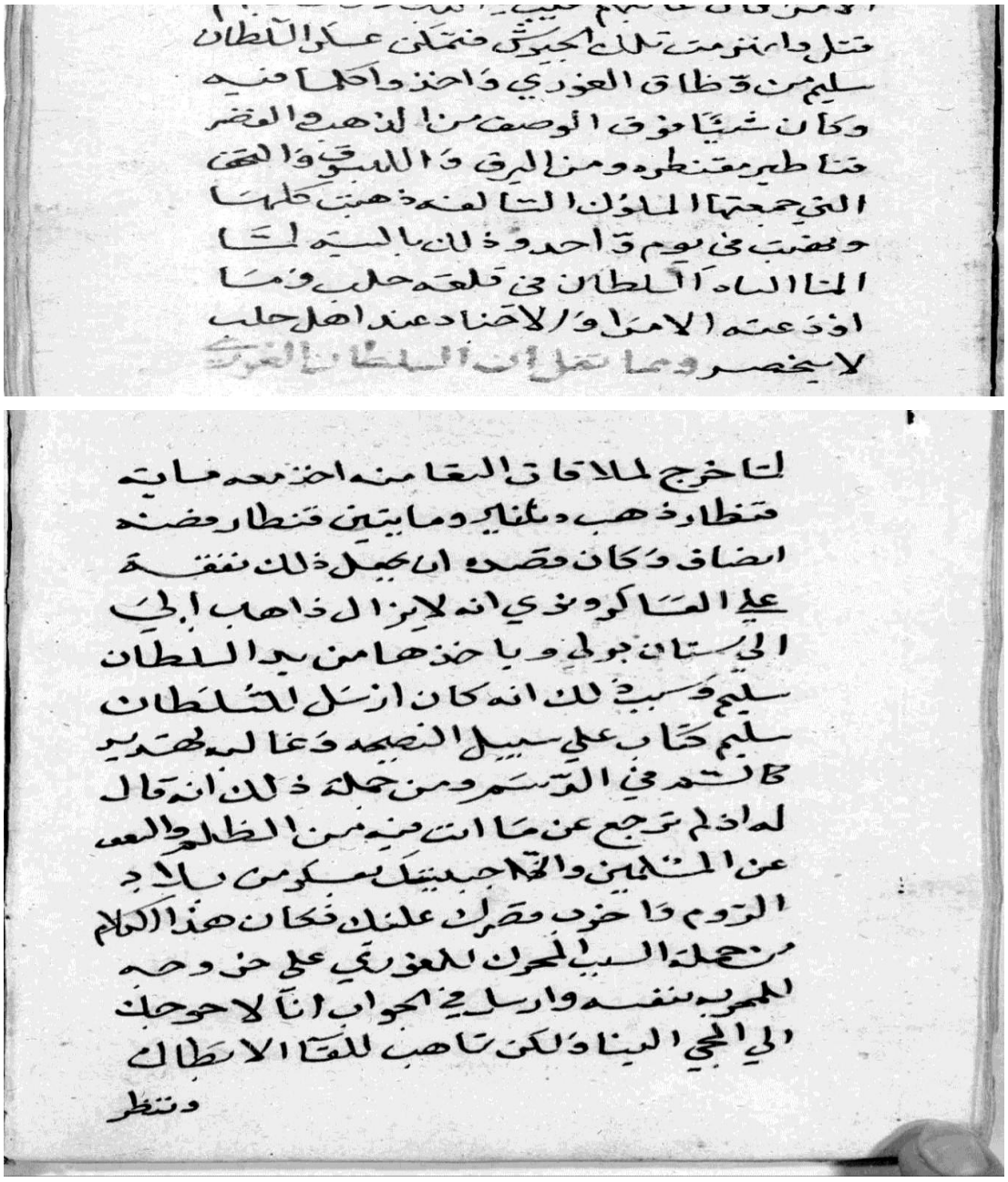

*المصدر: ابن زنبل الرمال: مصدر سابق. 2014/10/12 الساعة 23. 32

الملحق رقم: 17

مقتطف من مخطوطة ابن زنبل الرمال يذكر فيها أسباب الخلاف بين سليم الأوّل والمماليك. والمتمثل في إيواء إخوته الفارّين منه خشية قتله لهم.

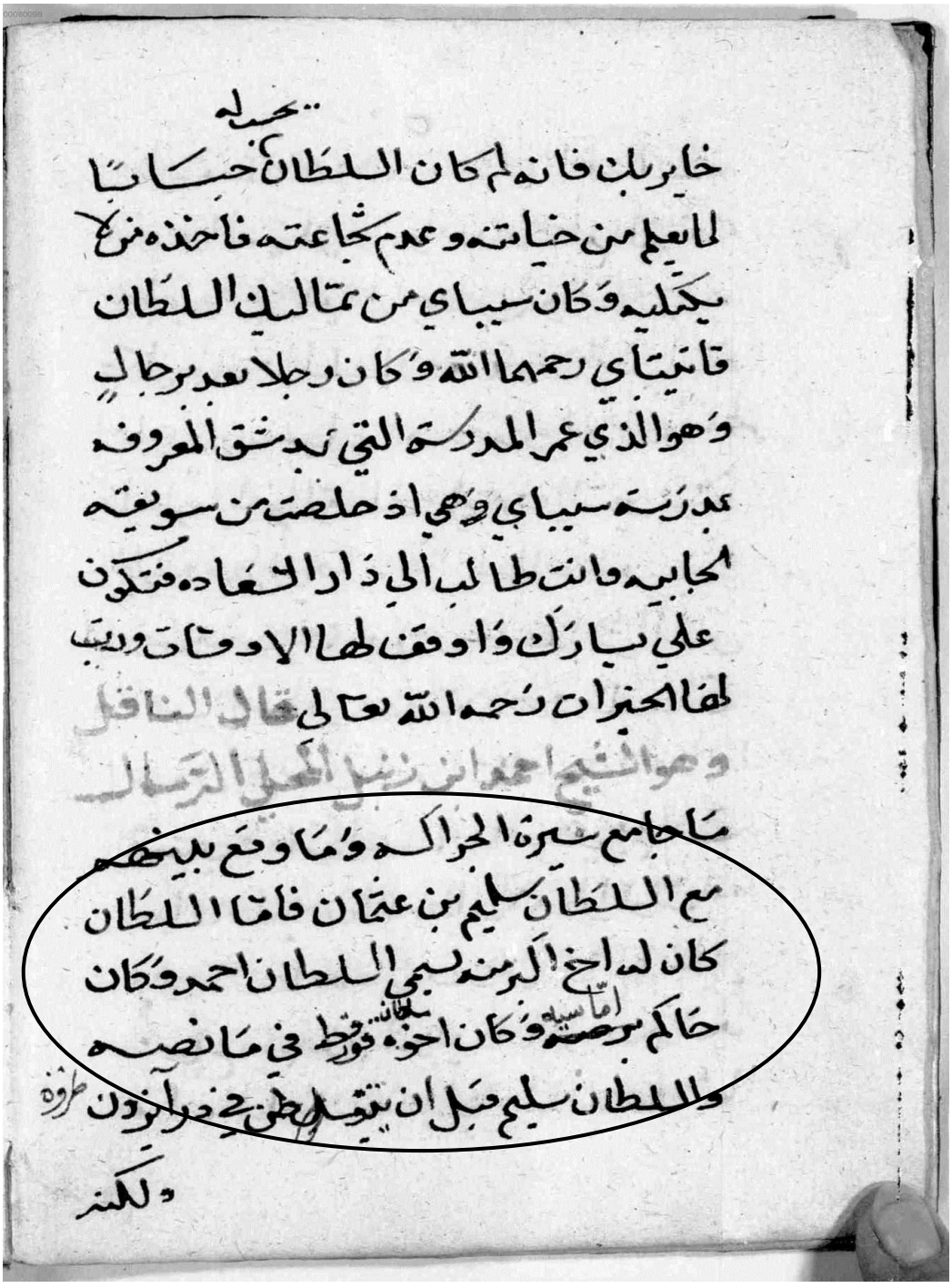

خايربك فانه لم كان السلطان خسانبا
لما يعلم من خيانته وعدم شجاعته فاخذه من لا
يكتليه وكان سيباي من ممالك السلطان
قانيتباي رحمها الله وكان رجلا بعد برجال
وهو الذي عمر المدرسة التي بدمشق المعروفه
بمدرسة سيباي وهي اذ خلصت من سوقيه
الحجابيه وانت طالب الى دار السعاده فتكون
علي بارك واوقف لها الاوقات وتب
لها الخيرات رحمه الله تعالى قال الناقل
وهو الشيخ احمد ابن زنبل المعلي الرمال
ما جامع سيرة الجراكسه وما وقع بينهم
مع السلطان سليم بن عثمان فاما السلطان
كان له اخ اكبر منه يسمى السلطان احمد وكان
حاكم برصه واما سيه وكان اخوه السلطان قورقط في مانيصه
والسلطان سليم قبل ان يتوجه الى ارزون طرزه
ولكنه

*المصدر: ابن زنبل الرمال: مصدر سابق. 2014/10/12 الساعة 23. 40

الملحق رقم: 18

مقتطف من مخطوطة ابن زنبل الرمال يذكر فيه أسباب الخلاف بين سليم الأوّل والمماليك.

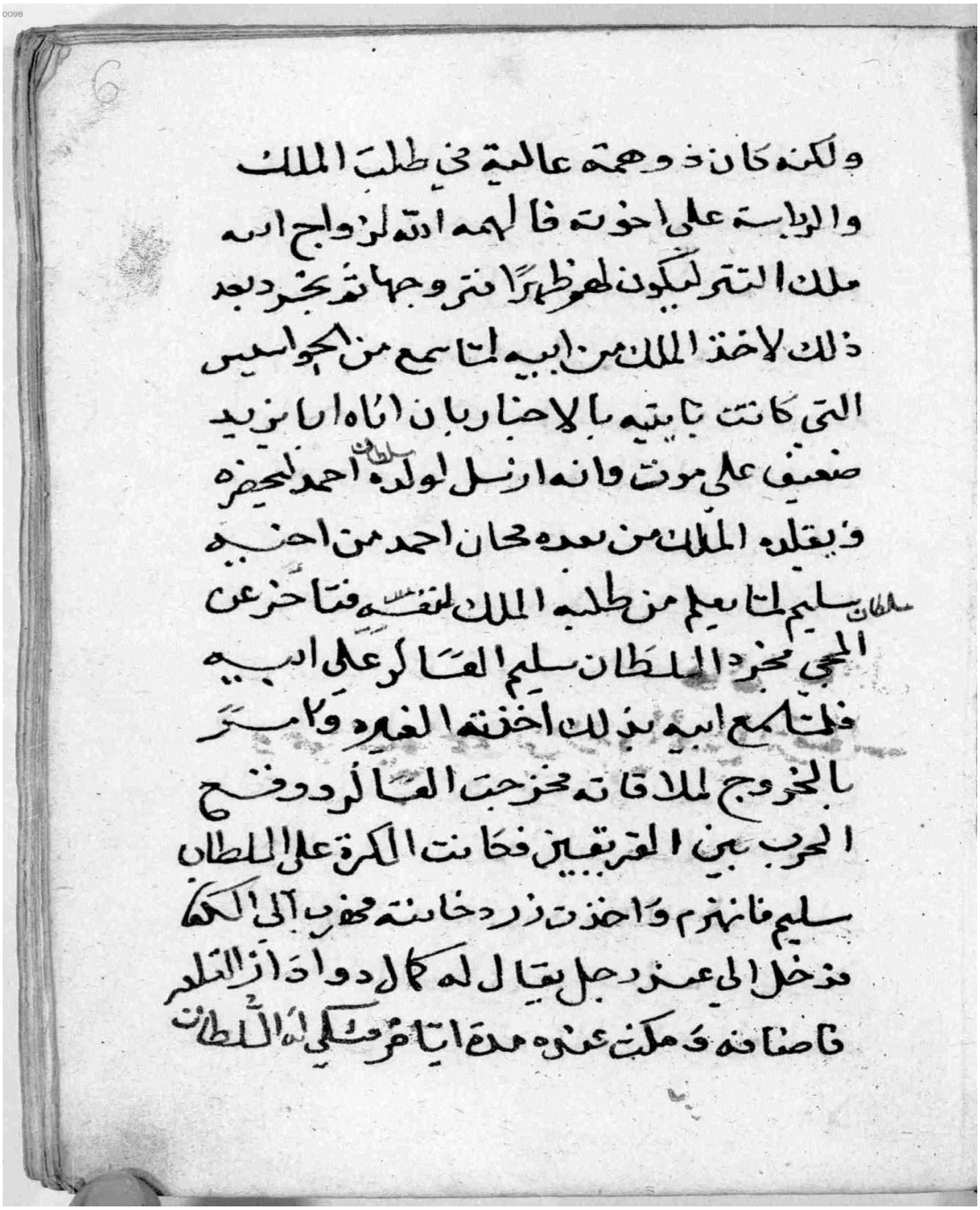

ولكنه كان ذو همة عالية في طلب الملك
والرياسة على اخوته فالهمه الله لزواج ابنه
ملك الترك ليكون لهم ظهرًا فتزوجها ثم بخرد بعد
ذلك لاخذ الملك من ابيه لما سمع من الجواسيس
التي كانت تاتيه بالاخبار بان اباه ابا يزيد
ضعيف على موت وانه ارسل لولده السلطان احمد ليحضره
ويقلده الملك من بعده فحان احمد من اخيه
السلطان سليم لما يعلم من طلبه الملك لنفسه فتاخر عن
المجي فجرد السلطان سليم العساكر على ابيه
فلما سمع ابيه بذلك اخذته الغيرة وامر
بالخروج لملاقاته فخرجت العساكر وفتح
الحرب بين الفريقين فكانت الكرة على السلطان
سليم فانهزم واخذت زردخانته فهرب الى الكرك
فدخل الى عند رجل يقال له كمال الدوادار فاكرمه
فاضافه وملك عنده مدة ايام فرسل له السلطان

*المصدر: ابن زنبل الرمال: مصدر سابق.

الملحق رقم: 19

مقتطف من مخطوطة ابن زنبل الرمال يذكر فيها أسباب الخلاف بين سليم الأوّل والمماليك. والمتمثل في إيواء إخوة سليم ورفضهم تسليمهم له.

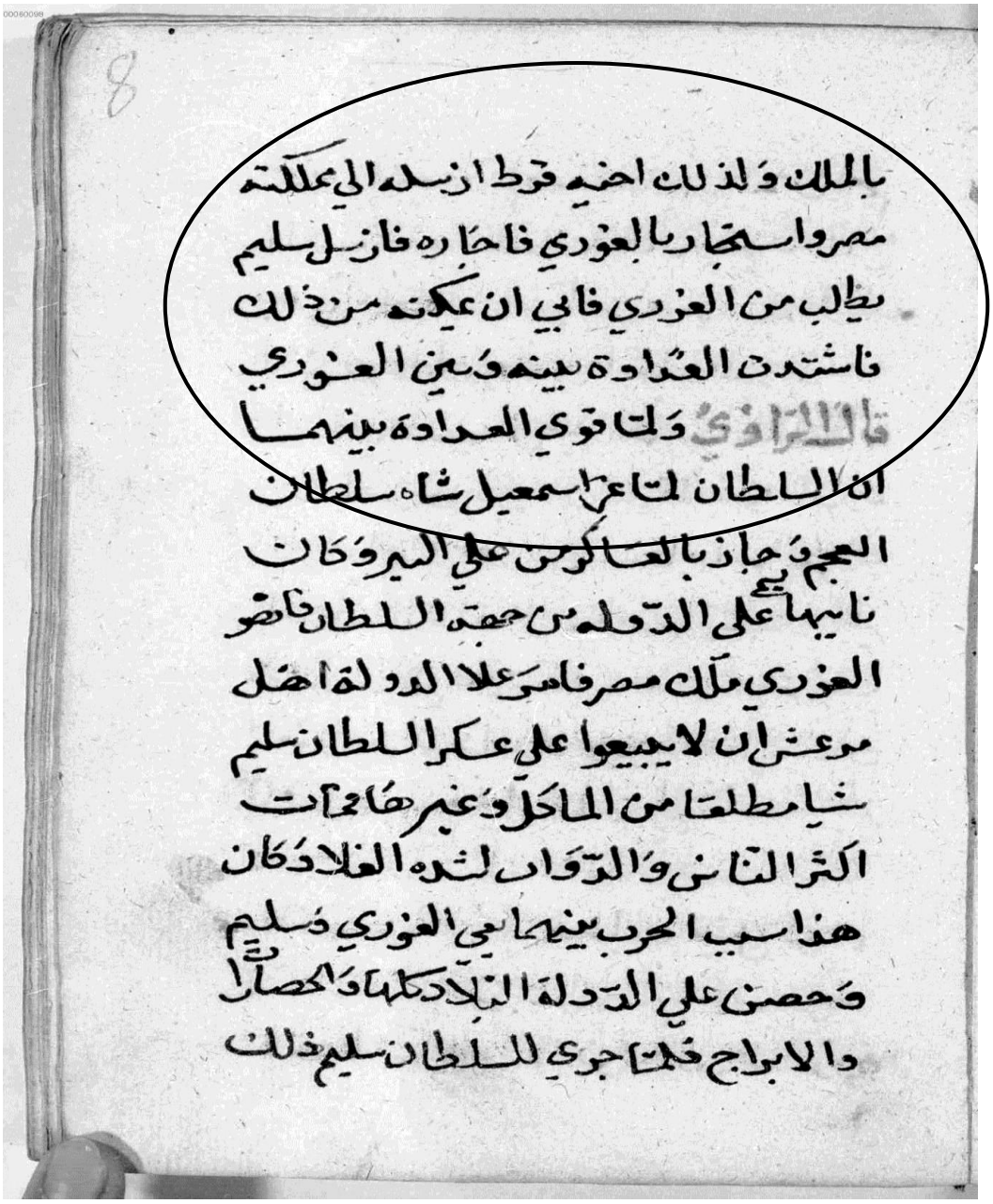

بالملك ولذلك اخيه قرط ازبك الى مملكته
مصر واستجار بالغوري فاجاره فارسل سليم
يطلب من الغوري فابي ان يمكنه من ذلك
فاشتدت العداوة بينه وبين الغوري
قال الراوي ولما قوي العداوة بينهما
ان السلطان لما عزم اسمعيل شاه سلطان
العجم وجاز بالعساكر من على البر وكان
نايبها على الدولة من جهة السلطان قانصوه
الغوري ملك مصر فاشار على الدولة اهل
مرعش ان لا يجبيوا على عسكر السلطان سليم
شيا مطلقا من الماكل وغيرها محمات
اكثر الناس والدواب لشدة الغلا وكان
هذا سبب الحرب بينهما بين الغوري وسليم
وحصن على الدولة البلاد كلها والحصار
والابراج فلما جرى للسلطان سليم ذلك

*المصدر: ابن زنبل الرمال: مصدر سابق.

الملحق رقم: 20

مقتطف من كتاب ابن زنبل الرمال. يوضح فيه أسباب انهزام المماليك

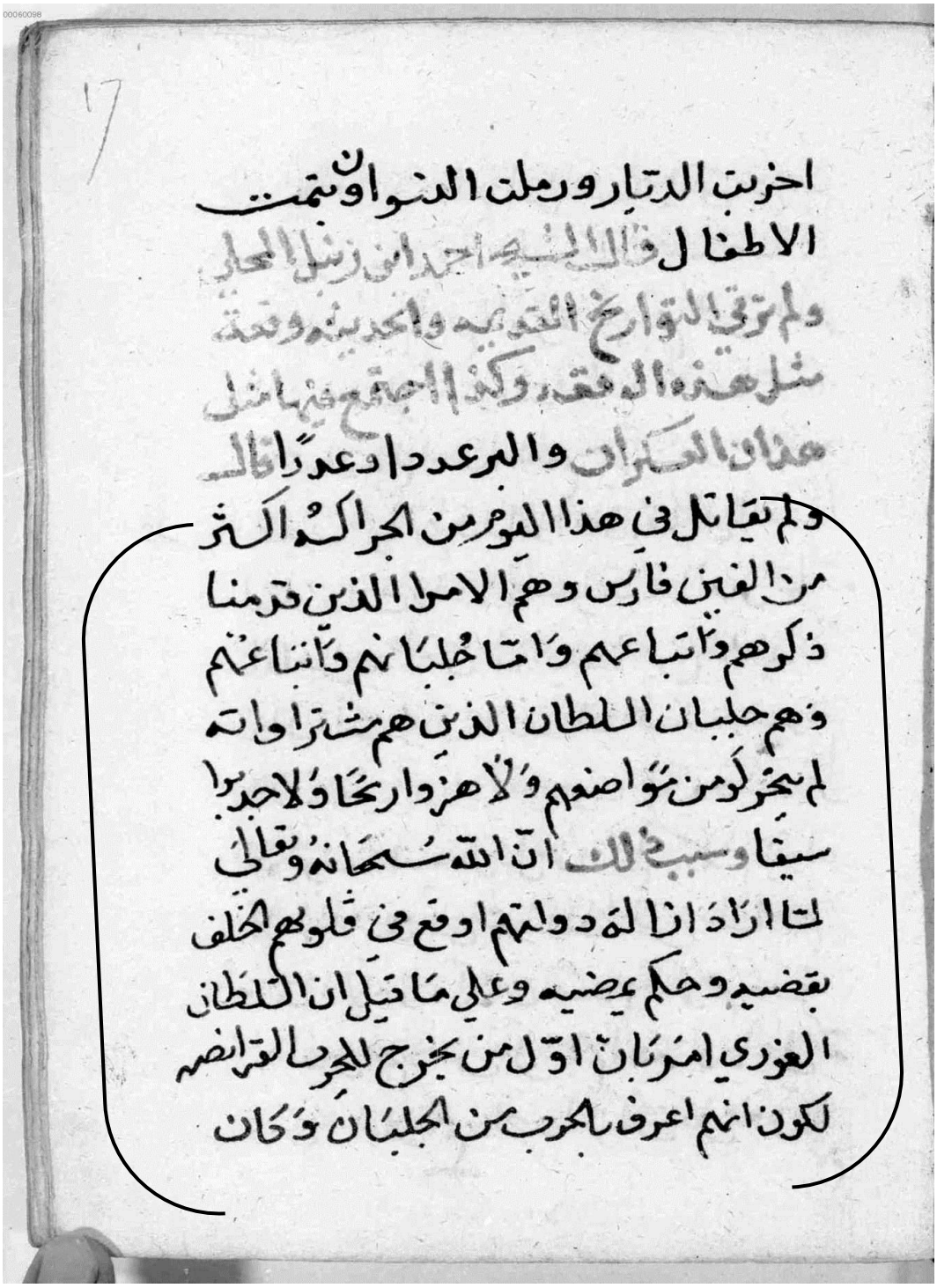

اخربت الديار وملت الدنيا وثبتت
الاطفال قال الشيخ احمد ابن زنبل المحلي
ولم ترق التواريخ القديمة والحديثة وقعة
مثل هذه الوقعة وكذا اجتمع فيها مثل
هذا العسكران والبر عدد ادعوا انه
ولم يقاتل في هذا اليوم من الجراكسة اكثر
من الفين فارس وهم الامرا الذين قدمنا
ذكرهم واتباعهم واما حلبانهم واتباعهم
وهم حلبان السلطان الذين هم مشترا واته
لم يخرج من مواضعهم ولا هزوا رمحا ولا جربوا
سيفا وسبب ذلك ان الله سبحانه وتعالى
لما اراد ازالة دولتهم اوقع في قلوبهم الخلف
بقضيه وحكم بمضيه وعلى ما قيل ان السلطان
الغوري امر بان اول من يخرج للحرب القرانصه
لكون انهم اعرف بالحرب من الحلبان وكان

*المصدر: ابن زنبل الرمال: مصدر سابق.

الملحق رقم: 21

تابع في ذكر كيف تراجع المماليك في معركة مرج دابق حسب رواية ابن زنبل والتي تنطبق مع رواية ابن إياس.

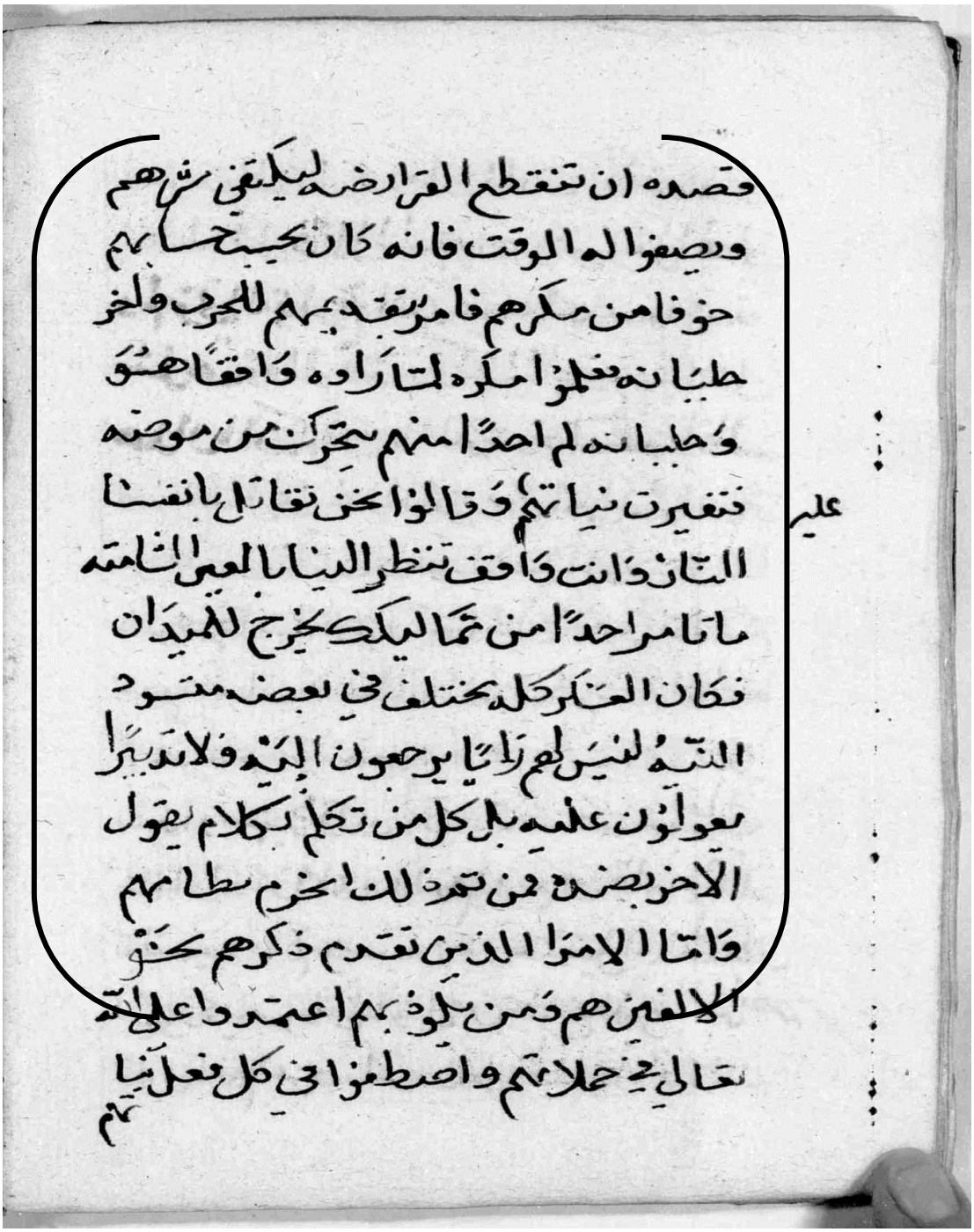

قصده ان تنقطع الفرادضه ليكفي شرهم
ويصفوا له الوقت فانه كان يحسب حسابهم
خوفا من مكرهم فامر بتقديمهم للحرب واخر
طبانه فعلموا مكره لما اراده وافقاهو
وطبانه لم احدا منهم يتحرك من موضعه
فتغيرت نياتهم وقالوا نحن نقاتل بانفسنا
النار وانت واقف تنظر الينا بالعين الشامته
ما تامر احدا من ثمالیك يخرج للميدان
فكان العسكر كله يختلف في بعضه مقصود
النية لنيس لهم رايا يرجعون اليه ولا تدبيرا
يعولون عليه بل كل من تكلم بكلام يقول
الاخر بضده فمن ثمة ذلك انحرم سلطانهم
واما الامرا الذين تقدم ذكرهم نحو
الالفين هم ومن يلوذ بهم اعتمد واعلى الله
تعالى في خلاصهم واصطفوا في كل فعل نيا
تهم

*المصدر: ابن زنبل الرمال: مصدر سابق.

الملحق رقم: 22

مقتطف من مخطوط إبن زنبل الرّمال يذكر فيه كيفية إخفاء جثة الغوري خشية وقوعها في أيدي العثمانيين. يختلف في ذلك مع ابن إياس.

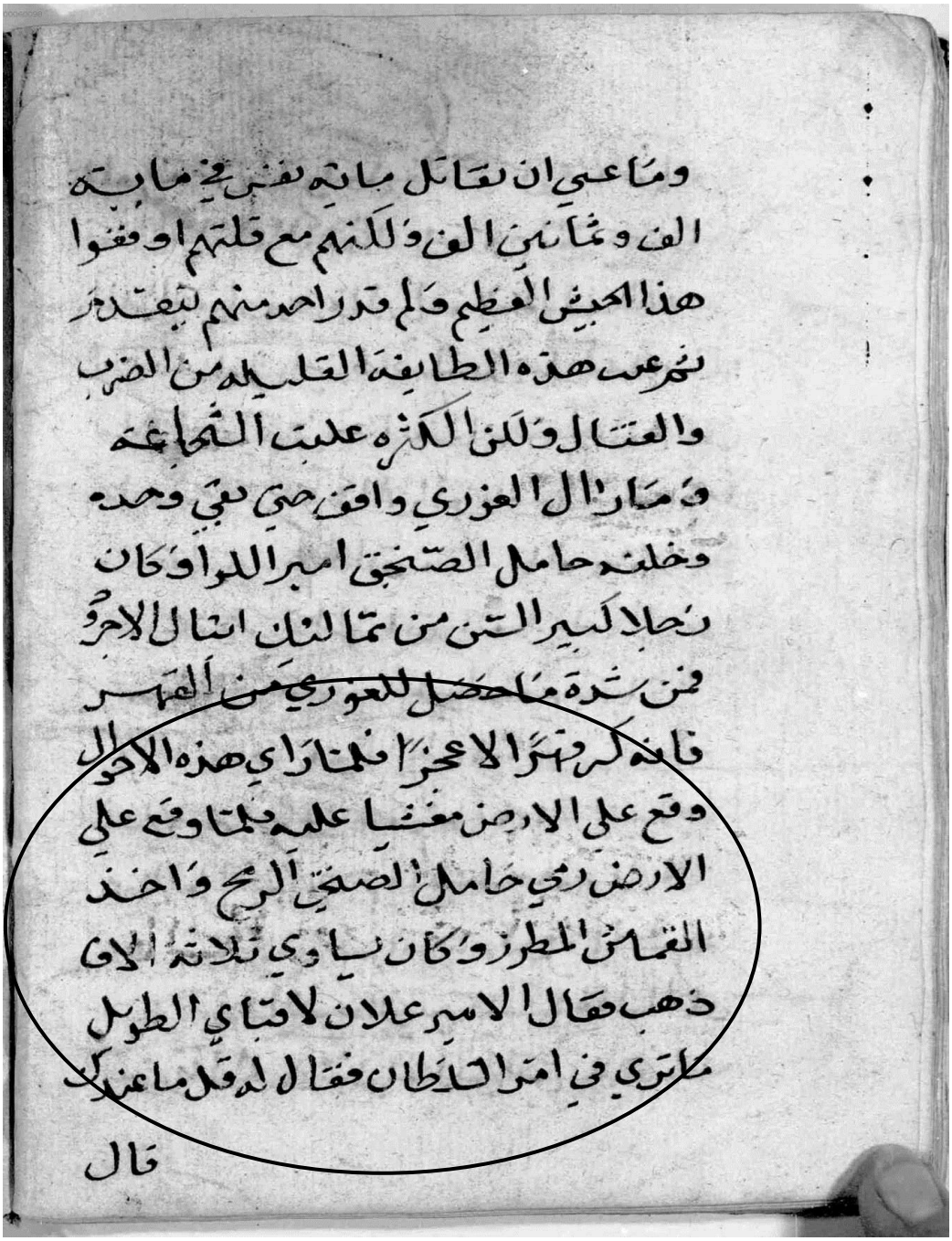

وما عسى ان تقاتل مائة نفس في مائة
الف وثمانين الف ولكنهم مع قلتهم اوقفوا
هذا الجيش العظيم ولم تقدر احد منهم ليتقدم
ثم عدت هذه الطائفة القليلة من الضرب
والقتال ولكن الكثرة غلبت الشجاعة
وما زال الغوري واقف حتى بقي وحده
وخلفه حامل الصنجق امير اللواء وكان
رجلا كبير السن من تمالك انثال الاجر
فمن شدة ما حصل للغوري من القهر
فانه كر قهرا الاعجز فلما راى هذه الاحوال
وقع على الارض مغشيا عليه فلما وقع على
الارض رمى حامل الصنجق الرمح واخذ
القماش المطرز وكان نيفا وثلاثة الاف
ذهب فقال الامير علان لاقباي الطويل
ما ترى في امر السلطان فقال له قل ما عندك
قال

* مصدر سابق.

الملحق رقم: 23

تابع مقتطف من مخطوط إبن زنبل الرمال يذكر فيه كيفية إخفاء جثة الغوري خشية وقوعها في أيدي العثمانيين. يختلف في ذلك مع ابن إياس.

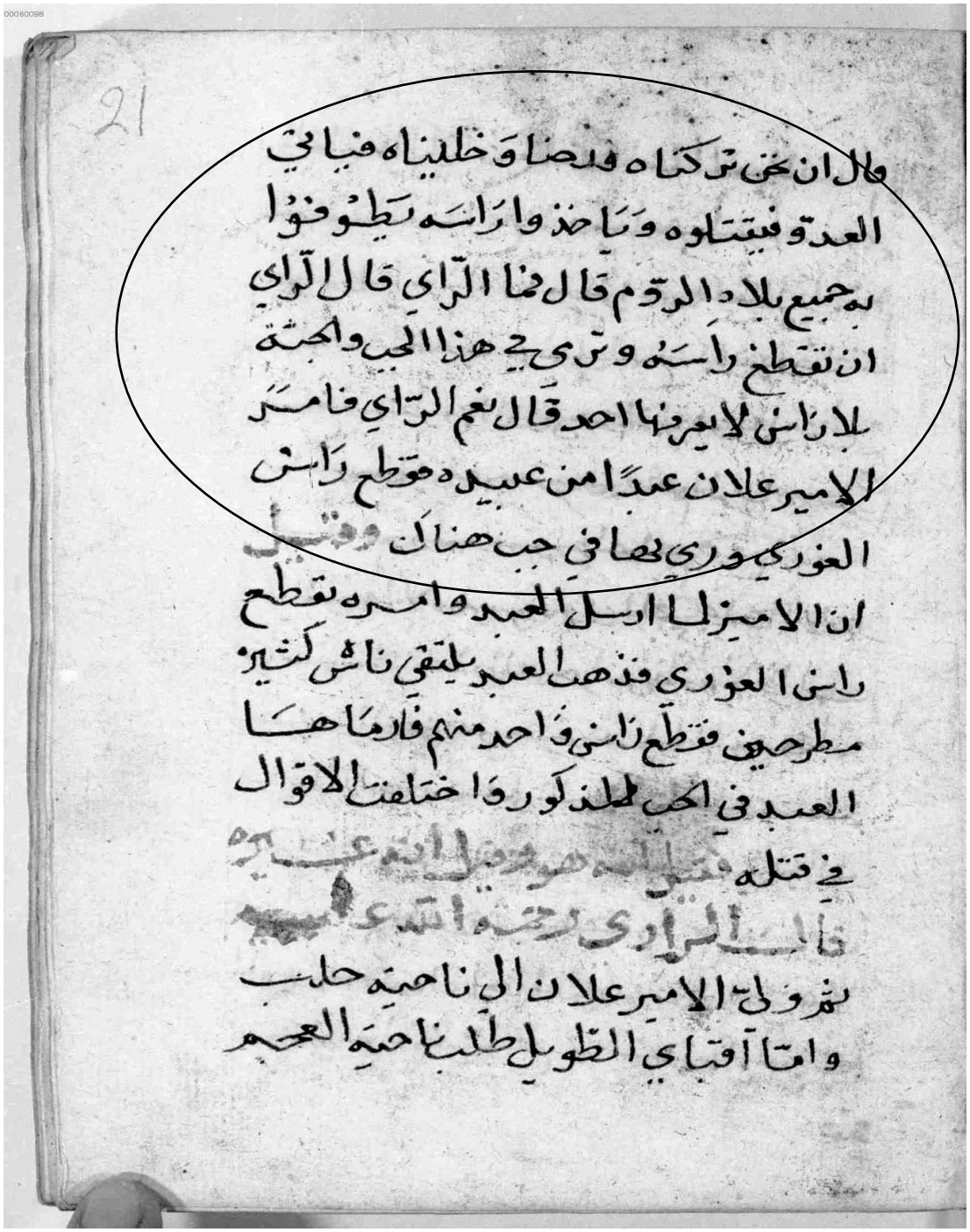

21

قال ان نحن تركناه فدضا وخلينا ه فيأتي
العدو فيقتلوه ويأخذوا راسه يطوفوا
به جميع بلاد الروم قال فما الراي قال الراي
ان نقطع راسه ونرمي به هذا الجب والجثة
بلا راس لا يعرفها احد قال نعم الراي فامر
الامير علان عبدا من عبيده فقطع راس
الغوري ورمى بها في جب هناك وقيل
ان الامير لما ارسل العبد وامره بقطع
راس الغوري فذهب العبد يلتقي ناس كثيرة
مطرحين فقطع راس واحد منهم فارماها
العبد في الجب المذكور واختلفت الاقوال
في قتله فقيل انه هو وقيل انه غيره
قال الزاوي رحمه الله تعالى
ثم ولى الامير علان الى ناحية حلب
واما آقباي الطويل طلب ناحية العجم

*مصدر سابق.

الملحق رقم: 24

بيانات وجزء من المخطوطة المنتسب لابن زنبل الرمال.

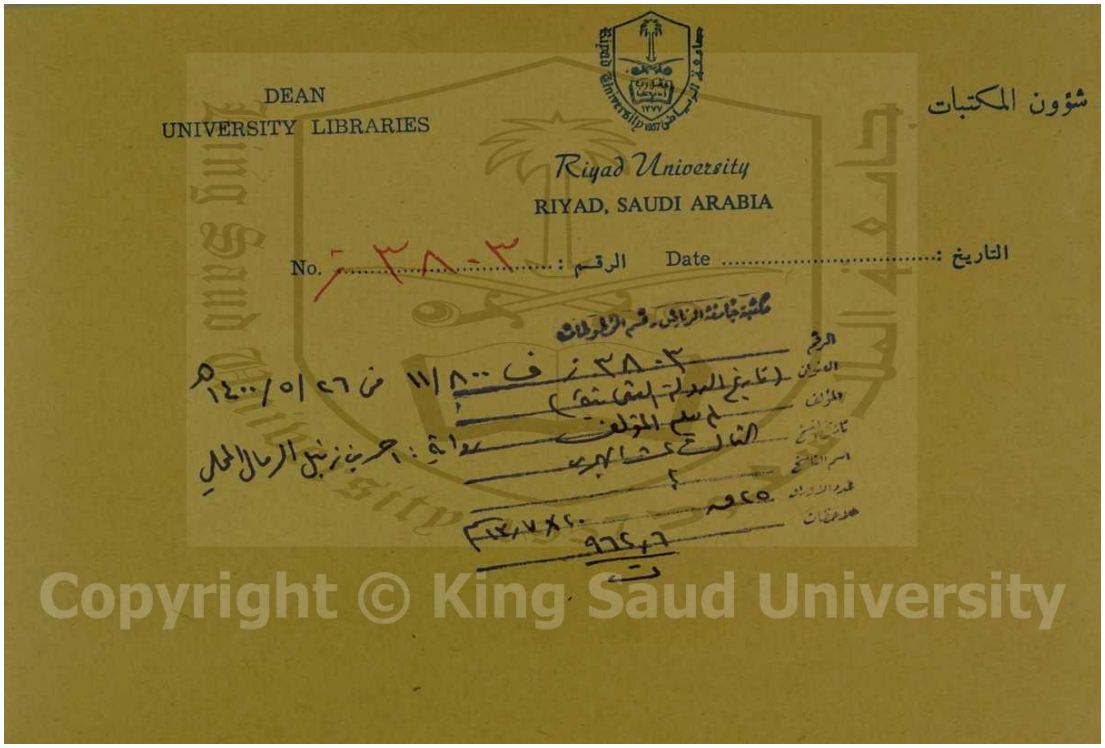

***المصدر: جامعة الملك سعود. الرياض. قسم المخطوطات.**

التاريخ 2014/06/20 الساعة 10. 30

الملحق رقم: 25

مقتطف من المخطوط المنتسب لابن زنبل الرمال. يوضح فيه انتقام أهل حلب من المماليك وقتلهم وسلب ودائعهم. وهو يتفق مع وصف ابن إياس لهذه الواقعة. كما يوضح خيانة خاير بك.

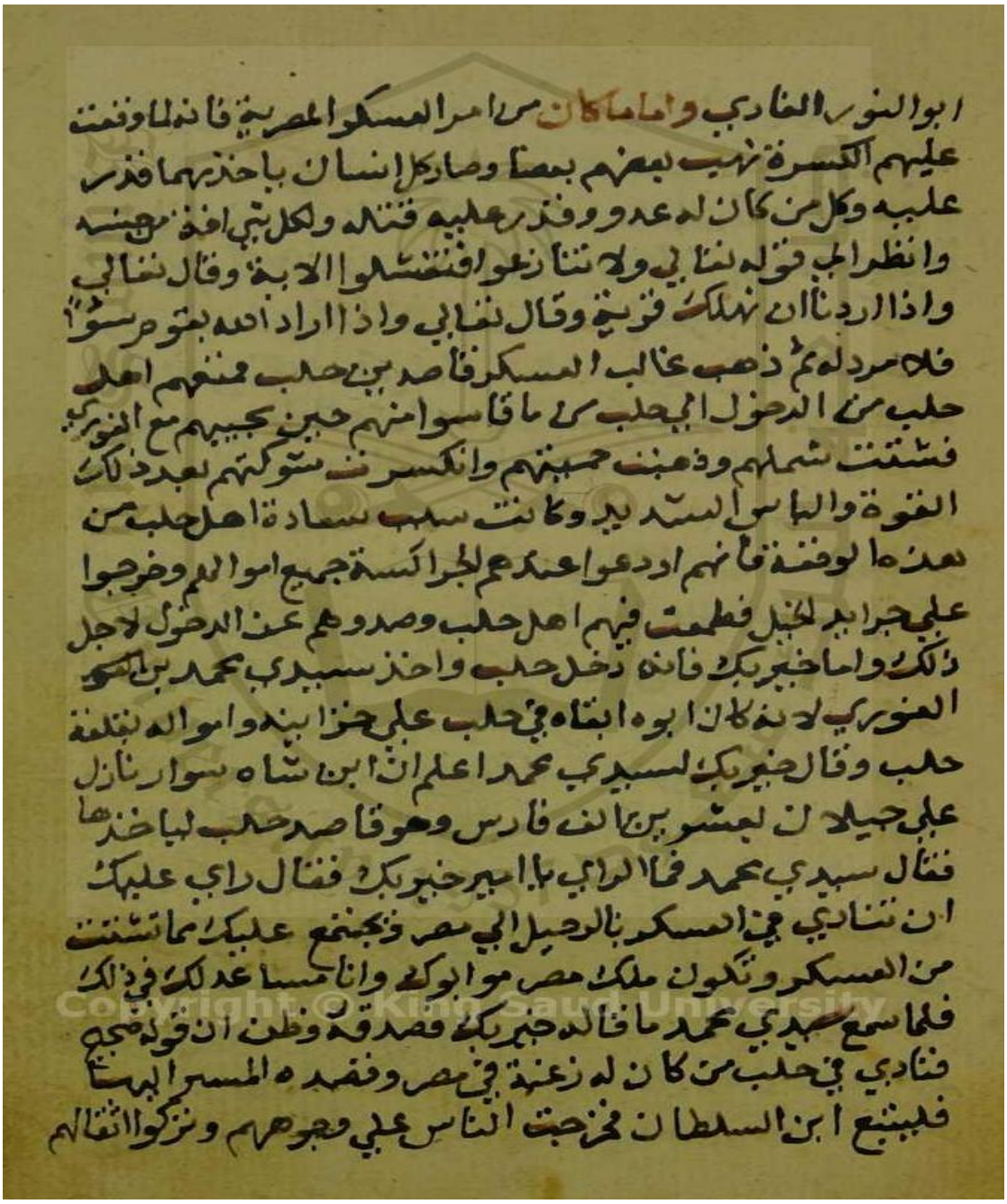

ابو النور الغادي واما ما كان من امر العسكر المصرية فانه لما وقفت
عليهم الكسرة نهب بعضهم بعضا وصار كل انسان باخذ ما قدر
عليه وكل من كان له عدو وقدر عليه قتله ولكل بني اخذ من جنسه
وانظر الى قوله لنا بي ولا تنا زعوا فتفشلوا الاية وقال تعالى
واذا اردنا ان نهلك قرية وقال تعالى واذا اراد الله بقوم سوء
فلا مرد له ثم ذهب غالب العسكر فاصدين حلب فمنعهم اهل
حلب من الدخول الى حلب فما سواهم حين مجيئهم مع الغوري
فشتت شملهم وذهبت حميتهم وانكسرت شوكتهم بعد ذلك
القوة والباس الشديد وكانت سبب سعادة اهل حلب من
بعد ما لوقفة فانهم ادعوا عند عم الجراكسة جميع اموالهم وخرجوا
على جرايد الخيل فظلمت فيهم اهل حلب وصدوهم عن الدخول لاجل
ذلك واما خبر بك فانه دخل حلب واخذ سيدي محمد بن الغوري
الغوري لانه كان ابوه ابتاه في حلب على خزابنده وامواله بقلعة
حلب وقال خبر بك لسيدي محمد اعلم ان ابن شاه سوار نازل
على جيلان لبشير بن اتف فارس وهو قاصد حلب لياخذها
فقال سيدي محمد فما الراي يا امير خبر بك فقال راي عليك
ان تنادي في العسكر بالرحيل الى مصر وتجتمع عليك ما تشتت
من العسكر وتكون ملك مصر موابوك وانا مساعدك في ذلك
فلما سمع سيدي محمد ما قاله خبر بك صدقه وظن ان قوله صحيح
فنادي في حلب من كان له زعنة في مصر وقصده المسير اليها
فليتبع ابن السلطان فخرجت الناس على وجوههم وتركوا اثقالهم

Copyright © King Saud University

*المصدر: جامعة الملك سعود. الرياض. قسم المخطوطات.

الملحق رقم: 26

مقتطف من المخطوطة المنتسبة لابن زنبل الرمّال يوضح فيها مراسلة سليم الثالث لطومان باي. يطلب فيها منه أن يكون نائبه بمصر وضرب السكة والخطبة باسمه.

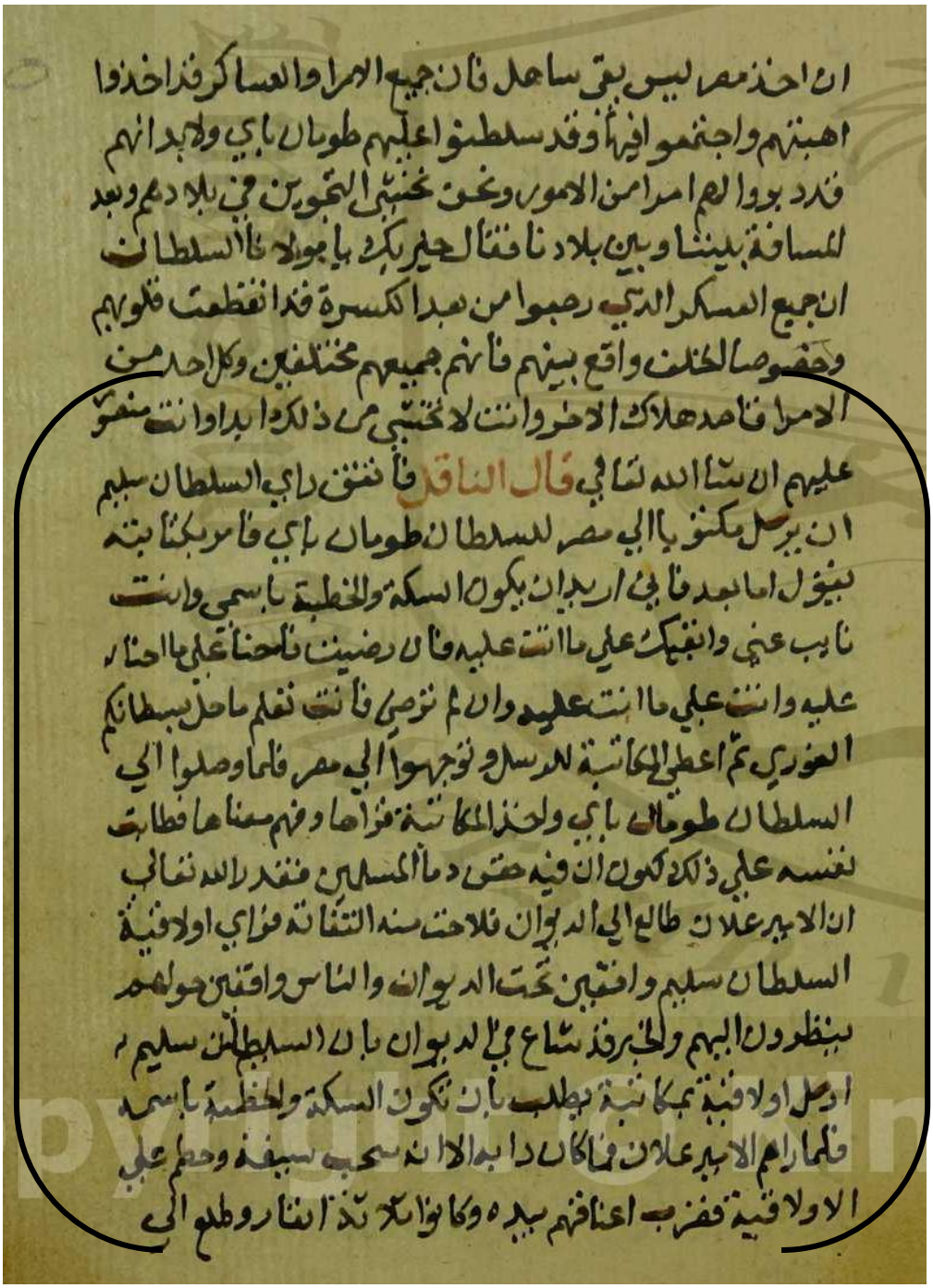

ان احذ مصر ليس بقي ساعد فان جميع الامرا والعساكر قد اخذوا
اهبتهم واجتمعوا فيها وقد سلطنوا عليهم طومان باي ولابد انهم
قد بروا لهم امرا من الامور وخوف تختبي التجوين في بلادهم وبعد
المسافة بيننا وبين بلادنا فقال خير بكره يا مولانا السلطان
ان جميع العسكر الذي رحبوا من بعدا لكسرة قد انقطعت قلوبهم
وخصوصا الخلف واقع بينهم فانهم جميعهم مختلفين وكل احد من
الامرا قاصد هلاك الاخر وانت لا تختبي من ذلك ابدا وانت منصور
عليهم ان شاء الله تعالى قال الناقل فاتفق راي السلطان سليم
ان يرسل مكتوبا الى مصر للسلطان طومان باي فامر بكتابته
يقول اما بعد فاني اريد ان يكون السكة والخطبة باسمي وانت
نايب عني وانفيك على ما انت عليه فان رضيت فانا على ما انا
عليه وانت على ما انت عليه وان لم ترضى فانت تعلم ما حل بسلطانكم
الغوري ثم اعطى المكاتبة للرسل وتوجهوا الى مصر فلما وصلوا الى
السلطان طومان باي واخذ المكاتبة قراها وفهم معناها فطابت
نفسه على ذلك لكون ان فيه حقن دما المسلمين فقدر الله تعالى
ان الامير علان طالع الى الديوان فلاحت منه التفاتة فراي اولاقية
السلطان سليم واقفين تحت الديوان والناس واقفين حولهم
ينظرون اليهم والخبر قد شاع في الديوان بان السلطان سليم
ارسل اولاقية بمكاتبة يطلب بان تكون السكة والخطبة باسمه
فلما راهم الامير علان فانه كان دايما لا ينسحب سيفه وحمل على
الاولاقية فضرب اعناقهم بيده وكانوا كذا انفار وطلع الى

*المصدر السابق.

الملحق رقم: 27

مقتطف من مخطوطة ابن زنبل الرمال. يوضح فيها تواطؤ جنبردي الغزالي مع خاير بك.

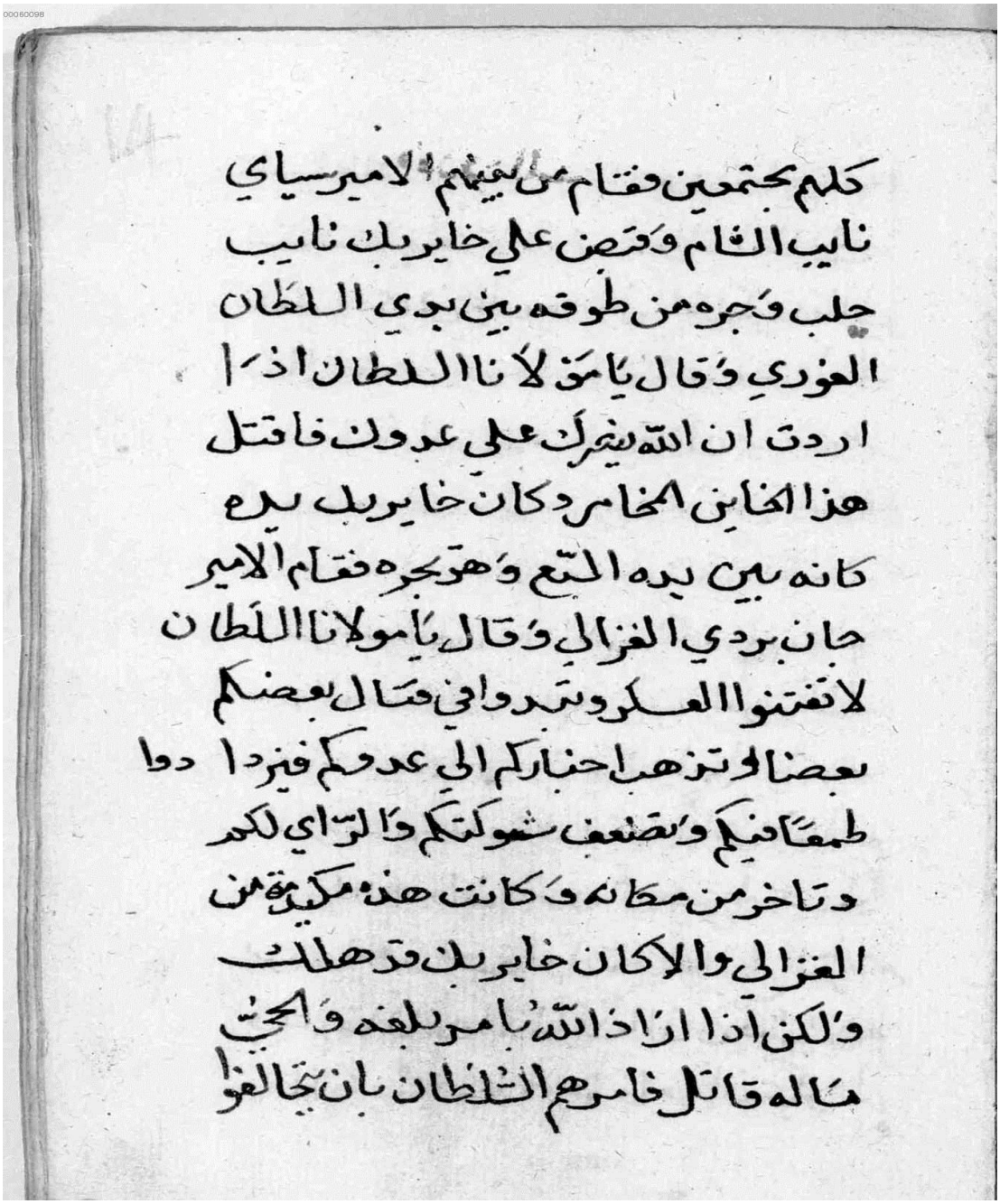

كلم بجتمعين فقام من بينهم الامير سباي
نايب الشام وقبض على خايربك نايب
حلب وجره من طوقه بين يدي السلطان
الغوري وقال يا مولانا السلطان اذا
اردت ان الله ينصرك على عدوك فاقتل
هذا الخاين الخامر وكان خايربك بيده
كانه بين يده التمغ وهو يجره فقام الامير
جان بردي الغزالي وقال يا مولانا السلطان
لا تفتنوا العسكر وتبددوا في قتال بعضكم
بعضا وتذهب احنا كم الى عدوكم فيزدا دوا
طمعا فيكم وتضعف شوكتكم والراي لكم
وتاخر من مكانه وكانت هذه مكيدة من
الغزالي والا كان خايربك قد هلك
ولكن اذا اراد الله بامر بلغه والحيث
ما له قائل فامرهم السلطان بان يجا لغوا

**المصدر: ميونيخ COD. arab. 411 BSB) مركز ودود للمخطوطات ..wadod. org

الملحق رقم: 28

مقتطف من مخطوطة ابن زنبل الرمال يوضح فيها تراجع خاير بك وبداية الخيانة.

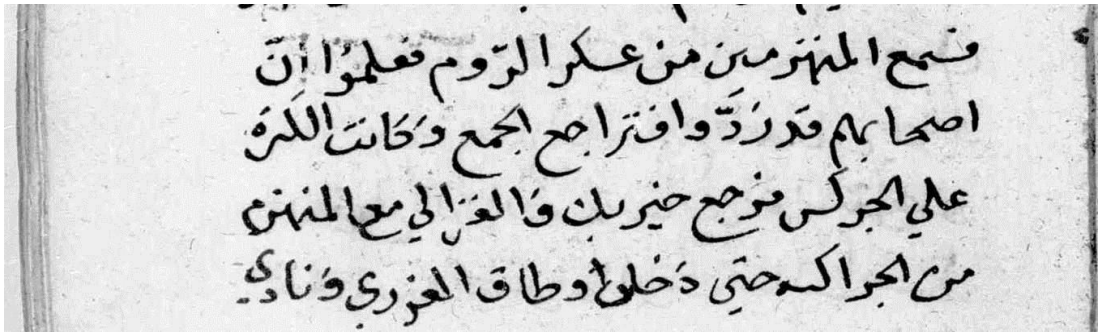

سمع المنهزمين من عسكر الروم فعلموا ان
اصحابهم قد ردّوا وافتراجع الجمع وكانت الكرة
على الجركس فرجع خير بك والغزالي مع المنهزمين
من الجراكسة حتى دخلوا وطاق الغوري وناديا

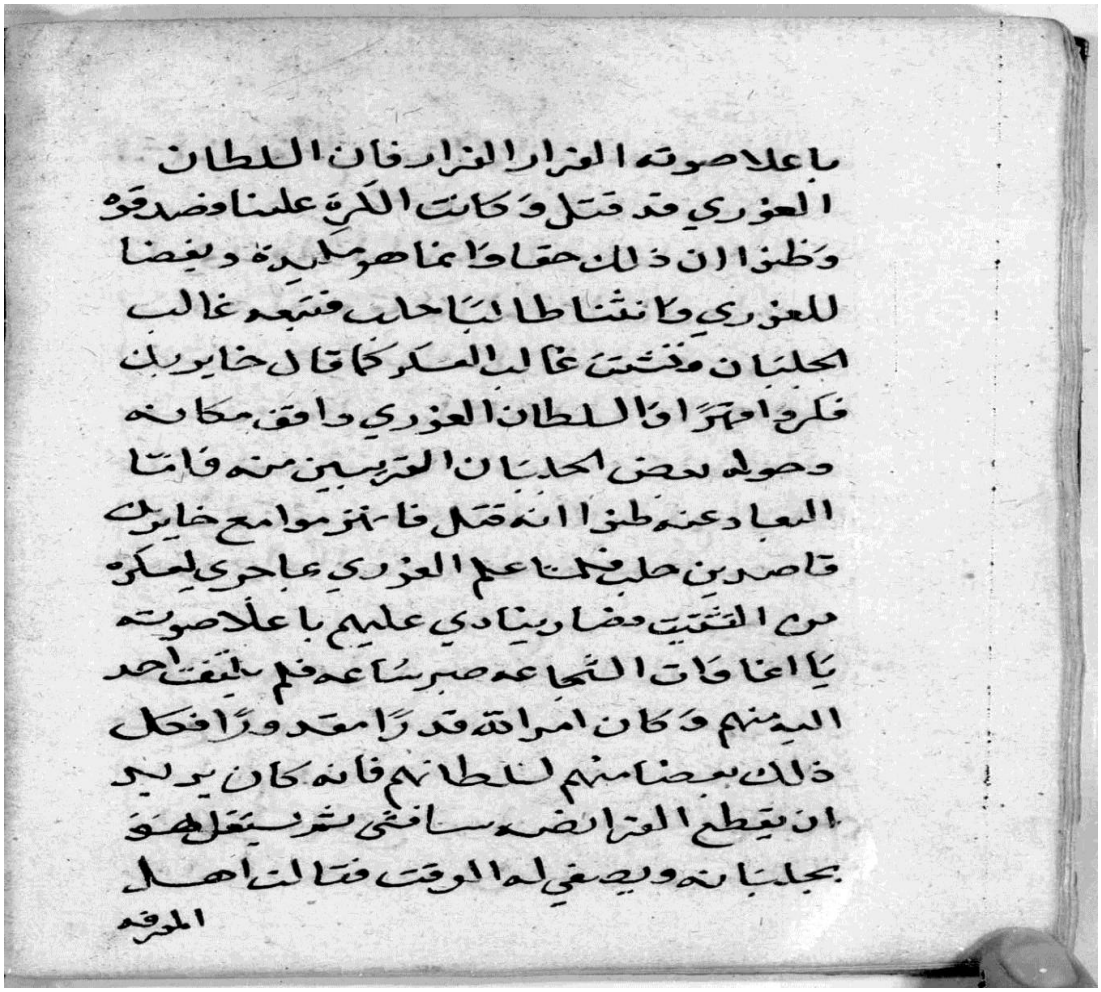

باعلا صوته الفرار الفرار فان السلطان
الغوري قد قتل وكانت الكرة علينا فصدقوه
وظنوا ان ذلك حقا وانما هو مكيدة وبغضا
للغوري وانشاطا لنا حلب فتبعه غالب
الجليان ومشت غالب العسكر كما قال خاير بك
فكر امرا والسلطان الغوري واقف مكانه
وحوله بعض الجليان القريبين منه فاما
البعاد عنه ظنوا انه قتل فانهزموا مع خاير بك
قاصدين حلب فلما علم الغوري عا جرى لعسكره
من التشتيت مضا وينادي عليهم باعلا صوته
يا اغا فات النجاعه صبر ساعه فلم يلتفت احد
اليه منهم وكان امر الله قدرا مقدورا فحمل
ذلك بعضا منهم لسلطانهم فانه كان يريد
ان يقطع الغزا نضه سافتى ثم يستقل هو
بجلبانه ويصفي له الوقت فقالت اهل
المعرفه

*المصدر السابق.

الملحق رقم: 29

نسخة من المخطوط المنتسب لابن زنبل. يوضح فيها خيانة خاير بك وتواطئه مع سليم الثالث في الاستيلاء على حلب ومصر.

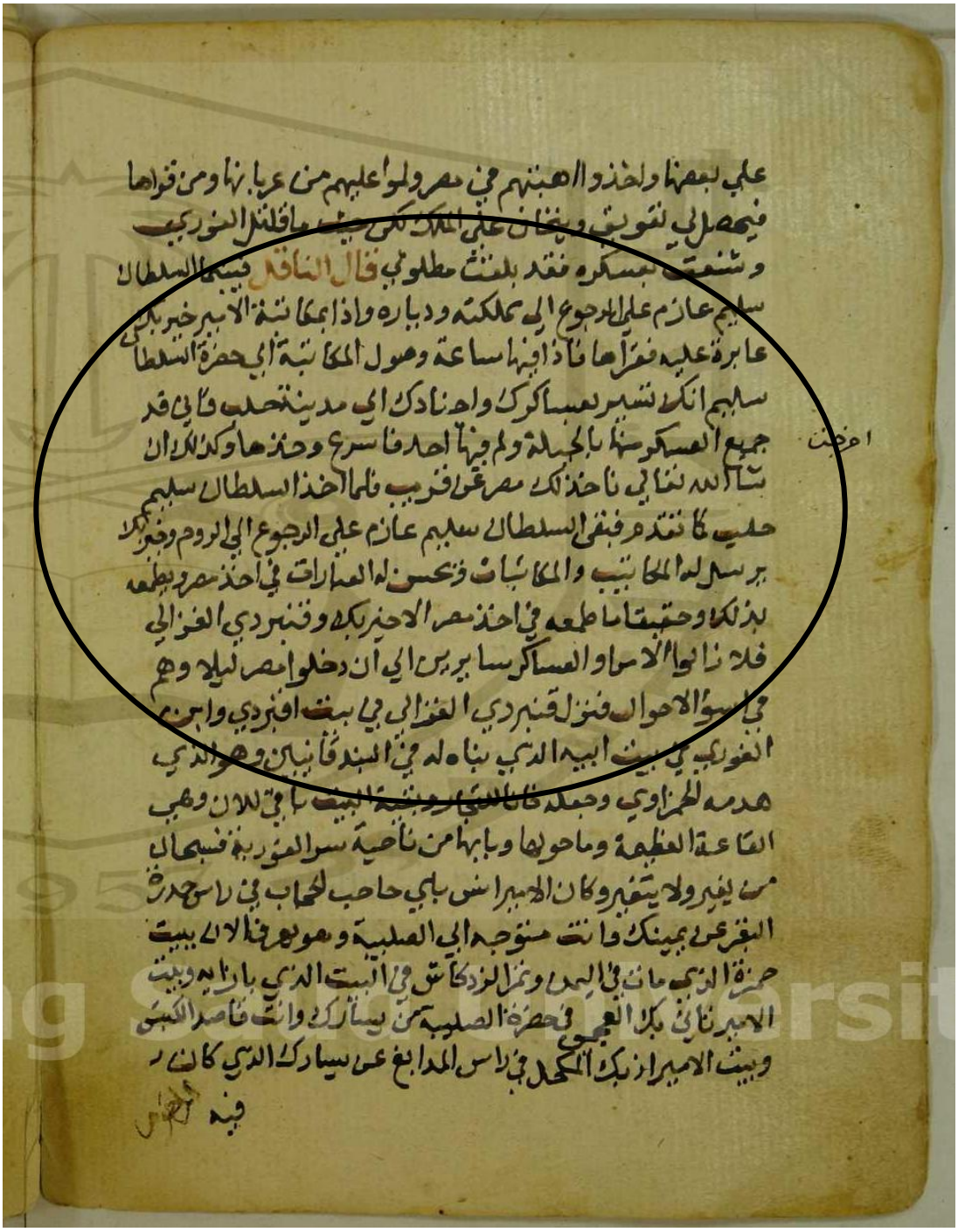

على بعضها واخذوا اهبتهم في مصر ولوا عليهم من عربانها ومن قواها
فيحصل لي تشويش وينقال على الملك كما حيث ما قلتم السوريين
وشنعت بعسكره فقد بلغني مطلوبي قال الناقل فيسمع السلطان
سليم عازم على الرجوع الى مملكته ودياره واذا بمكاتبة الامير خير بك
عابرة عليه فقراها فاذا فيها ساعة وصول المكاتبة الى حضرة السلطا
سليم انك تشير بعساكرك واجنادك الى مدينة حلب فاني قد
جمعت العسكر منها بالحيلة ولم يبق احد فاسرع وخذها وكذلك ان
شاء الله تعالى ناخذك مصر عن قريب فلما اخذ السلطان سليم
حلب كما تقدم فبقي السلطان سليم عازم على الرجوع الى الروم وغير ذلك
يرسل له المكاتيب والمكاتبات ويحسن له العبارات في اخذ مصر ويطمعه
بذلك وحقيقتا ما طمعه في اخذ مصر الا خير بك وقنبردي الغزالي
فلما نزلوا الامراء والعساكر سايرين الى ان دخلوا مصر ليلا وهم
في اسوء الاحوال فنزل قنبردي الغزالي في بيت افردي وابن
الغوري في بيت ابيه الذي بناه له في البندقانيين وهو الذي
هدمه الحمزاوي وجعله كالسبع وبقية البيت باقي للان وهي
القاعة العظيمة وما حولها وبابها من ناحية سر الغورية فسبحان
من يغير ولا يتغير وكان الامير اس باي حاجب الحجاب في راس حدرة
البقر عن يمينك وانت متوجه الى الصليبة وهو هنالك بيت
حرمة الذي مات في البر وعمر الزركاش في البيت الذي بازاءه وبيت
الامير ناني بك العجمي في حضرة الصليبة عن يسارك وانت قاصد الكبش
وبيت الامير ازبك المحمدي في راس المدابغ عن يسارك الذي كان
فيه

*المصدر: جامعة الملك سعود. الرياض. قسم المخطوطات. مصدر سابق

الملحق رقم: 30

من المخطوطة المنتسبة لابن زنبل الرمّال يوضح فيها خيانة خاير بك وتواطئه مع سليم الثالث.

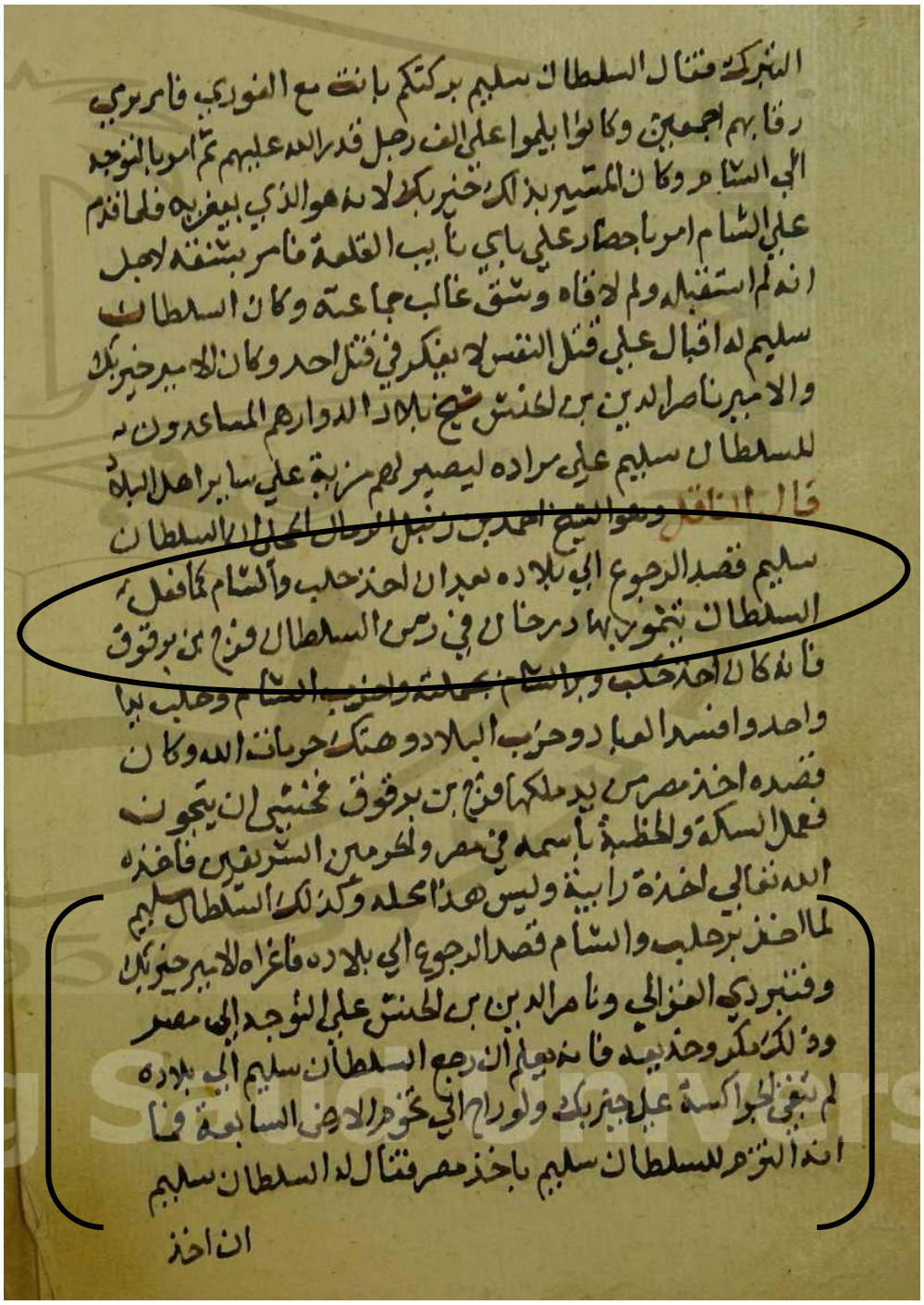

البركة فقال السلطان سليم بركتكم بانت مع المؤيد فامر بري
رقابهم اجمعين وكانوا يلمون على الف رجل قدر الله عليهم ثم امر بالتوجه
الى الشام وكان المشير بذلك خير بك لانه هو الذي يغريه فلما قدم
على الشام امر بحصار على باي نايب القلعة فامر بشنقه لاجل
انه لم استقباله ولم لاقاه وشق غالب جماعته وكان السلطان
سليم له اقبال على قتل النفس لا يفكر في قتل احد وكان الامير خير بك
والامير ناصر الدين بن الحنش شيخ بلاد الدوارم المساعدون له
للسلطان سليم على مراده ليصير لهم مزية على سايراهل البلاد
قال الناقل وهو الشيخ احمد بن زنبل الرمال لما حل السلطان
سليم قصد الرجوع الى بلاده بعد ان اخذ حلب والشام كما فعل
السلطان يشمورد بها درخان في رمس السلطان قنصوه بن برقوق
فانه كان اخذ حلب والشام بحملة واخرب الشام وحلب بيا
واحد وافسد العباد وخرب البلاد وهتك حريات الله وكان
قصده اخذ مصر من يد ملكها قنصوه بن برقوق فخشي ان يتحون
فعمل السكة والخطبة باسمه في مصر ولكون السر بقين فاخذه
الله تعالى اخذة رابية وليس هذا محله وكذلك السلطان سليم
لما اخذ بر حلب والشام قصد الرجوع الى بلاده فاغراه الامير خير بك
وقنبردي الغزالي وناصر الدين بن الحنش على التوجه الى مصر
وذلك بمكر وخديعة فانه يعلم ان رجع السلطان سليم الى بلاده
لم يبقى لخوا كسة على خير بك ولو راح الى تحوم الاوض السابعة فما
انه التوم للسلطان سليم باخذ مصر فقال له السلطان سليم
ان اخذ

*المصدر السابق.

الملحق رقم: 31

مقتطف من المخطوط المحقق لابن زنبل الشيخ أحمد الرمّال: آخرة المماليك.

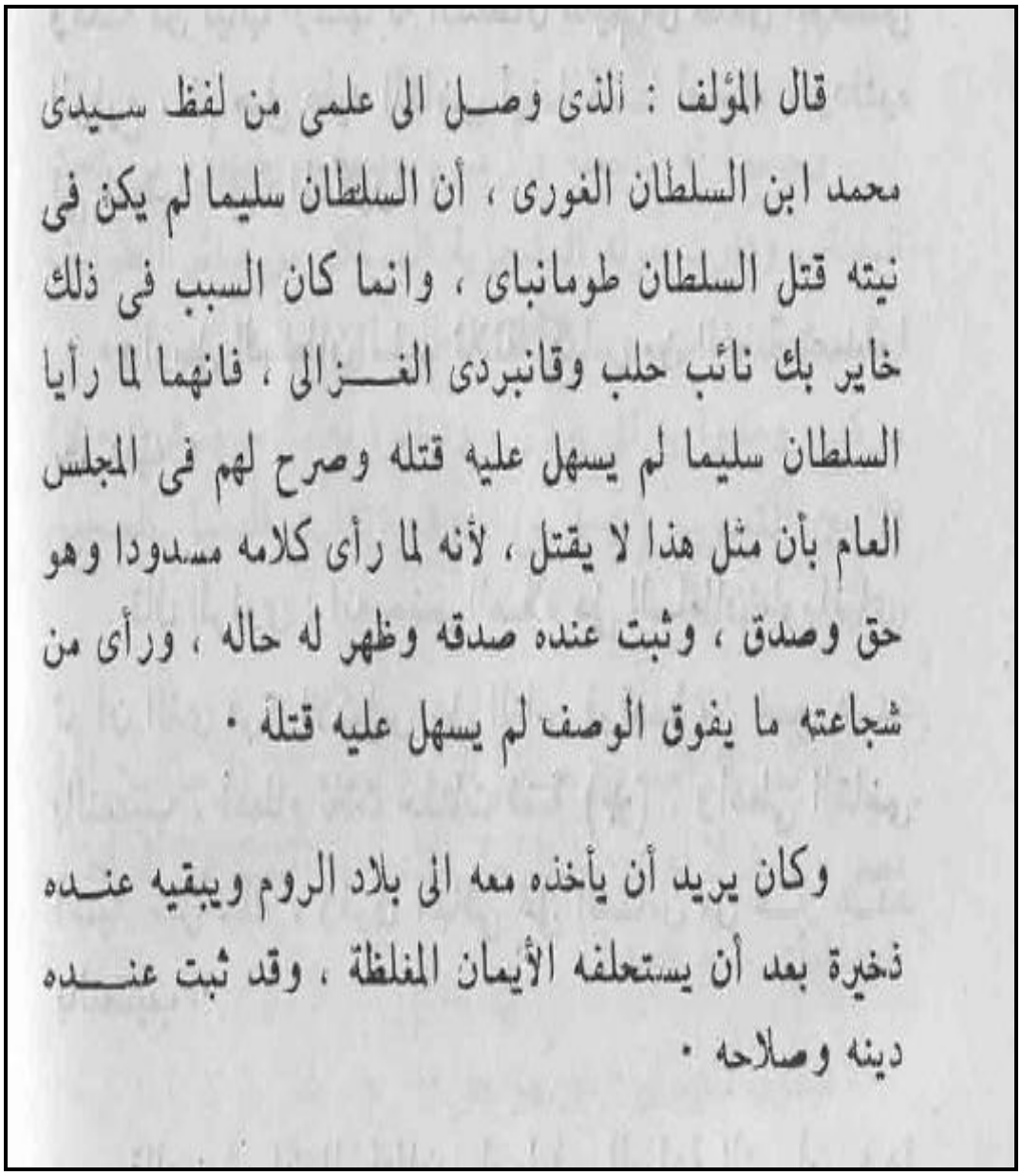

قال المؤلف : الذى وصل الى علمى من لفظ سيدى محمد ابن السلطان الغورى ، أن السلطان سليما لم يكن فى نيته قتل السلطان طومانباى ، وانما كان السبب فى ذلك خاير بك نائب حلب وقانبردى الغزالى ، فانهما لما رأيا السلطان سليما لم يسهل عليه قتله وصرح لهم فى المجلس العام بأن مثل هذا لا يقتل ، لأنه لما رأى كلامه مسدودا وهو حق وصدق ، وثبت عنده صدقه وظهر له حاله ، ورأى من شجاعته ما يفوق الوصف لم يسهل عليه قتله .

وكان يريد أن يأخذه معه الى بلاد الروم ويبقيه عنده ذخيرة بعد أن يستحلفه الأيمان المغلظة ، وقد ثبت عنده دينه وصلاحه .

ابن زنبل الشيخ أحمد الرمّال: آخرة المماليك. تحقيق عبد المنعم عامر. الطبعة الثانية. الهيئة المصرية العامّة للكتاب. 1998. ص254.

الملحق رقم: 32

مقتطف من المخطوط المحقق لابن زنبل الشيخ أحمد الرمّال: آخرة المماليك.

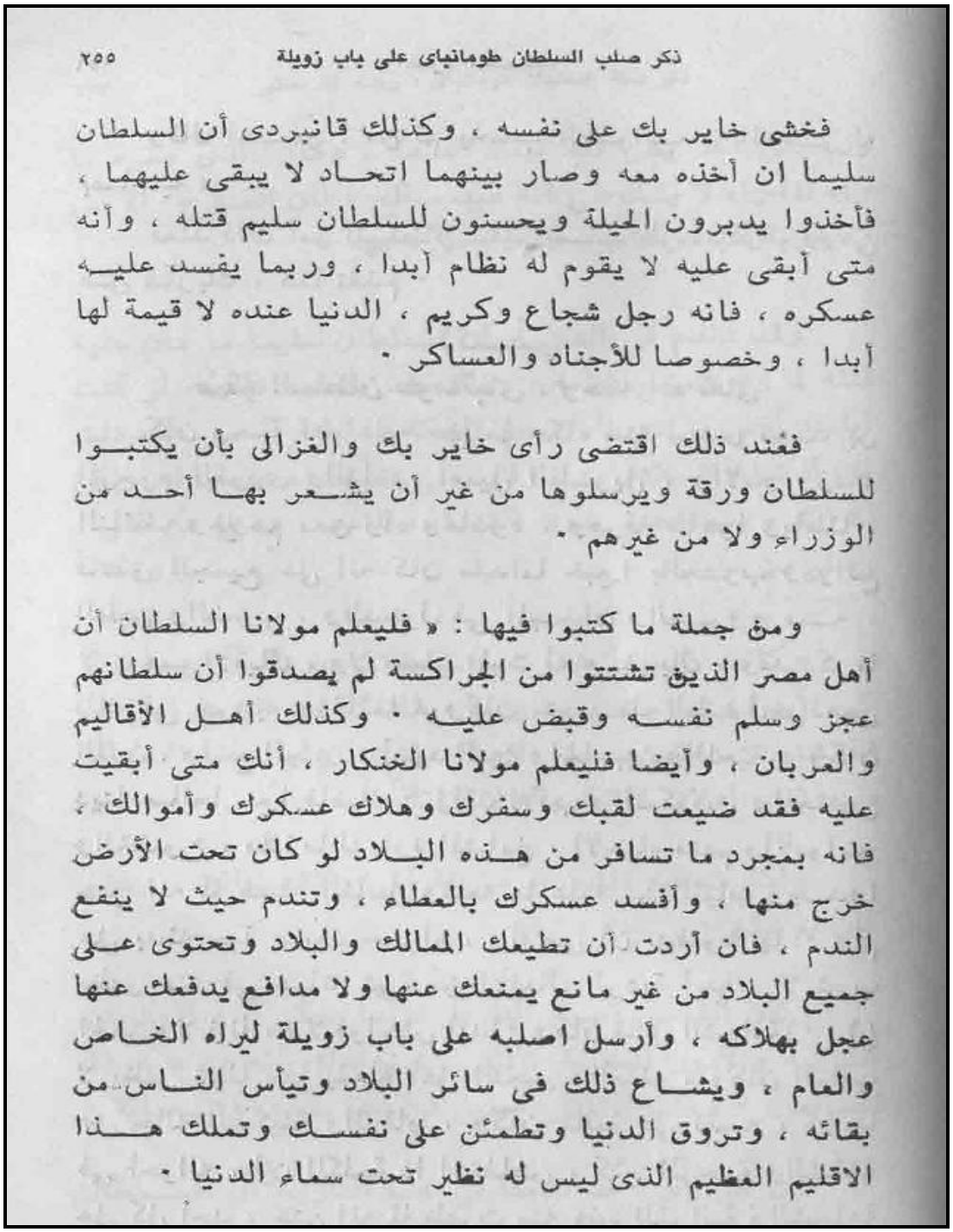

٢٥٥ ذكر صلب السلطان طومانباى على باب زويلة

فخشى خاير بك على نفسه ، وكذلك قانبردى أن السلطان سليما ان أخذه معه وصار بينهما اتحاد لا يبقى عليهما ، فأخذوا يدبرون الحيلة ويحسنون للسلطان سليم قتله ، وأنه متى أبقى عليه لا يقوم له نظام أبدا ، وربما يفسد عليه عسكره ، فانه رجل شجاع وكريم ، الدنيا عنده لا قيمة لها أبدا ، وخصوصا للأجناد والعساكر ٠

فعند ذلك اقتضى رأى خاير بك والغزالى بأن يكتبوا للسلطان ورقة ويرسلوها من غير أن يشعر بها أحد من الوزراء ولا من غيرهم ٠

ومن جملة ما كتبوا فيها : « فليعلم مولانا السلطان أن أهل مصر الذين تشتتوا من الجراكسة لم يصدقوا أن سلطانهم عجز وسلم نفسه وقبض عليه ٠ وكذلك أهل الأقاليم والعربان ، وأيضا فليعلم مولانا الخنكار ، أنك متى أبقيت عليه فقد ضيعت لقبك وسفرك وهلاك عسكرك وأموالك ، فانه بمجرد ما تسافر من هذه البلاد لو كان تحت الأرض خرج منها ، وأفسد عسكرك بالعطاء ، وتندم حيث لا ينفع الندم ، فان أردت أن تطيعك الممالك والبلاد وتحتوى على جميع البلاد من غير مانع يمنعك عنها ولا مدافع يدفعك عنها عجل بهلاكه ، وأرسل اصلبه على باب زويلة ليراه الخاص والعام ، ويشاع ذلك فى سائر البلاد وتيأس الناس من بقائه ، وتروق الدنيا وتطمئن على نفسك وتملك هذا الاقليم العظيم الذى ليس له نظير تحت سماء الدنيا ٠

*** ابن زنبل الشيخ أحمد الرمّال: المرجع السابق. ص255.**

الملحق رقم: 33

مرثية ابن إياس عن مصر وسقوط دولة المماليك.

صنعة التوقيع ، حسن العبارة ، وكان مجلسه بخط جامع ابن طولون ، وعاش من العمر ما قارب السبعين سنة ، وكان حسن الهيئة . ـ ذكر مرثيّة تتضمّن ما وقع من الحوادث بالديار المصرية :

نوحوا على مصر لأمر قد جرى ... من حادث عمّت مصيبته الورى
زالت عساكرها من الأتراك فى ... غمض العيون كأنها سنة الكرى
وأتى إليها عسكر سياهم ... حلق الذقون ولبس طرطور يُرى
لا يُعرف الأستاذ من غلمانه ... وأميرهم بين الأنام تحقّرا
جلّ الإله مصدّقا عمّا حكى ... فى سورة الروم العظيمة أخبرا
قد أوعد الرحمن وعدا صادقا ... أن ابن عثمان يلى وكذا جرى
ولّاه ربّ العرش سلطانا على ... مصر وهذا الأمر كان مقدّرا
أين الملوك بمصر مَن طلماتها ... مثل البدور تضىء وكانت أنورا
يا لهف قلبى للمواكب كيف لم ... ناق بقلعتها الحزينة عسكرا

= وابن عثمان المظفر من ... خلقهم والنار تلتهب
كان طومان باى آخرهم ... ملكا ، أعنى الذى صلبوا
(١٠٢ب) ثم صار الملك منه له ... بعد أمر وانتهى الطلب
وعفا عن بعضهم كرما ... مذ له أرواحهم وهبوا
وغدوا من بعض عسكره ... حيث فى ديوانه كتبوا
ورأوا فيهم عوامله ... حيث منها قد خبوا وحبوا
وبغا بالصفو نحوهم ... بعد صرف درسه القضب
رفعوا من بعد خفضهم ... بحروف الجر وانتصبوا
هكذا فعل الزمان وإن ... يصف يكدر كله كرب
من يعش بالسيف مات به ... من تعالى سوف ينقلبوا
عجبوا والعجب ذوقهم ... منه ما ذاقوه مذ عجبوا
لا عجيب إن أكن لسنا ... جركس من أصلها عرب
لفظى السحر الحلال طلى ... وعليه نسبى حبب
حبذا من زانه حسب ... حبذا من زانه أدب

تمت القصيدة بعون الله تعالى ، والحمد لله وحده ، انتهى ذلك .

(٨) سورة : صورة .

*المصدر: ابن إياس. بدائع الزهور. مصدر سابق. ج05.

الملحق رقم: 34

تابع لمرثية ابن إياس عن مصر وسقوط دولة المماليك.

لهفى على ذاك النظام وحسنه ... ما كان فى الترتيب منه أفخرا
لهفى على ضرب الكراة ولعبها ... فى الحوش صارت فى الحضيض إلى ورا
٣ لهفى على النشاب والرمح الذى ... كانا مع الدبوس تكسر عنترا
لهفى على لبس الكلفتة والقبا ... كانت بها التجميل لا ذى الازدرا
لهفى على تلك التخافيف التى ... كانت على الأمراء تزهو منظرا
٦ لهفى على لبس الكواف بقندس ... بطلت وألقوا كل زمط أحمرا
لهفى على المهماز والخفّ الذى ... كانوا نهار الحرب أصون للثرى
لهفى على أعياد مصر كيف قد ... أفنت تشاريفا بها ومشمّرا
٩ وكذا الكنابيش التى قد زُخرفت ... كانت تُشدّ خيولها عند السُرى
وكذا السروج المغرقات بلمعها ... كانت كبرق أو كليل أقمرا
لهفى على الكوسات كم دُقّت على ... باب بسعد أميره قد بشّرا
١٢ لهفى على الأبواب كيف تكسّرت ... وخلت أماكنها وصاحبها سرا
لهفى على نهب القماش وبيعه ... وبأبخس الأثمان صارت تشترى
وأشيع بيع الخيمة المظلى التى ... للمولد النبوى أحسن ما يُرى
١٥ بيعت بأبخس قيمة عما حكى ... يا لهف قلبى كم يزيد تحسّرا
لهفى على شيخو وجامعه الذى ... قد كان للصلوات مجتمع الورى
(١٠٣ب) درست معالمه بحرق صار من ... بعد التزخرف والرياضة أغبرا
١٨ لهفى على سوق الصليبة كيف قد ... أخلت حوانيت به مما جرى
لهفى على فكّ الرخام ونقله ... من كل بيت كان زاه أزهرا
زالت محاسن مصر من أشياء قد ... كانت بها تزهوا على كل القرى
٢١ لهفى على الأمراء كيف تشتّتوا ... وخلت منازلهم وعادت مقفرا
لهفى على أتراك مصر إذ غدت ... مكسورة وقلوبها لن تجبرا
لهفى على الفرسان كيف تقطعت ... أعناقها بيد العدو إذ افترى

(١٣) تشترى : تشترا .

*ابن إياس: المصدر السابق.

الملحق رقم: 35

تابع لمرثية ابن إياس عن مصر وسقوط دولة المماليك.

صارت على الطرقات من أجسادهم ... رمم حكت عيد الضحايا الأكبرا
لهفى على ذاك الحريم وهتكه ... من بعد صون فى القصور مخدّرا
وتيتّمت أطفال جند قد غدت ... أجسامهم نهش الكلاب على الثرى ٣
قتلوا بأصغر بندق من شأنها ... كالسمّ تسرى فى الجسوم ولا ترى
وأذاقهم ذلّ السؤال وفاقة ... الأيدى وأدّبهم بما قد أقهرا
لما تكبّرت الجراكسة الذى ... كانوا بمصر ذلّهم ربّ الورى ٦
لهفى على سلطان مصر كيف قد ... ولّى وزال كأنه لن يذكرا
شنقوه ظلما فوق باب زويلة ... ولقد أذاقوه الوبال الأكبرا
يا ربّ فاعفُ عن عظائم جرمه ... واجمل بجنّات النعيم له قرا ٩
يا لهف قلبى للخليفة كيف قد ... طردوه عن مصر بجور وافترا
وكذا بنو عمّ له قد أخرجوا ... معه لإسطنبول وامتدّ السرى
وكذاك أبناء الملوك تحيّروا ... عند الخروج ولم يراعوا الأوقرا ١٢
وكذا أعيان التجار وغيرهم ... ممن بمصر صار دمعوا أنهرا
لهفى على الشرع الشريف وحكمه ... قد كان فى زمن القضاة موقّرا
يا لهف قلبى للشهود بمجلس ... كانوا بهم تُقضى الحوايج للورى ١٥
الله أكبر إنها لمصيبة ... وقعت بمصر ما لها مثل يرى
ولقد وقفت على تواريخ مضت ... لم يذكروا فيها بأعجب ما جرى
لهفى على عيش بمصر قد خلت ... أيامه كالحلم ولّى مدبرا ١٨
وأتى من التكدير ما لا مخبر ... سمعت به أذن ولا عين ترى
وتوقّف النيل السعيد عن الوفا ... فى هذه الأيام آخر ما جرى
(١٠٥آ) وتزايد الكرب العظيم لأجله ... حتى وفا وبه المنادى بشّرا ٢١

(٩) فاعف : فاعفوا . (١٨) ولى : ولا .
(٢١) ١٠٥ آ : كتب المؤلف ما يأتى على الورقة رقم ١٠٤ التى ألصقت فى الأصل بين الورقتين رقم ١٠٣ ورقم ١٠٥ : =

*ابن إياس: المصدر السابق.

الملحق رقم: 36

تابع لمرثية ابن إياس عن مصر وسقوط دولة المماليك.

قد كان هـذا الانتقام بمصرنا سبقت به الأقدار كان مقـدّرا
يا ليت شعرى بعـد هذا كله تنفى الهموم وترتجى فرجا نرى
٣ يا ربّ إنّا بالنبى المصطفى والأنبيـاء الكل سادات الورى
نسألك فى كشف الهموم بسرعة واعفُ عن الإجرام عفوا واغفرا
قد جاد لابن إياس شـعر قاله لكن منه النظم يحكى جوهرا
٦ ثم الصـلاة على النبى محمد والآل والأصحـاب ممن بشّرا

= (١٠٤ آ) الحمد لله ومما رثى به مصر أيضا الناصرى محمد بن قانصوه من صادق :

يا مصر كنتى ناظره حسنا وكنتى ناضره
٩ أين الحيـا والجا ل والعيون الباصره
أين الخيـول والسرو ج والثياب الفـاخره
أين الجراكسة الذى كانوا أسودا كاسره
١٢ وهم بأفق ملـكى مثـل النجوم الزاهره
من ذا الذى أزالهم عنـه وهم أكاسره
وهم عظـام وغـدوا منـه عظـاما ناخره
١٥ ودورهم صـيرها من الخـراب دائره
من بعد ما كانت قصو را بالجـمال عامره
غـير الذى الملك له لا ملك إلا الآخـره
١٨ يا مصر كم للـكى قد خضعت جبـابره
(١٠٤ب) يا مصر كيف ملـكى زال بلا محـاصره
وكيف ذقتى القهر يا لذل وأنتى القـاهره
٢١ لا شك أنتى بعـدهم إلى الخـراب صـايره
لهفى على جـالكى يا مصر كنتى ناظره

تمت . وقوله أيضا :

٢٤ كان فى مصر ملوك أظهروا فيهـا العجايب
ذهبوا عنهـا وصارت دورهم فيهـا خرايب
وهى أضحت بعد عز قرية فى حكم نايب
٢٧ من سوى الله تعـالى قد رماهم بالمصـايب
صاحب الملك عظيم من عصاه كان خايب

(٤) واعف : واعفوا .

*ابن إياس: المصدر السابق.

الملحق رقم: 37

مخطوطة لابن إياس تحتوي على خاتمة الجزء الخامس من بدائع الزهور. حسب التقسيم الأصلي للمؤلِّف، المكون من11جزءا. وكانت خاتمة هذا الأخير ((يتلوه الجزء الثاني عشر من بدائع الأمور في وقايع الدهور وكان الفراغ من هذا الجزء في يوم الأربعاء سلخ ذي الحجة الحرام سنة ثمان وعشرين وتسعماية...))

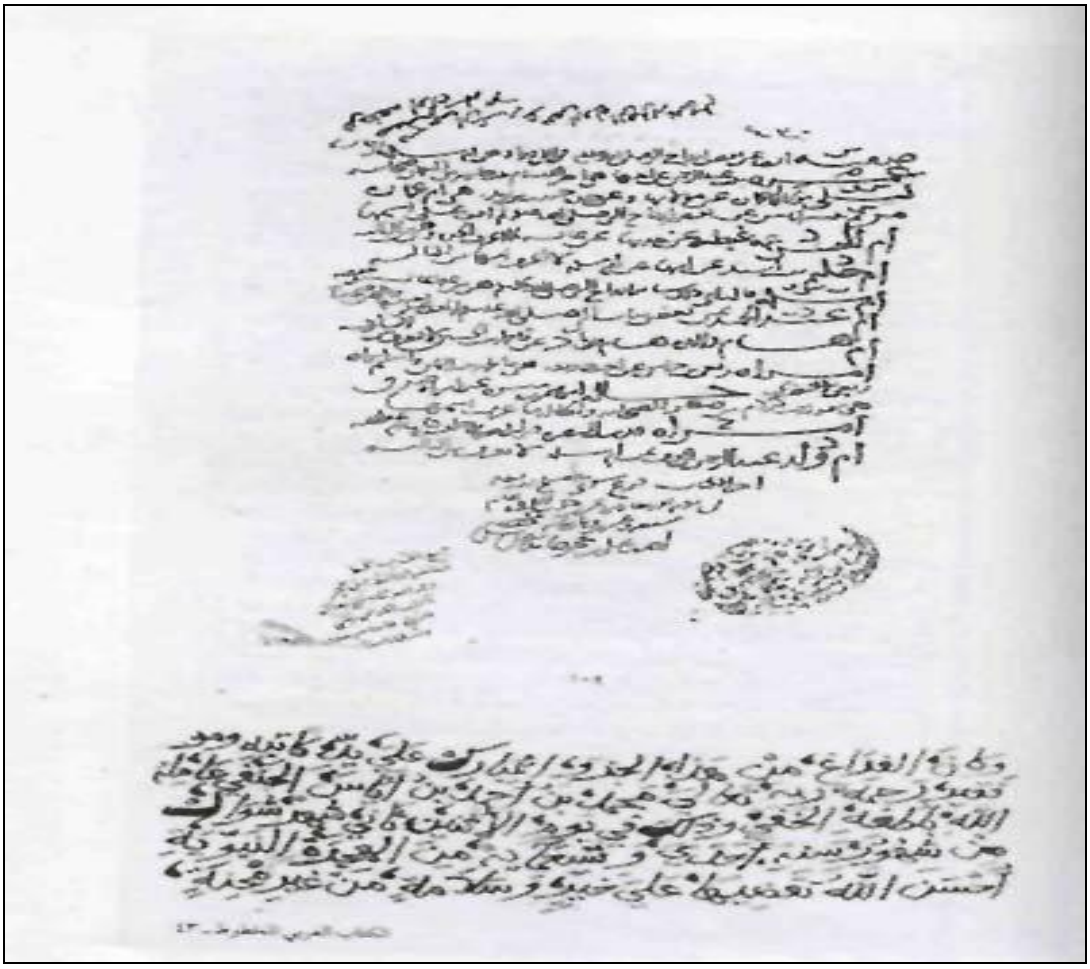

((وكان الفراغ من هذا الجزء المبارك على يد كاتبه وهو فقير رحمة ربه تعالى محمد بن أحمد بن إياس الحنفي. عامله الله بلطفه الخفي. وذلك في يوم الاثنين ثاني شهر شوال من شهور سنة إحدى وتسعماية من الهجرة النبوية.

أحسن الله تقضيها على خير وسلامةٍ من غير محنةٍ))

***المصدر: جامعة الملك سعود. الرياض. قسم المخطوطات.**

الملحق رقم: 38

جزء من مرثية بدر الدين الزيتوني عن مصر استشهد بها ابن إياس.

من أعيان علماء الشافعية . وتوفى الشيخ إبراهيم المواهبي الشاذلى رحمه الله تعالى ، وكان من أعيان مشايخ الصوفية . وتوفى العلامة تقى الدين الأوجاقى شيخ الحديث رحمه الله . وتوفى قاضى القضاة الحنبلى شهاب أحمد الشيشينى ، وكان علامة فى مذهبه توفى سنة تسع عشرة وتسعمائة ، وتوفى الشيخ عبد الباسط بن خليل المؤرخ ، وكان من أعيان الحنفية ، وكانت وفاته فى ربيع الآخر سنة عشرين وتسعمائة . وتوفى الشيخ محمد بن زُرعة المجذوب ، وكان له كرامات خارقة توفى سنة عشرين وتسعمائة . وتوفى الشيخ العارف بالله محمد بن عنان رحمة الله عليه ، وكان من أعيان مشايخ الصوفية . وتوفى قاضى القضاة الشافعية كان محيي الدين عبد القادر بن النقيب، وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة . وتوفى قاضى القضاة كان جمال الدين إبراهيم بن علاى الدين القلقشندى الشافعى ، وكان من أعيان علماء (٥١ آ) الشافعية . وتوفى الشيخ نور الدين على المحلى ، وكان يُعرف بقُرَيبة ، وكان من أعيان الشافعية . وتوفى الشيخ تاج الدين الذاكر ، وكان من أعيان مشايخ الصوفية . وتوفى قاضى القضاة الحنفى كان برهان الدين بن الكركى ، وكان من أعيان علماء الحنفية ، مات غريقا . وتوفى فى أيام دولته غير هؤلاء جماعة كثيرة من الأعيان لم نذكرهم هنا خشية الإطالة ، انتهى ذلك . ــ ولا بأس بإيراد هذه المرثية اللطيفة من نظم الشيخ بدر الدين الزيتونى أبقاه الله تعالى ، وقد رثى بها الملك الأشرف قانصوه الغورى عند وقوع تلك الفتنة المقدم ذكرها بما جرى له ، وهو قوله هذه القطعة الزجل :

غربت شمس دولة الغورى ... وابن عثمان نجمو طلع ساير
وبهذا رب السما قد حكم ... والفلك دار ولم يزل داير
ابن عثمان باداه بأخذ القلع ... وبمنع التاجر مع الجلاب
أن يجيبوا إلى مصر مملوك ... ولا فروة سمور ولا سنجاب
ولا ثعلب ولا وشق يجلبوا ... ومن الصوف ما عاد يجينا ثياب
غلا الصوف لما قعدنا سنين ... ما يجى من عندو ولا تاجر

(١–٣) وتوفى ... رحمه الله : كتبها المؤلف فى الأصل على الهامش . (٢٣) غلا : غلى .

*المصدر: ابن إياس. بدائع الزهور. مصدر سابق. ج05. ص96.

الملحق رقم: 39

مقتطف من مقدمة ابن خلدون

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الغني بلطفه
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي رفعه الله

الحمد لله الذي له العز والجبروت وبيده الملك والملكوت، وله الأسماء الحسنى والنعوت، العالم فلا يعزب عنه ما تظهر له النهى أو تخفيه السكوت، القادر فلا يعجزه شيء في السموات والأرض ولا يفوت، أنشأ نامر الأرض نسمًا، وأسعرنا فيها أجيالًا ولسمًا، ويسّر لنا منها أرزاقًا وقسمًا، مكّننا الأرحام والبيوت، وجعلنا الرزق والقوت، موطّئنا الأيام والوقوت، وتعمّرنا الآجال التي خطّ عليها كاتبها الفوت، وله البقاء والثبوت، وهو الحي الذي لا يموت، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي العربي المكتوب في التوراة والإنجيل المنعوت، الذي تخصّص لفضائله الكون قبل أن تتعاقب الآحاد والسبوت، وتتباين زحل والبهموت، وشهد بصدقه الحمار والعكبوت، وعلى آله وأصحابه الذين لهم في محبته وإتباعه الأثر البعيد والصيت، والشمل الجميع في مظاهرته ولعدوهم الشمل الشتيت، صلى الله عليه وعليهم ما اتصل للإسلام مرجع المجنوت، وانقطع بالكفر جلد الميّوت، وسلم كثيرًا

أما بعد، فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفة الشوقة والأغفال، وتحاكم فيه الملوك والأقيال، وتتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تمتّع لنا الأقوال، وتقرف فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصّها الأحفال، وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول النطاق فيها والمجال، وعمروا الأرض حتى ناكى بهم الأرخبال موجاز منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو

الحمدلة والديباجة، مخطوطة عاطف أفندي 1936

البيبليوغرافيا

البيبليوغرافيا

أوّلا: المصادر بالعربية:

أ- المخطوطات:

1. ابن زنبل أحمد الرمال المحلي: تاريخ وقعة الغوري هو والسلطان سليم وما جرى له مع الجراكسة والملك طومان باي من الحرب الشديد والطعن المزيد بوجود خاير بك والغزالي(آخرة المماليك). ميونيخ COD. arab. 411 BSB. مركز ودود للمخطوطات.
2. ابن زنبل احمد الرمال المحلي: (بدون عنوان) رقم 3803 ز ف. 11/800 في 1200/05/26هـ. مكتبة جامعة الرياض قسم المخطوطات.
3. القرمنلي أحمد بن يوسف: أخبار الدول وآثار الاوّل. جامعة ميشيغان. قسم المخطوطات.

ب- المصادر المطبوعة:

1. ابن إياس محمد بن أحمد: بدائع الزهور في وقائع الدّهور: تحقيق محمد مصطفى. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. 1981. 05 أجزاء في 06 مجلدات. (ج01 القسم01. ط1. دار إحياء الكتب العربية القاهرة.. 1970)(ج01. القسم02. ط01. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة 1974).

   (ج02. ط01. القاهرة. 1972) (ج03. مطبعة الدولة. اسطنبول. 1936). (ج04. اسطنبول. مطبعة الدولة. 1931) (ج05. ط. 02. القاهرة. 1961).
2. ابن إياس: نزهة الأمم في العجائب والحكم. تقديم وتحقيق. محمد زينه ومحمد عزب. ط. 1. مكتبة مدبولي. القاهرة. 1995.

3. ابـن الأثيـر: الكامـل فـي التـاريخ. تحقيـق. ابـي الفـداء عبـد الله القاضـي. المجلّد الأوّل. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت. 1987.

4. ابـن تغربـردي جمـال الـدين: حـوادث الـدّهور فـي مـدى الأيـام والشـهور. ج2. تحقيق. محمد كمال الدين عز الدين. ط1. دار عالم الكتب. 1990.

5. ابـن تغربـردي جمـال الـدين: النجـوم الزاهـرة فـي ملـوك مصـر والقـاهرة. المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة. القاهرة. 1963.

6. جـلال الـدين السـيوطي: حسـن المحاضـرة فـي أخبـار مصـر والقـاهرة. القاهرة. 1967.

7. المقريـزي أحمـد بـن علـي: نزهـة الأمـم فـي العجائـب والحكـم. تقـديم وتحقيـق، محمد زينهم– محمد عزب. ط1. مكتبة مدبولي، القاهرة. 1995.

8. المقريـزي أحمـد بـن علـي: السـلوك لمعرفـة دول الملـوك. دار الكتـب القـاهرة. 1942.

9. ابـن زنبـل الشـيخ أحمـد الرمـال: آخـرة المماليـك أو واقعـة السـلطان الغـوري مـع سـليم العثمـاني. تحقيـق عبـد المـنعم عـامر. ط2. الهيئـة المصـرية العامة للكتاب. 1998.

ثانيا: المراجع بالعربية:

1. أحمـد إبـراهيم خليـل: تـاريخ الـوطن العربـي فـي العهـد العثمـاني 1516–1916. دار ابن الأثير للطباعة والنشر، الموصل. 1986.

2. أحمـد عبـد الـرحيم مصـطفى: فـي أصـول التـاريخ العثمـاني. ط1. دار الشروق. بيروت. 1982.

3. أحمـد عبـد الـرحيم مصـطفى: فـي أصـول التـاريخ العثمـاني. الطبعـة الثانيـة. دار الشروق القاهرة. 1993.

4. أسامة حسن: طومان باي آخر سلاطين المماليك. ط1. مطابع الوادي الجديد. دار الأمل. 2000.

5. الاسكندري عمر وحسن سليم: تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر. ط2.. مكتبة مدبولي. القاهرة. 1996.

6. أنيس محمد: الدولة العثمانية والشرق العربي (1514-1914). مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. 1985.

7. أوزوتونا يلماز: تاريخ الدولة العثمانية: تر: عدنان محمود سلمان. منشورات مؤسسة فيصل. تركيا. 1988.

8. بازيلي ميخائيلوفتش: سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسية والتاريخية. ترجمة يسر جابر. دار الحداثة. بيروت 1977.

9. بدوي عبد الرحمان: مناهج البحث العلمي. ط3، وكالة المطبوعات. الكويت. 1977.

10. برو توفيق: العرب والترك في العهد العثماني(1908-1914) جامعة الدول العربية، القاهرة. 1960.

11. بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية. تر. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي. ط5. دار العلم للملايين. بيروت. 1968.

12. بيهم محمد جميل: العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب. ط1. المطبعة الوطنية. 1957.

13. ترحيني محمد أحمد: المؤرخون والتأريخ عند العرب: دار الكتب العلمية. بيروت. ب. ت.

14. ثوما أميل: تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديث. دار الفرابي. بيروت. 1979.

15. جلال يحيى: المُجمل في تاريخ مصر الحديثة. المكتب الجامعي الحديث. الإسكندرية. ب. ت.

16. جلال يحيى: العالم الإسلامي الحديث والمعاصر. المكتب الجامعي للبحث. الإسكندرية. 1990.

17. الجيار مدحت: مختصر كتاب بدائع الزهور في وقائع الدّهور. لمحمد ابن أحمد ابن إياس. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. 2007.

18. حاجي خليفة: تصحيح وطبع: محمد شرف الدين يالتقايا: كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون. ط4. دار إحياء التراث العربي. بيروت. 1941.

19. حتي فليب: لبنان في التاريخ. مؤسسة فرانكلين. 1959.

20. حتى فيليب وآخرون: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، دار الثقافة. بيروت. 1958.

21. حتى فيليب: خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى. المجلّد الثاني. الدار المتّحدة للنشر، بيروت، 1982.

22. الحصري ساطع: البلاد العربية والدولة العثمانية. دار العلم للملايين. بيروت. 1960.

23. الحلبي محمد بن محمود(ابن آجا): العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، مع رحلة الأمير يشبك من مهدي الدّاوادار. ط1. دار الفكر. 1986.

24. رافق عبد الكريم: العرب والعثمانيون 1516-1916. الطبعة الأولى. مكتبة أطلس دمشق. 1974.

25. رافق عبد الكريم: العرب والعثمانيون: 1516-1916. مطابع ألف باء، دمشق. 1982.

26. زيادة نيقولا: أبعاد التاريخ اللبناني. جامعة الدول العربية. القاهرة1972.

27. زيادة نيقولا: دمشق في عصر المماليك. مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر. بيروت. 1966.

28. زين نور الدين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، دار النشر. بيروت 1971 م.

29. زين نور الدين: نشوء القومية العربية. دار النهار. بيروت. 1979.

30. السرجاني راغب: قصّة التاتار من البداية إلى عين جالوت. ط01. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة. 2006.

31. سليم محمود رزق: الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث. دار الكتاب العربي. مصر. 1957.

32. سليمان أحمد السعيد: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل. دار المعارف، القاهرة 1979.

33. سمكوغ أمين: تاريخ الشراكسة. دار دمشق. بيروت. 1984.

34. شاكر محمود: التاريخ الإسلامي. مج7 العهد المملوكي. ط05. المكتب الإسلامي. 2000.

35. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون. ج3. ط1. دار العلم للملاين. بيروت. 1990.

36. شلبي أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. ج5. الطبعة السابعة. مكتبة النهضة المصرية. 1986.

37. شمس الدين محمد بن محمود بن خليل: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدوادار. ط1. دار الفكر. 1986.

38. الشناوي عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. مكتبة الأنجلو-المصرية. القاهرة. 1980.

39. الشيخ رأفت غنيمي: فلسفة التاريخ. دار الثقافة للنشر والتوزيع. القاهرة. 1987.

40. الصباغ ليلى: تاريخ العرب الحديث والمعاصر. مطبعة ابن حيان دمشق. 82/1981.

41. الصفصاف أحمد مرسي: الدولة العثمانية والولايات العربية. جمع وتقديم عبد الجليل التميمي. ب. ت.

42. طقّوش محمّد سهيل: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام 1250-1517. ط1. دار النفائس. بيروت. 1997.

43. عاشور سعيد عبد الفتاح: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام. دار النهضة العربية. القاهرة. 1996.

44. عاصي حسين: ابن إياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت. 1993.

45. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: تاريخ العرب الحديث والمعاصر الطبعة الثانية، مطبعة الجبلاوي. 1399 هـ - 1979 م.

46. عبد السيّد حكيم أمين: قيام دولة المماليك الثانية. تقديم محمّد مصطفى زيادة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة. 1966.

47. عبد الغني مصطفى: الجبرتي والغرب. رؤية حضارية مقارنة. الهيئة المصرية العامّة للكتاب. القاهرة. 1995.

48. عبد اللطيف ليلى: الإدارة في مصر في العهد العثماني. مطبعة جامعة عين شمس القاهرة. 1978.

49. عراقي يوسف محمد: الوجود العثماني المملوكي في مصر في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. دار المعارف. القاهرة. 1985.

50. العيدروس محمد حسن: تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر. ط1. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الكويت. 1996.

51. قدورة زاهية: تاريخ العرب الحديث، شبه الجزيرة العربية، كياناتها السياسية، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت. ط.

52. كرد علي محمد: خطط الشام. ج2. دار العلم للملايين، بيروت. 1969.

53. كريسيليوس دانيال: جذور مصر الحديثة. ترجمة: د. عبد الوهاب بكر، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة 1985.

54. كوثراني وجيه: السلطة والمجتمع والعمل السياسي، من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. 1988.

55. لوتسكي فلاديمير بوريزوفيتش: تاريخ الأقطار العربية الحديث. دار الفرابي. بيروت، 1980.

56. محمود محمد الحويري: تاريخ الدولة العثمانية في العصورالوسطى. ط1. 2002.

57. النعيمي أحمد نوري: الحياة السياسية في الدولة العثمانية. بغداد. 1990.

58. هريدي صلاح أحمد: تاريخ مصر الحديث. مكتبة بستان المعرفة. 2009.

59. ونتر ميكل: المجتمع المصري تحت الحكم العثماني. تر. إبراهيم محمّد إبراهيم. الهيئة المصرية العامّة للكتاب. 2001.

ثالثا: المراجع باللغة الأجنبية:

1. Bacqué cramont Jean luis: Mamlouk; Ottomans et Portugais en mère rouge. Le caire. Institue française d'archéologie orientale. 1988.
2. E. Amélinau: Résumé de l'histoire de l'Egypte. Imprimerie l'Aloux. Paris 1894
3. Lamartine. Histoire de la Turquie. Tome25éme. Livre18éme. Paris. 1863.
4. L. LANGLES: Extrait du Tome. Vlll. 1erpartie des Notices Et Extraits des Manuscrits de la Bibliothèque Impériale. Imprimerie Impériale. PARIS. s. d. ed.
5. L. LANGLES: L'odeur des fleurs dans les merveilles de l'univers.
6. (Cosmographie)de Mohammed Ben-Ahmed ben-Ayas.. Imprimerie Impériale. PARIS. s. d. ed.
7. M. Rey Dussueil: Résumé de l'histoire d'Egypte depuis les temps fabuleux jusqu'à nos jours. paris. Imprimerie de decourchant. 1826
8. Rhoné Arthur: L'Égypte à petites journées. études et souvenirs: Le Caire et ses environs Paris. 1877.
9. Salmon W. H. : An account of the ottoman conquest of Egypt in the year A. H. 922 (A. D. 1516). The royal Asiatic society. 1921.
10. Stanley lane-poole. A history of Egypt. in the middle ages. vol. 06. New York. Charles scribner's son. 1901.

رابعا: الرسائل العلمية:

أ- بالعربية

1. بليدي خليدة: الحملة الفرنسية على مصر والجزائر 1830/1798. -دراسة مقارنة- مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر. إشراف: شتوان نظيرة. جامعة الجزائر. 2012.

بـ بالفرنسية

1. Hamdi Abl Azim Abl Maksoud Abl Kader: L'Egypte dans voyage en Orient de Gerard de Nerval et La France dans L'or de Paris de Rifaa Al Tahtawi. These présentée comme exigence partielle du doctorat en etudes littéraires. Université du Quebec. Montréal. Avril. 2008.

خامسا: المجلات والدوريات

1. أسامة محمد أبو نحل. (جان بردي الغزالي المملوكي والدولة العثمانية– رؤية تاريخية جديدة). مجلّة جامعة النجاح للأبحاث. غزّة. مج17. العدد1. 2003.
2. بخيت فائز علي: المماليك الجراكسة في مواجهة الحصار الاقتصادي الصليبي على مصر. مجلة كلية العلوم الإسلامية. المجلّد السابع. العدد13. 2013.
3. دعكور عرب: الصراع الاقتصادي بين الشرق والغرب في الربع الأوّل من القرن16. مجلّة العرفان. العدد07. المجلّد. 76.
4. العدوان شادية حسن أحمد. (موارد ابن إياس في كتابه بدائع الزهور عن الصراع المملوكي العثماني–1516–1517–)المجلّة الأردنية للتاريخ والآثار. المجلّد 06، العدد02. 10 ماي 2012.
5. المشهداني ياسر عبد الجواد: النفوذ البرتغالي وأثره على الهند الإسلامية (1498–1514). مجلّة التربية والعلم. المجلّد 14. العدد. 02. 2007.

الفهرس

الفهـرس

شكر وتقدير

إهداء

قائمة المختصرات

مقدّمـة .....أ

الفصل الأول

مكونات شخصية ابن إياس

❖ **مبحث تمهيدي** 17

❖ **المبحث الأوّل:** مولده ونسبه 26

❖ **المبحث الثاني:** تعليمه وشيوخه..... 29

❖ **المبحث الثالث:** مؤلّفاته ومصادره 31

❖ **المبحث الرابع:** خصائص عصر ابن إياس 35

الفصل الثاني

ابن إياس وكتابه

❖ **المبحث الأوّل:** تقديم كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور 42

❖ **المبحث الثاني:** الغرض من تأليفه..... 47

❖ **المبحث الثّالث:** منهجه وأسلوبه في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور 48

❖ **المبحث الرابع:** مصادر ابن إياس في كتابه بدائع الزهور 57

الفصل الثالث

موقفه من أحداث عصره

- **المبحث الأوّل:** ابن إياس وعصر المماليك الشراكسة..... 69
- **المبحث الثاني:** الدّخول العثماني للشام ومصر وموقف ابن إياس منه..... 81
- **المبحث الثالث:** الحكم العثماني للشام ومصر وموقف ابن إياس منه 101
- **المبحث الرابع:** قيمة كتاب بدائع الزّهور..... 113

الخاتمة..... 117

الملاحق..... 128

البيبليوغرافيا..... 170

الفهرس..... 179